

أكذن اليمى
يُوكِّهَا

صَحْوَنَهَا

سُبْحَانَ رَبِّنَا

اَكْدِنْ الْبَيْتِ
بِالْمُؤْمِنِ

صَحْفَةٌ نَّجَاهُ

تقديم

اعتمدت الوهابية منذ ظهورها، ولا زالت تعتمد، على الأكاذيب والأضاليل، وعملت على التستر بأهل السنة والسلف تارة، وبالإجماع تارة أخرى.. وكان عمدتها في هذه الأكاذيب وهذا التستر هو ابن تيمية، الذي كان ينسب أقواله وفتاويه لأهل السنة والسلف والإجماع دائمًا، ويتلقّف الوهابيون أقواله بمنطق التسلیم. وكما كذب ابن تيمية على أهل السنة والسلف، كذب الوهابيون كذلك، وما بُني على الكذب فهو كذب.

ولم تنحصر أكاذيب الوهابية في محيط نقل أقوال ابن تيمية ونسبتها لأهل السنة، بل امتدت إلى تراثهم فحرّقته، ليكون في خدمة عقائدها المنحرفة. وامتدت أيضًا إلى المذاهب والاتجاهات الأخرى في محطيتهم، التي تم السطو على كتبها وتحريفها؛ لتخدم مذهبهم، وتبعد الشبهات عنهم. ولما كان وضع ابن تيمية ضعيفاً، وزنه قليلاً وسط أهل السنة، قام الوهابيون بنسج العديد من الأساطير حول شخصيته، هدف تضخيمه في أعين المسلمين. ولقد عمدت الوهابية على بثّ الأكاذيب؛ لثبتت كونها حركة إصلاحية، بينما

هي - في الحقيقة - حركة إرهابية، استحلت دماء المسلمين وأموالهم، وعملت على اختراق المؤسسات الإسلامية، وشراء الأقلام والكتاب واستخدامهم في الدعاية لها. وما كان لحركة تبرز وتلوم إلا بدعم ومساعدة آل سعود، ومن ورائهم أعداء الإسلام.

كان وجود الوهابية ضرورة حتمية لتفريق المسلمين وتخلفهم، وتوطين العداوة والبغضاء بينهم.

وهذا الكتاب يؤكد، من خلال نصوصه، على أن الوهابية ليست سوى فرقة ضالة دعواها كاذبة، وهي امتداد للفرق الضالة السابقة، فمن ثم هي لا تُعبر عن أهل السنة والسلف، بل تتسمّح بهم. وهو ما سوف نعرضه في هذا الكتاب، ونؤكده من خلال مصادرهم ونصوصهم.

صالح الورданى

مُدخل تأريخي

في تاريخ المسلمين، واجه الإسلام العديد من صور التمرد والانحراف والفرق الضالة والمتطرفة، وكانت الأصابع التي تحرّك هذه الفرق وتدعيم هذه الحالة، ترکَز في المنافقين وأصحاب المصالح والنفوذ، من القوى الحاكمة وأعوانهم، بالإضافة إلى أصحاب الأهواء والنفوس المريضة، الذين لا يخلو منهم زمان، ولا تسلم منهم الأديان..

ومن أخطر الفرق التي واجهت الإسلام وتركت بصمتها في واقع المسلمين، لتصبح المثل القائم والنموذج الدائم على الاعوجاج والتطرف وتفریق المسلمين، هي فرقة الخوارج، ثم تلتها فرقة الحنابلة.

بين الخوارج والحنابلة

وهناك تشابه كبير بين الحنابلة والخوارج، من حيث تناول الدين، ومن حيث المواقف والسلوك، كذلك هناك تشابه أو تطابق بين العناصر التي تنتهي لهاتين الفرقتين. الخوارج وردت فيهم الكثير من الروايات النبوية التي هي بمثابة نبوءات، والتي تحذر الأمة منهم، وتكشف تركيبتهم وتحدد ملامحهم وتجسّم الخطر المحدق منهم.

ومن أهمّ الملامح التي حدّدما هذه الروايات:

- سفهاء الأحلام وحدائق الأسنان.

- يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم.
- تحقر صلاتك خلف صلامتهم.
- أيديهم كثفات الإبل.
- محلّي الرؤوس.
- يقاتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان.
- سيمتهم المكابرة وغلوظة القلوب.
- طبائعهم بدوية أعرابية.
- يتبعُّدون بالقشور ويهملون عظامِ الأمور.

والمتأمّل في فرقـة الحنـابـلة يـجدـها تـحـمـلـ نـفـسـ طـبـاعـ وـمـالـامـعـ فـرـقـةـ الـخـوارـجـ.ـ الـخـوارـجـ هـمـ أـوـلـ مـنـ حـلـ رـاـيـةـ التـكـفـيرـ فـيـ مـواـجـهـةـ الـمـسـلـمـينـ،ـ وـالـخـابـلـةـ حـلـواـ نـفـسـ الـراـيـةـ.

الـخـوارـجـ أـرـاقـواـ دـمـاءـ الـمـسـلـمـينـ،ـ وـالـخـابـلـةـ كـذـلـكـ.

الـخـوارـجـ قـشـريـونـ مـسـطـحـونـ يـتـبـعـدـونـ بـالـرـوـاـيـاتـ،ـ وـالـخـابـلـةـ كـذـلـكـ.

الـخـوارـجـ يـبـالـغـونـ فـيـ الـقـشـورـ وـالـشـكـلـيـاتـ،ـ وـالـخـابـلـةـ كـذـلـكـ.

الـخـوارـجـ مـنـ الـبـدـوـ وـالـأـعـرـابـ،ـ وـالـخـابـلـةـ كـذـلـكـ.

الـخـوارـجـ غـلـاظـ الـقـلـوبـ،ـ وـالـخـابـلـةـ كـذـلـكـ.

الـخـوارـجـ سـيـمـتـهـمـ الـمـكـابـرـةـ وـالـتـحـدـيـ،ـ وـالـخـابـلـةـ كـذـلـكـ.

وـالـأـهـمـ مـنـ ذـلـكـ كـلـهـ،ـ أـنـ الـخـوارـجـ وـقـفـواـ فـيـ مـواـجـهـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ عليـهـ السـلـامـ بـقـيـادـةـ الـإـمـامـ عـلـيـهـ السـلـامـ،ـ وـكـذـلـكـ الـخـابـلـةـ وـقـفـواـ فـيـ مـواـجـهـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ،ـ وـاعـتـبـرـوـاـ شـيـعـتـهـمـ عـلـىـهـمـ.ـ وـهـذـهـ مـنـ الـظـواـهـرـ الـمـلـفـتـةـ فـيـ التـارـيخـ.

وـالـسـؤـالـ هـنـاـ:ـ لـمـاـذـاـ اـرـتـبـطـتـ حـرـكـةـ الـإـمـامـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـمـواـجـهـةـ الـخـوارـجـ؟ـ

وـلـمـاـذـاـ يـقـفـ الـخـابـلـةـ هـذـاـ الـمـوـقـفـ الـعـدـائـيـ مـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ وـشـيـعـتـهـمـ؟ـ

والجواب هو أنَّ حركة الإمام هي امتداد لحركة الرسول ﷺ، فمن ثُمَّ لا يملك أحد سوى الإمام القدرة على مواجهة هذه الفرقة. والقدرة هنا لا تتحصر في السيف، فالسيف يملكه الجميع، وإنما تتحصر في علم الإمام ومقوماته الخاصة، التي ورثها عن الرسول، والتي لا يملكونها أحد سواه. وتلك المقومات ورثها عنه أهل البيت عليهم السلام.

من هنا، شَكَّلَ نهج الإمام الخطر القائم والدائم لفرقـة الخوارج، ومن سار على نهجها وتنطـبـع بطبعـاعـها.

الإمام واجه الخوارج باسم الإسلام الذي يمثله ويعبر عنه، لا باسم الحاكم. والخوارج يعلمون حقَّ العلم ويعرفون حقَّ المعرفة أنَّ علياً هو الناطق الشرعي باسم الدين، وهو الذي يمثل الخط الشرعي، خط الرسول ﷺ، ذلك الخط الذي يتهدَّم على الدوام.

أما الخطوط الأخرى التي انتـحت الإسلام وتلحـفت بالرسول، فلا تشـكـلـ أدنـى خـطـرـ عليهم، بل تعدـ امتدـاداتـ لهمـ.

ولأجل ذلك.. كانت المواجهة بين الخوارج والإمام مصيرية. كذلك المواجهة مع خطـهـ ونـجـهـ منـ بـعـدهـ.

لقد أصبح الخوارج النموذج الدائم لأعداء أهل البيت عليهم السلام وشـيعـتهمـ علىـ مرـ الزـمانـ. وأهلـ البيـتـ وشـيعـتهمـ شـكـلـواـ الحـصـنـ المـنيـعـ الـذـيـ يـحـتـمـيـ بـهـ الإـسـلامـ الـحقـ،ـ الـذـيـ يـكـشـفـ ضـلاـلـهـ واعـوجـاجـهـ،ـ وضـلالـهـ واعـوجـاجـهـ الـفـرقـ الـتـيـ تـولـدتـ مـنـهـمـ عـبـرـ الزـمانـ،ـ وـعـلـىـ رـأـسـهـ فـرـقةـ الـخـنـابـلـةـ وـالـوـهـابـيـةـ الـمـعـاصـرـةـ.

وقد استعرضت لنا كتب السُّنْن وكتب التاريخ والترجمـ العـدـيدـ منـ المـلامـحـ والظـواهرـ والمـمارـسـاتـ الـتـيـ تـتـعلـقـ بـالـخـوارـجـ،ـ مـاـ اـشـهـرـ أـمـرـهـ،ـ ليـصـبـعـ هـؤـلـاءـ الـخـوارـجـ مـحـلـ نـبذـ وـرـفـضـ جـمـيعـ الـمـذاـهـبـ وـالـاتـجـاهـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ.ـ وـهـوـ الـمـوقـفـ الـذـيـ طـالـ الـخـنـابـلـةـ فـيـماـ بـعـدـ؛ـ لـيـصـبـحـواـ مـحـلـ رـفـضـ وـنـبذـ الـمـذاـهـبـ الـإـسـلـامـيـةـ،ـ وـيـتـحوـكـواـ إـلـىـ أـقـلـ الـمـذاـهـبـ شـائـعـاـ؛ـ مـاـ

دفعهم إلى إعلان الحرب على المذاهب والفقهاء، واتهامهم بالمرroc والزنقة، وإحياء البدع ونصرة أهل الأهواء وإماتة السنة، وغير ذلك من التّهم التي تلقيتها منهم الوهابية المعاصرة، وأخذت تلقيها على المسلمين شيعةً وسنةً.

إلا أنَّ الحنابلة الذين يحملون صفات الخوارج، من التّعبُد بالرواية وسطحية الفهم، وضعف العقل وغلظة القلب، والتركيز على الشَّكليات؛ وجدوا في حركة أهل البيت وشيعتهم الخطر الدائم والداهم الذي يتهدّد منهُم وأفكارهم المعوجة؛ فحملوا راية العداء والمواجهة لهذه الحركة، وركزوا جهودهم عليها، محاولين النيل منها وتشويها، وتحريض المسلمين على شيعتهم.

وكما تسبّبَ الخوارج في تفريق المسلمين وزرع الفتنة بينهم، تسبّبَ الحنابلة أيضًا في تفريق المسلمين وزرع الفتنة بينهم.

تاريخ الحنابلة

وفرقة الحنابلة قامت على يد أحمد بن حنبل (١٦٣ - ٢٤١ هـ)، الذي ينتمي لقبيلة بني شيبان، في العصر العباسي.

وشخصية ابن حنبل ومقوماته لم تكن تُتيح له القدرة على البحث والاجتهاد وإعمال العقل، فمن ثُمَّ اتجه نحو الروايات وأقوال الرجال، فعمل على تدوينها والتّعبُدُ بها، وتعصّبَ لهذه الروايات والأقوال واعتبرها الصورة الوحيدة للإسلام، وناصبَ العداء كلَّ من يرفض هذه الروايات والأقوال أو يشكّك فيها، واعتبره من المُبتدِعِين الضالّين.

من هنا بدأ الصدام مع مَنْ حوله من الفقهاء وأصحاب المذاهب الأخرى، والاتجاهات العقلية وأصحاب الرأي، من الأحناف والشيعة والمعتزلة وغيرهم.

وانجذب نحو ابن حنبل العديد من السُّوقَة وضعف العقول والقشرَيْن، الذين لم يجدوا لهم مكانًا في دائرة المذاهب والاتجاهات الأخرى؛ ليُشكّلوا إزاعًا كبيرًا للفقهاء

وال المسلمين، و يحدُثوا الكثير من القلاقل والفتنة على ما سوف ثبَّتُنَّ .
ونتيجة لسيطرة العقل الروائي على شخصية ابن حنبل، واعتماده الكلّي على النقل
لا على العقل؛ رفض فكرة خلق القرآن التي تبنتها بعض المذاهب، وحكم بـكُفر القائل
بها. كما حكم بـكُفر تارك الصلاة، فكان أول من قنَّ للتكفير في واقع المسلمين. وكان
من نتيجة هذا الموقف المتطرف من قبله، أنْ أصدر المؤمن العباسي أمره بالقبض عليه
وحبسه وجلده، حتى يرجع عن أفكاره المتطرفة^(١).

واستمر الموقف العدائي، منه ومن أتباعه، طوال عصر المؤمن والمعتصم والواثق من
بعده، حتى جاء المُتوَكِّل، فتحالف معهم ضدَّ المذاهب الأخرى؛ مما أعطاهم دفعَة قوية
ساعدتهم على مواجهة خصومهم والفتك بهم^(٢).

وقد رصدت لنا كتب التاريخ الكثير من الفتنة والحوادث المفجعة التي وقعت على بد
الخانبة المتعصبين، والتي تعد صورة مصغرَة لحوادث الخوارج. ومن هذه الحوادث:
حدث الاعتداء على الفقيه المفسر الطبرى، وقدفه بالخابر ومطاردته في طرقات بغداد
ومحاصرة بيته؛ بسبب قوله: إنَّ ابن حنبل ليس فقيهاً؛ ورفضه حديث جلوس
الرسول ﷺ إلى جوار الله على العرش^(٣).

ثمَّ أحدثوا فتنة أخرى كبيرة في بغداد أيضاً، بسبب قوله تعالى: «عسى أن يبعثك
ربك مقاماً محموداً»، وذلك في عام ٣١٧هـ. قالت الخانبة: معناها: يقعده الله على
عرشه. وقال غيرهم: بل هي: الشفاعة. ودام الخصم واقتتلوا حتى قُتل جماعة كثيرة^(٤).
كذلك وقعت فتنة كبيرة بينهم وبين الشيعة في بغداد، كاد الشيخ أبو حامد

(١) انظر البداية والنهاية، اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، أبوالغداة، ج ٠، ص ٣٣٠؛ سيرة ابن حنبل، صالح بن احمد.

(٢) قال الخانبة عن المُتوَكِّل: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمُتوَكِّل في إحياء السنة وإماتة التجمّه؛ انظر: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٦، عبدالرحمن بن أبيبيكر السيوطي.

(٣) انظر: ترجمة الطبرى في كتب التاريخ؛ وانظر: حوادث عام ٣١٠هـ ٤٥٨، ٤٢٣، ٤٧٥هـ.

(٤) انظر: تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٤. وقد توسيَّع في أمر هذا الحديث الحالى الخبلي المتعصب في سنته، وحشد العديد من النصوص التي تكُفر منكره. انظر: باب ذكر المقام الحمود.

الأسفرايني أن يُقتل فيها^(١).

وتمكنَ الحنابلة من إقناع الخليفة القادر العباسى بأفكارهم، ووضعوا كتاباً في العقيدة أهدوه إلى نفسه، وسمّاه (العقيدة القدرية)، وحمل الناس عليه بتحريض من الحنابلة، واستتاب فقهاء المعتزلة والحنفية فأظهروا الرجوع^(٢).

وأتجه الحنابلة بعد ذلك، سيراً مع الروايات التي يتبعّلون بها، إلى تبني فكرة التجسيم والتشبيه، فيما يتعلّق بصفات الله تعالى، وإعلان الحرب على منكري هذه الروايات والمشكّفين فيها. ومن أبرز مواقفهم من خصوم التشبيه والتجمسيم من الفقهاء وغيرهم، موقف أبو إسماعيل الهروي، شيخ الحنابلة المتوفى عام ٤٢٢هـ، من ابن حبان صاحب السنن؛ حيث أخرجه من بلدته سجستان بسبب إنكاره لله تعالى^(٣).

وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي، المتوفى عام ٤٥٨هـ: ألموني ما شتم - أي: في حق الله تعالى - فإني ألتزم، إلّا اللحمة والعوراء^(٤). وقد كفره صاحب العواصم بسبب هذا القول^(٥).

وذكر المؤرخ ابن الأثير في حوادث عام ٤٢٩هـ: وفيها أنكر العلماء على أبي يعلى الفراء الحنبلي ما ضمّنه كتابه (إبطال التأويلات) من صفات الله سبحانه وتعالى، المشعرة بأنّه يعتقد التجسيم، وحضر أبو الحسن القزويني الزاهد بجامع المنصور وتكلّم في ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون، علوّاً كبيراً.

وقال في عام وفاة الهروي: وفيها توفي أبو يعلى الفراء الحنبلي، وهو مصنف كتاب

(١) انظر: حوادث عام ٣٩٨هـ في كتب التاريخ، والأسفرايني من فقهاء الشافعية.

(٢) انظر: حوادث عام ٤٠٨هـ في كتب التاريخ. وقد استتاب الشيعة أيضاً، وفي عن المناظرة في شيء من العقائد، ومن فعل ذلك نكل به وعُوقب.

(٣) نذكرة الحفاظ، شمس الدين ذهبي، ج ٣، ص ٩٢٠.

(٤) انظر: كتابه إبطال التأويل.

(٥) انظر: النسخة الكاملة من العواصم لابي بكر بن العربي، ج ٢، ص ٨٣. وسوف يأتي الحديث عن هذا الكتاب في باب أكاذيبهم على التراث.

الصفات، أتى فيه بكلّ عجيبة، وترتيب أبوابه يدلّ على التجسيم المحسّن.
وكذلك قيل في ابن قدامة الحنبلـي الـدمشـقيـ، صاحب كتاب (ذمـ التـأـوـيلـ وـلـعـةـ
الاعـتقـادـ) ^(١).

وهـنـاكـ فـتـنةـ شـهـيرـةـ وـقـعـتـ عـلـىـ يـدـ الـخـانـبـلـةـ بـمـصـرـ، عـلـىـ يـدـ اـبـنـ مـرـزـوقـ وـالـكـيـزـانـيـ؛ـ
بـسـبـبـ قـوـلـهـمـ بـالـتـجـسـيمـ، مـاـ أـدـىـ إـلـىـ صـلـورـ أـكـثـرـ مـنـ فـتـوىـ بـتـكـفـيرـهـمـاـ وـرـدـقـمـاـ،ـ
وـاسـتـابـتـهـمـاـ وـطـلـبـ قـتـلـهـمـاـ ^(٢).

وـقـدـ رـدـ اـبـنـ الجـوزـيـ عـلـىـ الـخـانـبـلـةـ بـسـبـبـ قـوـلـهـمـ بـالـتـجـسـيمـ وـتـبـنيـهـمـ التـشـبـيهـ، مـبـرـئـاـ اـبـنـ
خـنـبـلـ مـنـ ثـهـمـةـ التـشـبـيهـ الـتـيـ الصـقـوـهـ بـهـ، نـاقـضاـ وـمـكـذـبـاـ روـايـاـتـمـ الـتـيـ اـعـتـمـلـواـ عـلـيـهـاـ فـيـ
تـبـنيـهـمـ التـجـسـيمـ ^(٣).

وـقـدـ صـوـرـتـ الـرـوـاـيـاتـ الـتـيـ اـعـتـنـقـهـاـ الـخـانـبـلـةـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ عـلـىـ شـكـلـ إـنـسـانـ،ـ يـأـتـيـ
وـيـنـهـبـ وـيـنـزـلـ وـيـصـدـعـ وـيـضـحـكـ،ـ وـأـثـبـتوـاـ لـهـ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ ذـلـكـ الـأـعـضـاءـ الـبـشـرـيـةـ،ـ
وـصـوـرـوـهـ عـلـىـ صـوـرـةـ شـابـ أـمـرـدـ أـوـ شـيـخـ كـبـيرـ،ـ وـهـمـ بـذـلـكـ يـتـفـقـونـ مـعـ تـلـكـ الصـوـرـةـ الـتـيـ
أـبـرـزـهـاـ الـيـهـودـ وـالـنـصـارـىـ فـيـ كـتـبـهـمـ ^(٤).

وـتـبـلـوـ فـكـرـةـ التـجـسـيمـ وـالتـشـبـيهـ وـاـضـحـةـ بـقـوـةـ فـيـ كـتـبـ الـخـانـبـلـةـ الـقـدـامـيـ،ـ وـالـوـهـابـيـنـ
الـمـاعـصـرـيـنـ،ـ عـلـىـ مـاـ سـوـفـ نـبـيـنـ.

(١) انظر: ترجمة ابن قدامة في سير أعلام النبلاء للنعمي ج ٢٢، ص ١٦٨؛ وانظر: حوادث عام ٦٢٠ هـ، عام وفاة ابن قدامة، في كتب التاريخ.

(٢) ابن الكيزاني المصري الشافعي، هو أبو عبد الله محمد إبراهيم بن فرح الانصاري. قيل عنه: أنه ابتدع مقالة ضلّ ما اعتقله وزل في مزلقها سداه، وادعى أنَّ أفعال العباد قديمة. والطائفة الكيزانية بمصر على هذه البدعة مقيمة. توفى الكيزاني في عام ٥٦٠ هـ انظر: ترجمته في جريدة القصر، وجريدة العصر للأصحابيـانـ. وابن مرزوق هو عنمان بن سلام القرشي، توفى عام ٦٤٥ هـ، انظر: ترجمته في طبقات الـخـانـبـلـةـ، ج ١، ص ١٢٦.

(٣) سوف يأتي استعراض هذا الرد لاحقاً.

(٤) من هذه الروايات: (لما أسرى بي، رأيت الرحمن في صورة شاب أمرد، وإذا كانه عروس...). وأخرى تقول: (إنَّ النبيَّ رأى ربَّه في المنام في أحسن صورة، شاباً موفرأ، رجلاء في خف، عليه نعلان من ذهب...). وأخرى تقول: (إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورته...).

يقول عثمان الدارمي: إنَّ الله لو شاء لاستقرَّ على ظهر بعوضة^(١). وكان المروزي، صاحب ابن حنبل المتوفى عام ٢٧٥هـ، قد صنف كتاباً يثبت فيه جلوس الرسول إلى جوار الله على العرش. قال عنه الذهبي: فقام المروزي وقعد وبالغ في الانتصار لذلك، وجمع فيه كتاباً^(٢).

وقال ابن تيمية: الله جسم لا كال أجسام. وقال: وليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله قول أحد من سلف هذه الأمة وأئمتها أنه ليس بجسم، وأنَّ صفاته ليست جسماً ولا أعراضًا؛ فنفي المعانى الثابتة بالشرع بنفي الفاظ لم ينف معناها شرع ولا عقل جهل وضلال^(٣).

بداية الأفول

من هنا، ونتيجة لهذه المواقف، ثُبَّذَ الحنابلة من قبل المذاهب والحكومات، وأصبحوا من أقل مذاهب أهل السنة شأنًا وحجمًا، ولم يعد لهم ذكر، خاصةً بعد سقوط الدولة العباسية وفقد بغداد، التي كانت قاعدهم الكبرى؛ لدورها ومكانتها وتأثيرها، وحلَّت مكانها مُدن وعواصم أخرى.

انتشر المذهب الحنفي في بلاد ما وراء النهر بدعم من الحكومات التي برزت في تلك البلاد، وانتشرت معه عقيدة الماتريدي الحنفي، التي تناقض عقيدة الحنابلة.

وفي بلاد الشام ومصر، انتشر المذهب الشافعي بدعم الدولة الأيوبية، وانتشرت معه عقيدة الأشعري المتصادمة مع عقائد الحنابلة.

وفي بلاد المغرب والأندلس ساد المذهب المالكي، وسادت معه عقائد أخرى، كما سادت الصوفية..

وفي ظلّ هذه التغيرات، تقعَّعُ الحنابلة وتناقصوا، ولم يبقَ منهم إلا بعض الرموز

(١) انظر كتابه: النقض، أبوسعيد عثمان بن سعيد دارمي، ص ٤٥٧.

(٢) انظر: العلو للنهي؛ وانظر: ترجمة المروزي في سير أعلام النبلاء: ج ١٣، ص ١٧٣. وهو يعذَّ من الغلة.

(٣) انظر: تلبيس الجهمية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبوالعباس، ج ١، ص ١١٥ و ٣٠٢.

المتفرقة بين العراق والشام ومصر، ومنذ ذلك الحين لم يعد لهم صوت، ولم تصدر عنهم حركة، حتى جاء القرن الثامن الهجري، الذي بُرِزَ فيه ابن تيمية، المتوفى عام ٧٢٨هـ، محاولاً إحياء أفكار الخنابلة المتطرفة. وكانت النتيجة أن تصدّى له فقهاء عصره ونظراؤه وأوققوه، إلا أنه تمادى في موقفه الشاذ، وعمل على إبراز فكرة التجسيم والتتشبيه التي كان ينادي بها الخنابلة من قبل، وتصدّى لها فقهاء أهل السنة، بل أضاف إليها فكرة جديدة لم تكن مطروحة من قبل، وهي تحريم شد الرحال وزيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء والأولياء والصالحين.

ونوادي بدمشق - يومئذ - أنَّ مَنْ اعْتَقَدَ عِقِيدَةَ ابْنِ تِيمِيَّةَ حَلَّ دَمُهُ وَمَالُهُ، خصوصاً الخنابلة، ثُمَّ جَمَعَ الْخَنَابَلَةَ مِنَ الصَّالِحِيَّةِ - مَرْكَزَ تَجَمُّعِهِمْ بِدِمْشَقِ - وَغَيْرَهَا، وَأَشَهَدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ عَلَى مَعْقَدِ الشَّافِعِيِّ^(١).

وقد انقسم الفقهاء في مواجهة ابن تيمية:

مِنْهُمْ مَنْ نَسَبَ إِلَى التَّجَسِّيمِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ نَسَبَ إِلَى الْكُفْرِ وَالْزِنْدَقَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ طَالَبَ بِقَتْلِهِ^(٢).

وابن تيمية من القائلين بفناء النار، وهو ما دفع بشيخ الشافعية (السبكي الكبير) في زمانه للرد عليه، مؤكداً فساد هذا القول ومخالفته لعقائد أهل السنة^(٣).

هذا وغيره هو ما أدى إلى حبسه، ومعه تلميذه ابن القيم الجوزية، الذي أُفرج عنه بعد وفاة ابن تيمية في الحبس، ليجهر بأفكار أستاذه ومعه ابن كثير، ويتم القبض عليهم، ويطاف بهما في الطرقات على حمارٍ معكوسين^(٤).

(١) انظر: الدرر الكلمة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، ترجمة ابن تيمية، ج ١، ص ١٤٤ و ٢٧٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر رسالة السبكي: الموعظ والاعتبار ببقاء الجنة والنار.

(٤) انظر: الدرر، ج ٢، ص ٤٠٠ ودفع شبه من شبهه وتمرد للحصني. وكان ابن القيم قد تبع أستاذه في القول بالتجسيم وإنكار المجاز. انظر: منشورات الوهابيين في الباب القادم.

وابن القيم كان يحمل الكثير من طبائع ابن تيمية، وسار على سنته في النيل من علماء عصره، والتعصب لفكرة التجسيم، وإنكار شدّ الرحال، وترك الكثير من الآثار التي تدور في محيط هذه الأفكار.

اما ابن كثير، فقد اتجه نحو التركيز على التفسير والتاريخ، فقام بجمع تاريخ الطبرى وغيره من التواریخ في كتاب واحد، وقام بتهذیب تفسیر الطبری، وليس له آثار تُذكر سوى كتاب في مصطلح الحديث.

وظلَّ ابن كثير على التزامه بنهج ابن تيمية ومعتقداته، ونزعته العدائية للأخر، والتي تبدو بوضوح من خلال عرضه للحوادث التاريخية التي تتعلق بخصوم الخنابلة، أو الحديث عن أهل البيت، أو رموز المذاهب والتيارات الأخرى. وقد اهتمَّ الوهابيون بتاريخه وتفسيره، وقدموهُما على المصادر الأخرى^(١).

الوهابيون والخنابلة

وهؤلاء الثلاثة هم من اعتمد عليهم محمد بن عبد الوهاب في دعوته؛ فهو لم يجد دعماً لأفكاره إلا من خلال أفكار هؤلاء، ولم يجد عوناً من رموز أهل السنة سواهم، ولا حتى من الخنابلة القدامي، الذين لم يطروا قضية التوسل أو الاستغاثة بالأموات، أو شدّ الرحال أو إنكار إحياء المناسبات، وهي الأفكار التي برع وهو يدعو لها، وجعلها أساس دعوته، وفيصل بين الإسلام والشرك.

وابن عبد الوهاب لم يكن سوى شخصية بدوية جافة، غليظة القلب لا ذرائب لها من العلم أو من العقل، فليس في تاريخه ما يشير إلى نبوغه أو اجتهاده، في أي مجال من مجالات العلم، وهو ليس إلا مجرد نبت مفاجئ، تحيط به العديد من علامات الاستفهام!

(١) سُئِي تفسيره بتفسير القرآن العظيم. أما تاريخه، فسمى البداية والنهائية. انظر: ترجمة الإمام الصادق حوادث عام ١٤٨هـ، وقارن بينها وبين ترجمته لابن حنبل وابن تيمية.

ومن الطبيعي لشخصية تحمل هذه الصفات، أن تميل لطرح ابن تيمية الشاذ، الذي لا يحتاج تناوله لأدوات سوى القدرة على النقل والجهر بما يُنقل، وهو الأمر المتاح لكل الناس.

يروي الشيخ (الزيبي دحلان): أن شقيقه سليمان كان من أهل العلم، فكان يُنكر عليه إنكاراً شديداً في كلّ ما يفعله أو يأمر به، ولم يتبعه في شيءٍ مما ابتدعه. وقال له يوماً: كم أركان الإسلام يا محمد؟

فقال: خمسة.

فقال: أنت جعلتها ستة! السادس: مَنْ لَمْ يَتَّبِعْكَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ. هذا عندك ركن السادس للإسلام!

وقال له رجل يوماً: كم يعتق الله كل ليلة في رمضان؟

فقال: يعتق في كل ليلة مائة ألف، وفي آخر ليلة يعتق مثل ما اعتق في الشهر كله.

فقال له: لم يبلغ مَنْ اتَّبَعَكَ عُشْرَ عُشْرَ مَا ذُكِرَتْ، فَمَنْ هُؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَعْتَقُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ حَصَرَتِ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ وَفِيمَنْ اتَّبَعَكَ؟!

فبُهْتَ الذِّي كَفَرَ.

وقال له رجل آخر: ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة، وأنت تعرف صدقه، بأنَّ قوماً كثيرين قصدوك، وهم وراء الجبل الفلاقي، فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل، فلم يجدوا أثراً ولا أحداً منهم، بل ما جاء تلك الأرض أحد منهم. أَتَصْدِقُ الْأَلْفَ أَمِ الْوَاحِدِ الصَّادِقِ عِنْدَكَ؟

فقال: أَصْدِقُ الْأَلْفَ.

فقال له: إنَّ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، الْأَحْيَاءِ وَالْمُوْمَاتِ، فِي كِتَابِهِمْ يَكْذِبُونَ مَا أَتَيْتَ بِهِ وَيَزَّفُونَهُ، فَنَصَدَّقُهُمْ وَنَكْذِبُكَ؟!

فلم يُعرف جواباً لذلك.

وقال له رجل آخر: هذا الدِّينُ الَّذِي جَئْتَ بِهِ مَتَّصِلٌ أَمْ مَنْفَصلٌ؟

قال: حتى مشائخني ومشائخهم إلى ستمائة سنة كلّهم مشركون.

قال له: إذن، دينك منفصل لا متصل، فمن أخذته؟

قال: وحي وإلهام، كالحضر.

قال له: إذن، ليس ذلك محصوراً فيك، كل واحد يمكنه أن يدعى وحي الإلهام الذي تدعى به..

ثم يقول دحلاً: وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الأربع بالرد عليه؛ في كتب مبسوطة، عملاً بقول النبي ﷺ: (إذا ظهرت البدعة وسكت العالم، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). ويقوله ﷺ: (من ثامر أهل بدعة إلا أظهر الله فيهم حجّته على لسان من شاء من خلقه).

فلذلك انتدب للرد عليه علماء المشرق والمغرب، من جميع المذاهب، والتزم بعضهم بالرد عليه بأقوال الإمام أحمد وأهل مذهبة، وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها؛ لأنّه لم يكن له تكّن في العلوم، وإنما عرف هذه التزّعات التي زَيّنها له الشيطان.

وكان العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالي قد صنف كتاباً جليلاً في الرد عليه، وسئل عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والأدبية، فعجز عن الجواب عن أقلها، فضلاً عن أجلها.

ومن جملة ما سأله عنه، قوله تعالى **هُوَ الْعَادِيَاتِ ضَبَّحَاهُمْ** إلى آخر السورة، التي هي من قصار المفصل.. كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية؟^١
وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب، واستعارة حقيقة واستعارة وفاقة واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة؟

وأين الوضع والترشيح والتجريد والاستعارة بالكنایة والاستعارة التخييلية؟

وكم فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب؟

وما فيها من المجمل والمفصل؟

وما فيها من الإيجاز والإطناب، والمساواة والإسناد الحقيقى والإسناد المجازى، المسمى بالمجاز الحكيمى والعقلى؟
 وأى وضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس؟
 وما موضع ضمير الشأن وموضع الالتفات، وموضع الفصل والوصل، وكمال الاتصال وكمال الانقطاع؟
 وابحاجم بين كل جملتين متعلطفتين؟
 ومحل تناسب الجمل، ووجه التناسب ووجه كماله في الحسن والبلاغة؟
 وما فيها من إيجاز وقصر وإيجاز وحذف؟
 وما فيها من احتراس وتتميم؟
 وبين لنا موضع كل ما ذكر..

فلم يقدر ابن عبد الوهاب على الجواب عن شيءٍ مما سأله عنه^(١).
 إلا أنَّ مقوَمات ابن عبد الوهاب وظروف عصره، لم تكن لتسريح له القدرة على نشر دعوته وتمكينها وسط المسلمين، لو لا تحالفه مع ابن سعود، الذي وجد فيه ضالته المنشودة لتحقيق أطماعه في حكم جزيرة العرب، ووجد ابن عبد الوهاب أيضاً في ابن سعود ضالته لتحقيق الدعم والانتشار لدعوته.

من هنا، وكما تروي المصادر الوهابية، وضع ابن عبد الوهاب يده في يد ابن سعود، وعاهده قائلاً: الدم الدم، والهدم الهدم^(٢).
 ومن الواضح أنَّ الدم هنا هو دم المسلمين.

(١) انظر: النُّرُّ السنِّي في الرَّدِّ على الوهابية. ومثل هذه الروايتين اللَّتَيْنَ جاءَهَا دَحْلَانُ، يستخدمهما الوهابيون أيضًا ضدَّ خصومهم، باعتبارهم جاؤوا لينقذوا الدين من البدع، أمَّا اللغة التي استخدموها السائلون لابن عبد الوهاب، فهو أدنى منها بكثير، هو وأتباعه من العوام وضعاف العقول. وهو وأتباعه أراحو أنفسهم من الأدوات العقلية والمنطقية، واعتبروها من البدع والفضلالات؛ حتى لا يواجهوا بمثل هذه التساؤلات.

(٢) انظر: تاريخ الجزيرة العربية في عصر محمد بن عبد الوهاب لحسين خزعل، ج ١، ص ١٦٠، وانظر: في تاريخ محمد لعتمان بن بشير، ج ١، ص ٢٤.

والحمد هو هدم صروح المسلمين.

وهذه المعاهدة، فضلاً عن كونها تصطدم بنصوص الإسلام الصريحة، تصطدم أيضاً بعقيدة أهل السنة، التي تنص على عصمة دماء المسلمين، وعدم جواز الخروج على الحاكم وإنْ كان فاجراً فاسقاً.

إلا أنَّ ابن عبد الوهاب ضرب بنصوص الدين وعقيدة أهل السنة عرض الحائط، وانطلق يريق دماء المسلمين في جزيرة العرب بسيوف آل سعود، بحججة أنهم مشركون، معلناً عصيانه لل الخليفة العثماني.

ولم تفرز لنا الوهابية سوى مجموعة من الفرق المتعصبة، التي يتزعَّمها ضعاف العقول، الذين يعتمدون على النقل، وهم أشباه بحملة الأسفار، الذين قدَّموا لنا صورة طبق الأصل من حنابلة الماضي المشاغبين، المترَّبصين بال المسلمين المخالفين لهم.

إلا أنَّ حظ الوهابيين كان عظيماً بظهور النفط في جزيرة العرب، وهو ما وفر لهم الأموال والإمكانيات التي ساعدتهم على نشر عقائدهم وأفكارهم بين المسلمين، وساعدتهم أيضاً في استقطاب الرموز الإسلامية، واحتراق مؤسساتهم ونباراً لهم في كلِّ مكان.

كذلك استغلت الوهابية بروزها في أرض الحرمين في الدعاية والتأثير على المسلمين. وعليه يمكن القول: إنَّه لو لا ظهور النفط، ولو لا وجود الوهابية في أرض الحرمين؛ لكان من الممكن لها أن تصبح في ذمة التاريخ، شأنها شأن آية دعوة وضيعة أو فرقة ضالة من الفرق التي ظهرت في واقع المسلمين.

وإذا كان الحنابلة القدامى مجرد نقلة معطلو العقول، فإنَّ حنابلة العصر من الوهابيين كذلك، فهم قد انكبُوا على تراث الحنابلة المتطرفين وتراث ابن تيمية وبعثوه من رقlette، ونشروه وسط المسلمين بدعوى أنه يمثل خط السلف الصالح، وعقيدة أهل السنة. وانطلقت الخدعة على البسطاء من المسلمين، الذين لا يملكون القدرة على التمييز بين عقيدة هؤلاء الحنابلة وعقيدة أهل السنة.

أكاذبهم علم أهل السنة

تبين لنا مما سبق مخالفة الخنابلة لأهل السنة في العديد من القضايا العقدية. وتبين لنا أيضاً تطرّقهم في مواجهة المخالفين لهم من أهل السنة وغيرهم. وأنه بعد سقوط الدولة العباسية توالي الخنابلة لتحلّ محلّهم مذاهب وعقائد أخرى، أصبحت هي المثل الشرعي لأهل السنة.

وعلى رأس هذه المذاهب: المذهب المالكي، والحنفي، والشافعى.

وعلى رأس هذه العقائد: العقيدة الماتريدية التي ارتبطت بالأحناف، والعقيدة الأشعرية التي ارتبطت بالشافعية.

ويرى ابن تيمية حاولاً إحياء عقائد الخنابلة وفشل، واستمررت هذه العقائد هي السائدة في واقع المسلمين حتى ظهور الحركة الوهابية، التي عملت على بث معتقدات الخنابلة المتطرفة، وأفكار ابن تيمية المتصادمة مع أهل السنة، وتمكنّت من فرضها في جزيرة العرب بقوة السيف.

وعملت الوهابية، ولا زالت تعمل، على إثبات صحة مذهبها وسلامة أفكارها؛ بادعاء تمثيلها لأهل السنة، ونطقها بلسانهم.

ولما كان الخنابلة لا يمثلون أهل السنة، كان الوهابيون الذين يسيرون على نهجهم،

لائمثرون أهل السنة أيضاً.

وعلى الرغم من شك العديد من المسلمين في دعوى تمثيل الوهابية لأهل السنة، إلا أنَّهم لم يتحرَّكوا للتصدي لهم وكشف ألاعيبهم، وذلك للأسباب التالية:

- تغلغل الوهابية في المؤسسات والهيئات الإسلامية.
- إرهاب الفرق الوهابية.
- بحارة الحكومات للنظام السعودي.

من هنا وجد الوهابيون أمامهم الساحة خالية من المنافسين، فرفعوا شعار السلف وشعار الفرقة الناجية من النار، حتى صدَّقوا أنفسهم أنَّهم الممثلون للسلف، وأنَّهم الفرقة الناجية من النار.

وفي دائرة هذا الباب، سوف نعمل على كشف صور التضليل والتزييف لعقائد أهل السنة، التي يحاول الوهابيون من خلالها دفع المسلمين إلى اتباعهم وتبني أفكارهم. أما أكاذيب الوهابية على أهل السنة، فيمكن حصرها فيما يلي:

- أكاذيبهم حول التوحيد.
- أكاذيبهم حول القبور والتوسُّل.
- أكاذيبهم على التراث.

أكاذبهم حول التوبيخ

عرضنا فيما سبق نماذج من صور التجسيم والتشبيه التي تبنّاها الحنابلة في الماضي، و موقف فقهاء أهل السنة الرافض لها.

وهذا الإنكار كان على أساسين هما:

□ إنكار الروايات التي استندوا إليها.

□ تأويل هذه الروايات.

والحنابلة لم يعجبهم الموقفين، وأعلنوا الحرب على أصحابهما.

وقد تبنّى الوهابيون فكرة التجسيم والتشبيه من الحنابلة القدامى وابن تيمية كما هي، وتعصّبوا لها كما تعصّب لها حنابلة الماضي، وأنزلوا لعناتهم على الرافضين لهذه الفكرة من مسلمي العصر، وأطلقوا عليهم اسم (الجهمية)، تماماً كما أطلق الحنابلة في الماضي لفظ (الجهمية) على كل من رفض روایاتهم أو قام بتأويلها.

وحتى تُتَّضح لنا الصورة؛ سوف نستعرض هنا مواقف فقهاء أهل السنة من مسألة التجسيم والتشبيه، ومن تبنّاها من حنابلة الماضي.

وأول ما سوف نعرضه هنا، هو موقف ابن الجوزي الحنبلي، الذي أعلن رفضه لفكرة التجسيم والتشبيه التي تبنّاها أصحابه، واعتبرها لا تعبّر عن عقيدة الإمام أحمد

بن حنبل والسلف.

قال ابن الجوزي: (رأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح، وانتدبت للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله بن حامد، وصاحبه القاضي، وابن الزاغوني، فصنفوا كتبًا شانوا بها المذهب، ورأيتمهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحسن، فسمعوا أنَّ الله خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة وجهًا، زائدًا على الذات، وعيينَ وفمًا، ولهوات وأضراساً، وأصوات لوجهه هي السبحات، ويدين وأصابع وكفًا وخنصرًا وإيماءً، وصدرًا وفخذًا وساقين ورجلين، وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس، وقالوا: يجوز أنْ يمسَ ويُمسَ، ويدني العبد من ذاته، وقال بعضهم: يتنفس. ثُمَّ يرضون العوام بقولهم لا كما يُعقل.

وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات، فسمّوها بالصفات تسمية مُبتدعة، لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصرافية عن الظواهر إلى المعانى الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث، ولم يقتنعوا بأنْ يقولوا صفة (فعل) حتى قالوا صفة (ذات). ثُمَّ لما أثبتو أنها صفات ذات، قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة، مثل: يد على نعمة وقدرة، ومجيء وإitan على معنى بر ولطف، وساق على معنى شدة. بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعمت الأدميين، والشيء إنما يُحمل على حقيقته إذا أمكن.

ثُمَّ يتحرّجون من التشبيه ويتأنفون من إضافته إليهم، ويقولون نحن أهل السنة، وكلامهم صريح في التشبيه، وقد تبعهم خلقٌ من العوام.

وقد نصحـت التابع والمتبوع، فقلت لهم: يا أصحابنا، أنتم أصحاب نقل، وإمامكم الأكبر ابن حنبل يقول وهو تحت السياط: كيف أقول ما لم يُقل، فإذاًكم أن تبتدعوا في مذهبـه ما ليس منه.

ثُمَّ قلتـم في الأحاديث: نُحمل على ظواهرها، وظاهر الـقـدـمـ الـجـارـحةـ؛ فإـنـهـ لـمـ أـقـيلـ فـيـ

عيسى روح الله، اعتقدت النصارى أنَّ الله صفة، هي روح ولجَت في مريم. ومن قال استوى بذاته، فقد أجراه مجرى الحسيّات، وينبغي ألا يُهمل ما يثبت به الأصل، وهو العقل، فإنما عرَفنا به الله تعالى، وحكمنا له بالقِدْم، فلو أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت، ما أنكر عليكم أحد. إنما حلّكم إياها على الظاهر قبيح، فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح - ابن حنبل - ما ليس منه، ولقد كسيتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً، حتى صار لا يُقال حنبلي إلا مجسماً، ثم زَيَّتم مذهبكم أيضاً بالعصبية ليزيد بن معاوية، ولقد علمتم أنَّ صاحب المذهب أجاز لعنه، وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم: لقد شانَ المذهب شيئاً قبيحاً لا يُغسل إلى يوم القيمة..

وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتم في سبعة أوجه:

الأول: إنهم سَوَوا الأخبار أخبار صفات، وإنما هي إضافات، وليس كلَّ مُضاف صفة.
والثاني: إنهم قالوا إنَّ هذه الأحاديث من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم قالوا نحملها على ظواهرها، فوا عجباً! ما لا يعلمه إلا الله أي ظاهر له؟! فهل ظاهر الاستواء إلا القعود، وظاهر النزول إلا الانتقال؟!

الثالث: إنهم أثبتو الله تعالى صفات، وصفات الحق لا تثبت إلا بما يثبت به الذات من الأدلة القطعية.

الرابع: إنهم لم يفرقوا في الأحاديث بين خبر مشهور، قوله: ينزل إلى السماء الدنيا، وبين حديث لا يصح، قوله: رأيت ربي في أحسن صورة، بل أثبتو هذا صفة.. وهذا صفة.

الخامس: إنهم لم يفرقوا بين حديث مرفوع للنبي ﷺ، وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي، فأثبتو هذا ما أثبتوه هذا.

السادس: إنهم تأوّلوا بعض الألفاظ في موضع، ولم يتأوّلوا في موضع آخر، قوله: من أتاني يمشي أتيته هرولة، قالوا هذا ضرب مثل الأنعام.

ورُوي عن عمر بن عبد العزيز أَنَّه قال: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَاءَ اللَّهُ يَعْشِي. فَقَالُوا: نَحْمِلُهُ عَلَى ظَاهِرِهِ.

قلتُ: فَوَاعْجَبًا مَّنْ تَأْوَلَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا يَتَأْوَلَ كَلَامَ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ!

السابع: إِنَّهُمْ حَمَلُوا الْأَحَادِيثَ عَلَى مَقْتَضِيِ الْحَسَنِ، فَقَالُوا: يَنْزَلُ بِذَاتِهِ، وَيَنْتَقِلُ وَيَتَحَرَّكُ، ثُمَّ قَالُوا: لَا كَمَا يَعْقُلُ. فَغَالَطُوا مَنْ يَسْمَعُ، فَكَابِرُوا الْحَسَنَ وَالْعُقْلَ، فَحَمَلُوا الْأَحَادِيثَ عَلَى الْحَسَنِيَّاتِ.

فَرَأَيْتُ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ لَازِمًا، لِثَلَاثَةِ يُنْسَبُ إِلَيْهِمْ إِلَى ذَلِكَ، وَإِذَا سَكَتُ نُسِبَتْ إِلَى اعْتِقَادِ ذَلِكَ، وَلَا يَهُولُنِي أَمْرٌ عَظِيمٌ فِي النُّفُوسِ، لَأَنَّ الْعَمَلَ عَلَى الدَّلِيلِ، وَخُصُوصًا فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، لَا يَجُوزُ فِيهِ التَّقْلِيدُ^(١).

وَيَظْهُرُ لَنَا مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْجُوَزِيِّ مَا يَلِي:

أَوَّلًا: إِنَّ الْخَنَابِلَةَ اتَّجَهُوا نَحْوَ التَّجَسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ.

ثَانِيًّا: إِنَّهُمْ غَالُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ وَتَعَصَّبُوا إِلَيْهِ.

ثَالِثًا: إِنَّهُمْ اعْتَمَدُوا فِي مَوْقِفِهِمْ عَلَى الرَّوَايَاتِ وَغَالُوا فِي شَأْنِهَا.

رَابِعًا: إِنَّهُمْ خَالَفُوا بِذَلِكَ مِنْهَبِ إِمَامِهِمْ ابْنِ حَنْبَلٍ.

خَامِسًا: إِنَّهُمْ ادَّعُوا تَمْثِيلَ أَهْلِ السَّنَّةِ.

سَادِسًا: إِنَّ ابْنَ الْجُوَزِيِّ الْخَنَبِلِيِّ رَفِضُوهُمْ وَاعْتَبَرُوهُمْ مُنْحَرِفِينَ عَنْ مِنْهَبِ ابْنِ حَنْبَلٍ وَعَنْ عِقِيدَةِ السَّلْفِ.

وَنَأَقِي بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى شَاهِدٍ آخَرَ مِنْ فَقَهَاءِ أَهْلِ السَّنَّةِ، وَهُوَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ،
الْأَشْعَرِيُّ الْمُعْتَدِّ.

وَعِقِيدَةُ الْأَشْعَرِيِّ تُمَثِّلُ الْقَطَاعَ الأَكْبَرَ مِنْ أَهْلِ السَّنَّةِ، وَتَلِيهَا عِقِيدَةُ الْمَاتَرِيدِيِّ.
وَقَدْ أَنْزَلَ الْخَنَابِلَةَ فِي الْمَاضِيِّ، وَابْنَ تِيمِيَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ، شَتَّى الْلَّعْنَاتِ وَالْطَّعُونَاتِ عَلَى

(١) انظر: دفع شبه التشبيه بأكمل التنزيه. وابن الجوزي مدخل الكتاب.

الأشعري وأتباعه، وسار الوهابيون على هذا النهج المعادي للأشعري والأشاعرة. ومن شلة موقف الحنابلة في الماضي من الأشعري، وتنقصهم له ولعناتهم عليه؛ كان ردّ فعل ابن عساكر شديداً. وهو إن دلّ على شيء، فإثما يدلّ على أنَّ أهل السنة كانوا مجتمعين على الأشعري ومت Hwyزيين له ضدَّ الحنابلة وابن تيمية أيضاً، وأنَّ الحنابلة لم يكونوا يمثلون أهل السنة في تلك الفترة، وحتى في الفترات اللاحقة على ما سوف نبيِّن.

وهو ما دفع بابن عساكر للرد عليهم والدفاع عن الأشعري، وتوجيهاته سهامه للناقمين على الأشعري والأشاعرة؛ حيث نقل قول أبو القاسم القشيري عن فتنة عام ٥٤٥هـ: (هذه قصة سَكَنَاهَا "شَكَايَةُ أَهْلِ السَّنَةِ بِحَاكِيَةِ مَا نَاهَمُ مِنَ الْمُنْهَنَةِ"، رفعها عبدُ الْكَرِيمِ بْنُ هُوازَانَ الْقَشِيرِيَّ إِلَى الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ بِجَمِيعِ بَلَادِ الْإِسْلَامِ، مَّا اظْهَرَ بِنِيْسَابُورَ مِنْ قَضَايَا التَّقْدِيرِ، فِي مَفْتُحِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبِعَمْةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ؛ مَا دَعَا أَهْلَ الدِّينِ إِلَى شَقَّ صَدْرِهِمْ صَبَرًا، وَكَشَفَ قَنَاعَ صَبَرِهِمْ، مَمَّا أَحَدَثَ مِنْ لَعْنَ إِمَامِ الدِّينِ وَسَرَاجِ ذُوِّيِّ الْيَقِينِ، مَحِيَّ السَّنَةِ وَقَامَ بِالْبَدْعَةِ، وَنَاصَرَ الْحَقَّ وَنَاصَحَ الْخَلْقَ، الزَّكِيُّ الرَّاضِيُّ أَبِيِّ الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ. وَهُوَ الَّذِي ذَبَّ عَنِ الدِّينِ بِأَوْضَعِ حُجَّجٍ، وَسَلَكَ فِي قَمَعِ الْمُعْتَزَلَةِ وَسَائِرَ أَنْوَاعِ الْمُبَتَدِعَةِ أَبْيَنَ هُجُّ، وَلَا مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ عَلَىِ الْإِسْلَامِ).

بِزَمَانِ السُّلْطَانِ الْمُعْظَمِ الْمُحْكَمِ بِالْقُوَّةِ السَّمَاوِيَّةِ فِي رِقَابِ الْأَمْمِ، الْمَلَكِ الْأَجْلِ شاهنشاه، يمين خليفة الله وغياث عباد الله طغرل بك، أبي طالب محمد بن ميكائيل. وقام بإحياء السنة والمناضلة عن الملة، حتى لم يبقَ من أصناف البدعة حزباً إلا سلُّ لاستئصالهم سيفاً غضباً، وأذاقهم ذلاً وخشفاً، وعقب لآثارهم نسفًا؛ فسعوا إلى عالي مجلس السلطان المعظم بنوع غنيمة، ونسبوا الأشعري إلى مذاهب ذميمة، وحكوا عنه مقالات لا يوجد في كتبه منها حرف، وقد وعد الله للحق نصره وظهوره، وللبطول محظوظ ثبوره.

إلا أن كُتب الأشعري في الأفاق مبئوثة، ومذاهبه عند أهل السنة من الفريقين معروفة ومشهورة، فمن وصفه بالبدعة علم أنه غير محق في دعواه، وأن جميع أهل السنة خصميه فيما افتراه.

وكتب الفقهاء بخطوطهم: اتفق أصحاب الحديث أن أبا الحسن الأشعري كان إماماً من أئمة أصحاب الحديث، ومذهبة مذهب أصحاب الحديث، تكلم في أصول البيانات على طريقة أهل السنة، وردد على المخالفين من أهل الرذين والبدعة، ومن طعن فيه أو قدح أو لعنه أو سبه فقد بسط لسانه في جميع أهل السنة^(١).

ونستنتج مما سبق أن هجوم الخنابلة وابن تيمية، ثم الوهابيين من بعدهم، على الأشعري والأشاعرة، يعني الهجوم على أهل السنة، ويعني أيضاً رفض طريقة الأشعري وعقيلته، مما يعني بالتبعية أن الخنابلة وابن تيمية والوهابيين لا يمثلون أهل السنة، ويتبين التمجسي والتشبّه، الذي تبرأ منه الأشعري والأشاعرة.

أما الشاهد الثالث، فهو الحصني الحنبلي، الذي وضع كتاباً ضدَّ الخنابلة المتطرفين **المجسِّمين والمشبهين** في زمانه.

قال في مقدمة كتابه: فإن سبب وضع هذه الأحرف اليسيرة، ما دمني من الحيرة، من أقوام أخبار السريرة، يظهرون الانتفاء إلى مذهب السيد الجليل الإمام أحمد، وهم على خلاف ذلك والفرد الصمد.

والعجب أنهم يعظّمونه على الملا، ويكتاتبون إضلاله مع بقية الأئمة، وهم أكفر منْ عمرَد وجحد. ويُضلّلون عقول العوام وضعفاء الطلبة بالتمويه الشيطاني، وإظهار التعبّد والتقطُّف، وقراءة الأحاديث ويعنون بالمسند، وكل ذلك خُزعَّلات منهم وتمويه، وقد انكشف أمرهم حتى لبعض العوام.

و بهذه الأحرف يظهر الأمر - إن شاء الله تعالى - لكل أحد إلاَّ مَنْ أراد الله عز وجل

(١) انظر: تبيين كذب المفترى فيما نسب للأشعري، ج ١، ص ١١٠-١١٣ بتصريف. وابن عساكر ثوفي عام ٥٧١.

إضلاله وإيقاعه في العذاب السرمد.

ومذا الكلام موجّه لابن تيمية وأتباعه، بعد أن تجراً بنفي خلود العذاب وسرميته، أو القول بفناء النار، والحرف عن معتقد ابن حنبل.

وقال: إنَّ أهل التشبيه والتجسيم، والمُزدرِّين سيد الأوَّلين والآخرين، تبعاً لسلالة القردة والخنازير، لهم وجود وفيهم كثرة، وقد أخذوا بعقول كثير من الناس، لما يزيّنون لهم من الإطراء على قدومهم، ويُزخرفون لهم بالأقوال والأفعال، ويعوّهون لهم بإظهار التنسُّك والإقبال على كثرة الصلاة والصوم والحج والتلاوة، وغير ذلك.. مَا يحسن في قلوب كثير من الرجال، لاسيما العوام الماثلين مع كل ريح، أتباع الدجال. فانقادوا لهم بسبب ذلك، وأوقعوهم في أسرِ المهالك، فرأيت بسبب هذه المكائد والخزعبلات، أنْ أتعرّض لسوء عقيلهم؛ قمعاً لهذا الزائف عن طريق الحق، وهم الأئمَّة الأربع، المقتدى بهم والمعوّل عليهم في جميع الأعصار والأقطار، وأذكر ما وقع لهذا الرجل من الحيدة عن طريق هذه الأئمَّة، وأذكر ما انطوى باطنُه الخبيث عليه، وما عوّل في الإفساد بالتصريح أو بالإشارة إليه، ولو ذكرت كثيراً مما ذكره ودوّنه في كتبه المختصرات، لطال جداً، فضلاً عن المسوّطات.

قال بعض علماء الحنابلة في الجامع الأموي في ملاً من الناس: لو اطلع الحصني على ما اطلعنا عليه من كلامه، لاخرجه من قبره وأحرقه.

فأوْل ما سلكه من المكر والخداعة، أنْ انتهى إلى منصب الإمام أحمد، وأخذ يدلوّن ويدرك أنه جاءه استفتاء من بلد كذا، وليس لذلك حقيقة.

وقال الرسول ﷺ: (ألا إنَّ الفتنة هنا، ويشير إلى المشرق، حيث يطلع قرن الشيطان). وفي رواية أخرى: (خرج رسول الله من بيت عائشة فقال: رأس الكفر هنا، من حيث يطلع قرن الشيطان).

وهذا المبتدع - ابن تيمية - من حرَّان الشرق، بلدة لا نزال يخرج منها أهل البدع،

كجعد وغيره.

ومن أحاديث الخوارج: (سيماهم التحليق، فإذا رأيتموه فاقتلوهم). فقد أوضحهم سيد الناصحين عليه السلام، باعتبار أوصافهم وأماكنهم، إياضًا جليًا لا خفاء فيه ولا جهة، فلا يتوقف في معرفتهم بعد ذلك إلا من أراد الله تعالى إضلالة. وإذا تمهد لك أيها الراغب في فكاك نفسك من رقة عقائد أهل الزيف الضالين المسلمين، والاقتداء بأهل السلامة في الدين؛ فاعلم إني نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض الزيف، المتبع ما تشابه في الكتاب والسنة ابتغاء الفتنة، وتبعه على ذلك خلق من العوام، وغيرهم من أراد الله إهلاكه، فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به، ولا لي أناضل تطاوعني على رسه ونسطيره؛ لما فيه من تكذيب رب العالمين، في تزويجه لنفسه في كتابه المبين، وكذا الازدراء بأصنفاته المنتخبين، وخلفائهم الراشدين، وأتباعهم الموفقين. فعدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمة المتفقون، وما اتفقا عليه من تبديعه وإخراجه ببعضه من الدين، فمنه ما دوّن في المصنفات، ومنه ما جاءت به المراسيم العليا وأجمع عليه علماء عصره، من يرجع إليهم في الأمور والملمات، والقضايا المهمات، وتضمّنته الفتاوي الزكبات من دنس أهل الجهالات، ولم يختلف عليه أحد، كما اشتهر بالقراءة والمناداة على رعوس الأشهاد، في الجامع والجامعة، حتى شاع وذاع، واتسع به الباع.

ومن ذلك نسخة المرسوم الشريف السلطاني، ناصر الدين والدنيا محمد بن قلاوون، وقرئ على منبر جامع دمشق، هار الجمعة سنة خمس وسبعين، وصوريته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ترَأَّسَ عن التشبيه والنظر. وتعالى عن المثل، فقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَوِ كَمِيلٌ كَمِيلٌ شَيْءٌ﴾.

أحمده على ما أهمنا من العمل بالسنة والكتاب، ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتياح.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة من يرجو بأخلاصه حسن العقبى والمصير، وينزه خالقه عن التحيز في وجهه، لقوله تعالى **«وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُتِّبْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»**.

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ﷺ، الذي هج سبيل النجاة لمن سلك سبيل مرضاته، وأمر بالتفكير في الآيات، وفني عن التفكير في ذاته، وأصحابه الذين علام منازل الإيمان، وارتفع وشيد لهم من قواعد الدين الخيفي ما شرع، وأحمد لهم كلمة من حاد عن الحقٍ ومال إلى البدع.

وبعد.. فإن القواعد الشرعية، وقواعد الإسلام المرعية، وأركان الإيمان العملية، ومذاهب الدين المرضية، هي الأساس الذي يُبني عليه، والموئل الذي يرجع كل من حاد إليه، والطريق الذي من سلكها فاز فوزاً عظيماً، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً؛ وهذا يجب أن تتعقد أحکامها، ويؤكّد دوامتها، وتنصان عقائد هذه الأمة من الاختلاف، وتنزان بالرحمة والعطف والائتلاف، وتحمد ثواب البدع، ويفرق من فرقها ما اجتمع.

وكان ابن تيمية في هذه الملة قد بسط لسان قلمه، ومدّ بجهله عنان كلمه، وتحدى بمسائل الذات والصفات، ونصّ في كلامه الفاسد على أمور مُنكرات، وتكلّم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، وفاه بما اجتنبه الأئمة والأعلام الصالحون، وأنى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام، وانعقد على خلافه إجماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه ما استخفّ به عقول العوام، وخالف في ذلك فقهاء عصر، وأعلام علماء شامه ومصره، ووثّ به رسائله إلى كلّ مكان، وسمى فتاويه بأسماء ما أنزل بها من سلطان.

ولما اتصل بنا ذلك، وما سلك به هو ومريلوه من هذه المسالك الخبيثة، وأظهروه من هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنه استخفّ قومه فأطاعوه. حتى اتصل بنا أنهم صرّحوا في حق الله سبحانه بالحرف والصوت والتشبيه والتجسيم، فقمنا في نصرة الله مُشفقين

من هذا النبأ العظيم، وأنكرنا هذه البدعة، وعزاً أن يشيع عَمَّنْ تضمنه مالكه هذه السمعة، وكرهنا ما فاه به المبطلون، وتلونا قوله تعالى **هُسْبَانَ رَبِّكَ رَبُّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ**، فإنه سبحانه وتعالى تَنَزَّهَ في ذاته وصفاته عن العديل والنظير، **هُلَا تُذَرِّكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُذَرِّكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**. فتقلمت مراسينا باستدعاء ابن تيمية المذكور إلى أبوابنا، حينما سارت فتاواه البطلة في شامنا ومصرنا، وصرح فيها بالفاظ ما سمعها ذو فهم إلا وتلا قوله تعالى: **هَلَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا**.

ولما وصل إلينا الجمع، أولوا العقد والحل، وذوو التحقيق والنقل، وحضر قضاء الإسلام وحكام الأنام، وعلماء المسلمين وأئمة الدنيا والدين، وعقد له مجلس شرعي في ملأ من الأئمة، وجمع، مَنْ لَهْ دراية في مجال النظر ودفع، ثبت عندهم جميع ما نسب إليه، بقول مَنْ يعتمد عليه ويقول عليه، ويقتضى خطأ قلمه الدال على منكر معتقده، وانفصل ذلك الجمع، وهم لعقيدته الخبيثة منكرون، وآخنوه بما شهد به قلمه تالين **هُسْتُكْتَبَ شَهَادَتَهُمْ وَ يُسْتَلَوْنَ**.

وبلغنا أنه قد استتب مراراً فيما تقدم، وأخره الشرع الشريف لما تعرض لذلك وأقدم، ثم عاد بعد منعه، ولم يدخل في سمعه. ولما ثبت ذلك في مجلس الحاكم الملكي، حكم الشرع الشريف أن يُسجن هذا المذكور، ويعن من التصرف والظهور، ويكتب مرسومنا هذا بأن لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسائل، وينهى عن التشبيه في اعتقاد مثل ذلك، أو يعود له في هذا القول متبعاً، أو لهذه الألفاظ مستمعاً، أو يسري في التشبيه مسراه، أو يفووه بجهة العلو بما فاه، أو يتحدى أحد بحرف أو صوت، أو يفووه بذلك إلى الموت، أو ينطق بتجمسيم، أو يحيد عن الطريق المستقيم، أو يخرج عن رأي الأئمة، أو ينفرد به عن العلماء، أو يحيّز الله سبحانه وتعالى في جهة، أو يتعرض إلى حيث وكيف، فليس لمعتقد هذا إلا السيف.

فليقف كل واحد عند هذا الحد، والله الأمر من قبل ومن بعد، وليلزم كل واحد من

الخنابلة بالرجوع عن كل ما أنكره الأئمة من العقيدة، والرجوع عن الشبهات الذايعة الشديدة، ولزوم ما أمر الله تعالى به، والتمسك بمسالك أهل الإيمان الحميدة، فإنه مَنْ خرج عن أمر الله فقد ضلَّ سواء السبيل، ومثل هذا ليس له إِلَّا التنكيل، والسجن الطويل مستقرةً ومقبلة وبئس المقيل، وقد رسمنا بأن يُنادي في دمشق المحرورة والبلاد الشامية، وتلك الجهات الدينية والقصبة، بالنهي الشديد والتخييف والتهديد، لَمَنْ اتَّبع ابن تيمية في هذا الأمر الذي أوضحته، ومن تابعه تركناه في مثل مكانه وأحللناه، ووضعناه من عيون الأمة كما وضعناه. ومن أصرَّ على الامتناع، وأبى إِلَّا الدِّفاع، أمرنا بعذلهم من مدارسهم ومناصبهم، وأسقطناهم من مراتبهم مع إهانتهم، وأن لا يكون لهم في بلادنا حكم ولا ولادة، ولا شهادة ولا إماماة، بل ولا مرتبة ولا إقامة، فإنَّا أنزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد، وأبطلنا عقیدته الخبيثة التي أضلَّها كثيراً من العباد أو كاد، بل كم أضلَّها من خلق وعاثرواها في الأرض الفساد، ولثبت المخاضر الشرعية على الخنابلة بالرجوع عن ذلك، وتسير المخاضر بعد إثباتها على قضاة المالكية، وقد أعدْنَا وحدَنَا وأنصفنا حين أندَرْنَا، وليرأ مرسومنا الشريـف على المنابر، ليكون أبلغ واعظ وزاجر لكلَّ باد وحاضر، والاعتماد على الخطـ الشريـف أعلاه.

كُتب في الثامن والعشرين من شهر رمضان، سنة خمس وسبعينه.

قال الحصني: وأزيد على ذلك ما ذكره صاحب عيون التاريخ، وهو ابن شاكر، ويُعرف بصلاح الدين الكتبـي، وكان من أتباع ابن تيمية، وضرـب الضرب البليـغ، لكونه قال للمؤذنـ في مئذنة العروس وقت السحر: أشرـكتـ. حين قال:

ألا يا رسول الله أنت وسـيلـتي إلى الله فـي غـفرـانـ ذـنبـي وـذـلتـي

وأرادوا ضرب عنقه ثمَّ جدَّدوا إسلامـهـ، وإنـما ذـكرـ ما قالـهـ لأنـهـ أـبلغـ في حقـ ابنـ تـيمـيـةـ في إـقـامـةـ الحـجـةـ عـلـيـهـ، معـ آنـهـ أـهـمـ أـشـيـاءـ مـنـ خـبـثـهـ وـلـؤـمـهـ، لـمـ فـيـهـ مـاـ مـنـ الـمـالـفـةـ فـيـ إـهـانـةـ قـدـوـنـهـ. وـالـعـجـبـ آنـ ابنـ تـيمـيـةـ ذـكـرـهـ وـهـ سـكـتـ عـنـهـ

ابن تيمية والاستواء

قال الحصني: فمن ذلك ما أخبر به أبو الحسن علی الدمشقي في صحن الجامع الأموي عن أبيه، قال: كنا جلوساً في مجلس ابن تيمية، فذكر ووعظ وتعرّض لأيات الاستواء، ثمَّ قال: واستوى الله على عرشه كاستواه هذا.

قال: فوثب الناس عليه وثبة واحدة، وأنزلوه من الكرسي، وبادروا إليه ضرباً باللّكم والنعال وغير ذلك، حتى أوصلوه إلى بعدهم الحكام، واجتمع في ذلك مجلس العلماء، فشرع بنظرهم.

فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟

فقال: قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

فضحکوا منه، وعرفوا أنه جاهل لا يجري على قواعد العلم.

فقالوا: ما تقول في قوله تعالى ﴿فَإِنَّمَا تُولُّوا فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾؟

فأجاب بأجوبة تحققوا أنه من الجهلة على التحقيق، وأنه لا يدري ما يقول.

وكان قد غرَّ بنفسه ثناء العوام عليه، وكذا الحامدين من الفقهاء العارفين من العلوم التي بما يجمع شمل الأدلة على الوجه المرضي.

وقد رأيت في فتاويه ما يتعلّق بمسألة الاستواء وقد أطنب فيها، وذكر أموراً كلها تلبيسات وتجزيات خارجة عن قواعد أهل الحق، والنظر فيها إذا لم يكن ذا علوم وفطنة وحسن رؤية، ظنَّ أنها على منوال مرضي. ومن جملة ذلك بعد تقريره وتطويله، (أنَّ الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة)، وغيره مما هو كثير في كلامه، يتحقق ما جعله وفساد تصوّره وبلاذه.

وكان بعضهم يسمُّيه حلطب ليل.

وبعضهم يسمُّيه المدار المهدار.

وكان الإمام العلامة شيخ الإسلام في زمانه، أبو الحسن علي بن إسماعيل القوني، يصرّح بأنه من الجهلة بحيث لا يعقل ما يقول، ويخبر أنه أخذ مسألة التفرقة عن شيخه، الذي تلقاها من أفراد السامرة واليهود، الذين أظهروا التشرف بالإسلام.

وقد وقفت على المسألة، أعني مسألة التفرقة، التي أثارها اليهود ليزدروا النبي ﷺ ما، وبمحضها فيها على قواعد مأخوذة من الاشتقاد، وكانوا يقطعون ما على الضعفاء من العلماء، فتصدى لهم الجهابذة من العلماء، وأفسدوا ما قالوه بالنقل والعقل، والاستعمال الشرعي والعرف، وأبادوهم بالضرب بالسياط وضرب الأعناق، ولم يبق منهم إلا الضعفاء في العلم، ودامت فيهم مسألة التفرقة حتى تلقاها ابن تيمية عن شيخه، وكنت أظن ابتكرها.

وأتفق الحذاق في زمانه من جميع المذاهب على سوء فهمه، وكثرة خطئه، وعدم إدراكه للماخذ الدقيقة وتصورها، عرفا ذلك منه بالملفوضة في مجالس العلم.

ثم استعرض الحصني بعد ذلك ما ذكره ابن شاكر في تاريخه، في حوادث سنة خمس وسبعين، في الثامن من رجب، والمحاكمات التي جرت لابن تيمية بسبب ما قاله في عقيدته الواسطية، وإشهاد ابن تيمية على نفسه أنه شافعي المذهب والمعتقد.

ثم عقد له مجلس ثان في أمر العقيدة، بعد أن ظاهر أتباعه بأقواله وقالوا إن الحق معه، فأحضروا إلى مجلس القاضي جلال الدين القزويني، وأحضر ابن تيمية، وصنف ورسم تعزيره.

ثم عقد له مجلس ثالث في أمر العقيدة، وطلب إلى مصر بعد وقوع أشياء كثيرة من الخنابلة فيها، وعقد له مجلس بقلعة القاهرة، بحضور القضاة والفقهاء والعلماء والأمراء. وقام الشيخ شمس الدين عدنان الشافعي فادعى على ابن تيمية في أمر العقيدة، فذكر منها فصولاً، فشرع ابن تيمية فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وتكلم بما يقتضي الوعظ. فقيل له: يا شيخ، إن الذي تقوله نحن نعرفه، وما لنا حاجة إلى وعظك، وقد أدعى

عليك بدعوى شرعية فأجب.

فأراد ابن تيمية أن يعيد التحميد فلم يمكنه من ذلك، بل قيل له: أجب.
فتوقف وكرر عليه القول مراراً، فلم يزدهم على ذلك شيئاً وطال الأمر.

وعند ذلك حكم القاضي الملكي بمحبسه في برج من أبراج القلعة، فترددَ إليه جماعة من النساء، فسمع القاضي بذلك، فاجتمع بالأمراء وقال: يجب عليه التضييق إذا لم يُقتل، وإنْ فقد وجب قتله وثبت كفره.

ووصل من الديار المصرية قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى، وكانوا قد يأتوا على الخنبلة كلهم بأن يحضرروا إلى مقصورة الخطابة بالجامع الأموي بعد الصلاة، وحضر القضاة كلهم وقضاة العسكر، ونظر الأوقاف وقرئ مرسوم السلطان، وفيه ما يتعلّق بابن تيمية في عقيدته، وإلزام الناس بذلك، خصوصاً الخنبلة، والوعد الشديد عليهم، والعزل من المناصب والحبس، وأخذ الأموال والروح؛ لخروجهم بهذه العقيدة عن الملة الحمدية.

وأحضروا بعد القراءة الخنبلة، واعترفوا أنّهم يعتقدون ما يعتقده الشافعى.

ثم حبس ابن تيمية بعد ذلك؛ بسبب مسألة الطلاق قوله بمنع شد الرحال.

ونقل الحصني كلامَ الذهي عما ذكر ابن تيمية في عقيدته الواسطية، وكان مما ادعى عليه بمصر أنه قال: **هالرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** حقيقة، وأنّه تكلّم بحرف وصوت.
ثم ثُودي بلمسق وغيرها: من كان على عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه.

ونقل عن ابن حيّان النحوي الأندلسي، صاحب تفسير (النهر)، أنه قرأ في كتاب ابن تيمية بخطه، سَمَاء (العرش): أنَّ الله يجلس على الكرسي، وقد أخلى مكاناً يقعده فيه رسول الله ﷺ.

وقال: رأيت في بعض فتاويه أنَّ الكرسي موضع القلمين.

وفي كتابه المسمى بالتلموريَّة ما هذا لفظه بمحروفه.

وقال ابن تيمية في الكلام على حديث النزول المشهور: إنَّ الله ينزل إلى سماء الدنيا إلى مرجأة خضراء، وفي رجليه نعلان من ذهب.

وله من هذا النوع وأشباهه مغalaة في التشبيه، حريراً على ظاهرها واعتقادها، وإبطال ما نزلَ الله به نفسه في أشرف كتبه.

وهذا الحديث لا يعرج على ما فيه من التزيه، وإنما يتبع المتشابه ومعن الكلام فيه، وذلك من أعظم الأدلة على أنه من أعظم الزائغين.

واستطرد الحصني، عارضاً العديد من أقوال السلف المتعلقة بصفات الله سبحانه، من باب الرد على ابن تيمية، وإثبات مخالفته لعقائدهم في قوله بالتجسيم، وقدم العالم، والاستغاثة والتوكيل، وتحريم شد الرحال^(١).

وقال تقي الدين السبكي: أما بعد. فإنه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد، بعد أن كان مسترداً بتبعة الكتاب والسنة، مظهراً أنه داع إلى الحق هاد إلى الجنة، فخرج من الاتباع إلى الابداع، وشدَّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدس، وقال محلُّ الحوادث بذات الله تعالى، وتعذر في ذلك إلى استلزم قدم العالم، والتزامه بالقول بأنه لا أول للملائكة، فقال بحوادث لا أول لها، فأثبتت الصفة القديمة حادثة، والملائكة الحادث قدعاً، ولم يجمع أحد هذين القولين في ملة من الملل، ولا نحلة من النحل، فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاثة والسبعين، والتي افترقت عليها الأمة، ولا وقفت به مع أمة من الأمم همة. وكل ذلك وإن كان كفراً شنيعاً، مما نقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع ...^(٢).

وما سبق عرضه يتبيَّن لنا:

(١) انظر: دفع شبهة وغمَّة على الإمام أحمد، لتقي الدين الحصني الجنبي المنشقى.

(٢) انظر: الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية، السبكي.

أنَّ فريق الحنابلة المتطرفين **المُجسَّمين**، الذين انشقَّوا على مذهب ابن حنبل وعقيدته، وانشقَّوا وبالتالي على عقيدة أهل السنة، هم الذين انحاز لهم ابن تيمية وأحْسَى أفكارهم، وجاء الوهابيون فانحازوا لابن تيمية، وأحيوا أفكاره ومعتقداته.

اعتقادات أهل السنة

لخص لنا في كتابه (شرح اعتقادات أهل السنة) اعتقادات السلف في باب تحت عنوان: (ما رُوِيَ من المأثور عن السلف في جمل اعتقاد أهل السنة).

أولاً: اعتقاد الشوري: القرآن كلام الله غير مخلوق، والإيمان قول وعمل ونية، ويزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي، تقدمة الشيفيين، لا نشهد لأحد بجهنة ولا نار إلا للعشرة المبشررين، المسح على الخفين، إخفاء البسمة، الإيمان بالقدر خيره وشره، الصلاة وراء كل بُرٍّ وفاجر، والجهاد ماض وراء كل أمير، والصبر تحت لواء السلطان، جائز أم عدل.

ثانياً: اعتقاد سفيان بن عيينة: إثبات القدر وتقدم أبي بكر وعمر، والإيمان بالحوض والشفاعة، والميزان والصراط، وعذاب القبر والبعث، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، ولا تقطعوا بالشهادة لسلم.

ثالثاً: اعتقاد ابن حنبل: الإيمان بالقدر خيره وشره، القرآن كلام الله وليس بمخلوق، الإيمان بالميزان والحوض وعذاب القبر والشفاعة، وأنَّ الله يكلم العباد يوم القيمة، ليس بينهم وبينه ترجمان، الإيمان قول وعمل، خير هذه الأُمَّةِ أبو بكر وعمر وعثمان، بعد هؤلاء أصحاب الشورى الخمسة، وكلَّهم يصلح للخلافة وكلَّهم إمام، السمع والطاعة للأئمَّةِ وأمير المؤمنين البرُّ والفارجر، الغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيمة، البرُّ والفارجر، دفع الصدقات إليهم والصلاحة خلفهم وعدم الخروج عليهم وقتاً لهم..

رابعاً: اعتقاد علي بن المديني: الإيمان بالقدر خيره وشره، التصديق بالأحاديث

والإيمان بها، القرآن كلام الله غير مخلوق، الإيمان بالميزان والحووض، وعذاب القبر والشفاعة والمسيح الدجال، الإيمان يزيد وينقص، ترك الصلاة كفر، تقدم أبي بكر وعمر وعثمان، السمع والطاعة للأئمة والأمراء، البر والفاجر، الغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيمة، البر والفاجر، دفع الصدقات إليهم، الصلاة خلفهم، وعدم الخروج عليهم وقتالم.

وكذلك اعتقادات أبي ثور الكلبي والبخاري، وأبي زرعة وسهل التستري والطبرى وغيرهم^(١).

وكتاب اللالكائي (شرح اعتقادات أهل السنة) الذي حوى كل هذه العقائد، ليس فيه ذكر لمسألة الاستواء أو الجهة، أو ما يتعلق بسائر الصفات، فمثل هذه المسائل لم تأت على لسان السلف، وإنما توقفوا فيها على ما سوف نبوّن.

والغريب أن الوهابيين تبنوا هذا الكتاب ونشروه، دون أن يدرؤا أنه يكشف أكذوبتهم في نسبة التجسيم والتشبيه لأهل السنة والسلف.

كذلك نشرهم لكتاب (صریح السنة) للطبری، الذي لم يُشر فيه صاحبه لشيء يتعلق بالصفات كما تبنّاها الحنابلة وابن تیمیة والوهابيين.

وسوف نعرض هنا نماذج من أقوال السلف، حول مسألة الصفات والاستواء والعرش وغيرها.

اشتهر من جواب أبي علي الحسين بن الفضل البجلي عن الاستواء، فقال: لا نعرف أنباء الغيب إلا ما كُشف لنا، وقد أعلمنا جل ذكره أنه استوى على عرشه، ولم يخبر كيف استوى، ومن اعتقد أن الله مفتقر للعرش أو لغيره من المخلوقات، أو أن استواءه على العرش كاستواء المخلوقات على كرسيه، فهو ضالٌّ مبتدع؛ فكان الله ولا زمان ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان.

(١) شرح اعتقادات أهل السنة، ج ١، ص ١٧٠، ص ٢٠٦.

ومنها نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، من غير تشبيه بنزل المخلوقين، ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبت الخنابلة ما أثبتته رسول الله ﷺ، ويُمرّون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويُكلّون علمه إلى الله تعالى.

وكذلك ما أنزل الله عزّ اسمه في كتابه من ذكر الجيء والإيتان، المذكورين في قوله تعالى
 هُوَ جَاءَ رَبَّكَ وَالْمَلَكُ...^(١)، وفي قوله ﴿... يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْلٍ مِنَ
 الْغَمَامِ...﴾^(٢).

ونؤمن بذلك بلا كيف، فلو شاء سبحانه أن يبيّن لنا كيفية ذلك فعل، فانتهينا إلى ما أحکمه وكفنا عن الذي يتشابه.

وقال مالك رضي الله عنه: إياكم والبدع، قيل وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلّمون في أسماء الله تعالى وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته.. لا يسكتون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون.

وفي صحف إدريس: لا ترموا أن تحيطوا بالله خبرة؛ فإنه أعظم وأعلى أن تدركه فطر المخلوقين.

قال ابن عيينة: كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه.
وقال بعض السلف: قدم الإسلام لا يثبت إلا على قنطرة التسليم.

قال الإمام الشافعي (رحمه الله تعالى): (آمنت بالله وما جاء عن الله وعلى مراد الله، وأمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم) نقله عنه الإمام أبو الحسن البوذى الحنبلي في كتابه اللُّمُومُ فِي السُّنْنِ وَالْبَدْعِ، وقال: بعد وعلى هذا درج أئمة السلف.

وسيأتي في التتمة الخامسة ذكر كلام الشيخ الأشعري، وأنه موافق للإمام أحمد في

(١) الفجر : ٢٢

٢١٠ المقدمة

الاعتقاد، وأنه يُجري المشاهدات على ما قاله الله من غير تصرف ولا تأويل، كما هو مذهب السلف، وعليه فلا خلاف ولا نزاع والحمد لله^(١).

وقال الشافعي: (آمنت بلا تشبيه وصدق بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك)^(٢).

وقال ابن حنبل: (إن الله عزوجل لم يكن موصوفاً حتى وصفه الواصفون، فهو بذلك خارج عن الدين)^(٣).

وقال القنوجي: (مذهب السلف إثبات بلا تشبيه، وتزييه بلا تعطيل، وهو مذهب أئمة الإسلام، كمالك والشافعي، والشوري والأوزاعي، وابن المبارك والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم، كالفضيل بن عياض وسهل التستري وأبي سليمان الداراني وغيرهم، وكذلك أبو حنيفة، فإن الاعتقاد الثابت عنه موافق لاعتقاد شؤلاء)^(٤).

وقال الغزالى: (حقيقة مذهب السلف أن كل من بلغه حديث من هذه الأحاديث - أحاديث الصفات - من عوام الخلق، عليه سبعة أمور: التقديس والتصديق، ثم الاعتراف بالعجز ثم السكوت ثم الإمساك، ثم الكف ثم التسليم لأهل المعرفة. أما التقديس، فمعنى به تزييه الله سبحانه وتعالى عن الجسمية.

وأما التصديق، فهو الإيمان بما قاله الله عزوجل، وأن ما ذكره حق، وهو فيما قاله صادق، وأنه حق على الوجه الذي قاله وأراده.

واما الاعتراف بالعجز، فهو أن يقر بأن مراده ليست على قدر طاقته، وأن ذلك ليس من شأنه وحرفته.

(١) انظر: العين والاثر في عقائد أهل الاثر، ج ١، ص ٦٣ - ٦٥.

(٢) انظر: دفع شبه من شبهه وغمد، ط القاهرة، لتقى الدين الحصفي، ص ١٨.

(٣) اعتقاد الإمام البجلي أحمد بن حنبل، ص ١.

(٤) انظر: قطف الثمر في بيان عقبة أهل الاثر، ص ٤٧، والقنوجي توفي عام ١٣٠٧هـ.

وأما السكت، بأن لا يسأل عن معناه، ولا يخوض فيه، ويعلم أنَّ سؤاله عنه بُدعة، وأنَّ في خوضه فيه مخلط بدينه، وأنَّه يُوشك أن يُكفر لو خاض فيه من حيث لا يشعر. وأما الإمساك، فإنَّ لا يتعرَّض في تلك الألفاظ بالتصريف والتبدل، بل لغة أخرى، والزيادة والنقصان، والجمع والتفرق، بل لا ينطق إلاً بذلك اللفظ، وعلى ذلك الوجه من الإيراد والإعراب والتصريف.

وأما الكف، بأن يكفي باطنه عن البحث فيه والتفكير فيه. وأما التسليم لأهله، بأن لا يعتقد أنَّ ذلك إنْ خفي عليه لعجزه فقد خفي على رسول الله ﷺ، أو الأنبياء أو الصَّدِيقين أو الأولياء^(١).

وقال الشوكاني: (ومن جملة الصفات التي مررها السلف على ظاهرها، وأجروها على ما جاء به القرآن والسنة، من دون تكليف ولا تأويل، صفة الاستواء؛ يقولون: نحن ثبت ما أثبته الله لنفسه، من استواء على عرشه، على هيئة لا يعلمهها إلا هو، وكيفية لا يدرى بها سواه، ولا نكلُّف أنفسنا غير هذا، فليس مثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا يحيط عباده به علمًا. وهكذا يقولون في مسألة الجهة).

لكن لما وقعت تلك القلاقل والزلزال، الكائنة بين بعض الطوائف الإسلامية؛ كثُر الكلام فيها وفي مسألة الاستواء وطال، وسيماً بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب، فلهم في ذلك الفتنة الكبرى والملائم العظمى، وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر)^(٢).

وقال ابن قدامة: (ومذهب السلف الإمام بصفات الله تعالى وأسمائه، التي وصف بها نفسه في آياته وتزيله، أو على لسان رسوله، من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها، لا تفسير ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين، بل أمروها كما جاءت، وردوا علمها إلى قائلها، ومعناها إلى المتكلِّم بها).

(١) انظر: إلحاد العوام عن علم الكلام، ط القاهرة، ص ١٥، وهو آخر تصانيفه.

(٢) انظر: التحف في مذاهب السلف، ص ٧٦، والشوكاني توفي عام ١٢٥٥هـ.

ونقل عن محمد بن الحسن قوله: اتفق العلماء كلّهم من الشرق والغرب، على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاءها الثقات عن رسول الله ﷺ، في صفة الرب عز وجل، من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة^(١).

منشورات الوهابية

كان تبني الوهابية لطرح ابن تيمية المُجسم والمشبه، واعتباره شيخ الإسلام ومُمثل السلف والأئمة، والنطق بلسان أهل السنة الكرام، والمعبر عن إجماع الأمة دون خلاف وخصام؛ يعد دليلاً قطعاً على تبنيهم التجسيم والتشبيه.

ولما كان ابن تيمية قد خاصمه الفقهاء ورفضوه، وحدّروا المسلمين من معتقداته وأفكاره؛ أصبحت معتقدات وأفكار الوهابيين محل رفض الفقهاء، ويجب تحذير المسلمين منها، وهو ما يوجب الحكم عليها بأنّها لا تعبر عن أهل السنة، بل تتصادم مع معتقداتهم.

وهذا يقودنا للحكم بأنّ الوهابيين يكذبون على أهل السنة والسلف، حين يحاولون الصاق عقائدهم وأفكارهم بهم.

والوهابيون يحاولون تضليل المسلمين، عن طريق ما يصدرونه من منشورات عقائدية تدعم فكرة التجسيم والتشبيه، منسوبة لأهل السنة؛ الأمر الذي ينطلي على العوام والبسطاء، وهم أنصار الوهابيين، ولا ينطلي على أهل العلم والباحثين المحقّقين النّبيّين. ومن أمثلة هذه المنشورات:

- العرش العبسي.
- السنة للخلال.

(١) انظر: ذم التأويل. صص ٢ و ٦ و ابن قدامة توفي عام ٦٦٠ هـ.

- رسالة البرهاري.
- نقض عثمان الدارمي.
- الصفات للدارقطني.
- الاستواء والفوقيّة والحرف والصوت للجويني.
- الأربعين في دلائل التوحيد للهروي.
- الحجّة في بيان المَحْجَة للأصبّهان.
- الفتيا وجواهاً للهمدانى.
- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم.
- الكافية الشافية في شرح عقید الفرقة الناجية لابن القيم.
- وغير هذا كثير ..

ومن بين منشورات الوهابيين المعاصرة، التي تدلّ على تبئيرهم معتقد التجسيم والتشبيه، سيراً على نهج إمامهم ابن تيمية؛ منشور تحت عنوان (العرش)، محمد بن عثمان العبسي، المتوفى عام ٢٩٧هـ، وهي رسالة صغيرة، حشد فيها مؤلفها عشرات الروايات التي تتعلق بعرش الله سبحانه، والتي تقود إلى التجسيم.

ومن هذه الروايات:

رواية تقول: إنَّ عرشه على سماواته وأرضيه هكذا. وقال بأصابعه مثل القبة. وصف ذلك وهب، وأمال كفه وأصابعه اليمنى وقال: هكذا، وإنه ليثُطْ به أطيط الرَّحل بالراكب.

ورواية أخرى تقول: الكرسي موضع القدمين، وله أطيطٌ كأطيط الرَّحل.

ورواية تقول: العرش مسيرة خمسين ألف سنة.

ورواية تقول: العرش على ملك من لؤلؤة في صورة ديك، رجلاه في التخوم السفلی، وعنقه مثنیَة تحت العرش.

ورواية تقول: أرسل ابن عمر إلى ابن عباس يسأله: هل رأى محمد ربّه؟
فأرسل إليه ابن عباس: أنْ نعم.

فردًّ عليه ابن عمر رسوله: أنْ كيف رآه؟

قال: رآه في روضة خضرة، روضة من الفردوس، دونه فراش من ذهب على سرير
من ذهب، يحمله أربعة من الملائكة، ملك في صورة رجل، وملك في صورة ثور، وملك
في صورة أسد، وملك في صورة نسر^(١).

وفي قصيدة لعبد الله بن سليمان الأشعث، المتوفى عام ٣١٦هـ، ذمًّ فيها أهل البدع
ومدح أهل الحديث قال:

كما البدر لا يخفى وربك أوضح	وقل يتجلّى الله للخلق جهرة
بمصدق ما قلنا حديث مصرح	وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا
وكلتا يديه بالفوacial تفضح	وقد ينكر الجهمي أيضاً يمينه
بلا كيف جلَّ الواحد المتمدّح	وقل ينزل الجبار كل ليلة
الأخاب قوم كذبوا وقبحوا ^(٢)	روى ذاك قوم لا يُردّ حديثهم

وفي كتاب (السنّة) لأبي بكر الخلال، المتوفى عام ٣١١هـ. قال في باب ذكر المقام المحمود
﴿عَسَى أَنْ يَنْعَثِكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَخْمُوداً﴾.

استعرض الروايات التالية:

- إذا كان يوم القيمة، جيء بنبيكم صلى الله عليه وسلم فأقعد بين يدي الله على كرسيه.
- إنَّ مُحَمَّداً يوم القيمة بين يدي الربِّ على كرسى الربِّ.
- إنَّ الله يجلسه معه على العرش.

(١) العرش، حديث رقم ١١ و ٣٨ و ٦٠ و ٦٢ و ٦٨.

(٢) ص ٩، وما بعدها.

وروى ما يلي:

- من ردَه - أي حديث الجلوس - فقد ردَ على الله، ومن كذب بفضيلة النبي فقد كفر بالله العظيم.
- من ردَ هذا فهو متهم على الله ورسوله، وهو عندنا كافر.
- لا يردَ هذا إلاً متهم.
- من ردَ هذا الحديث فهو جهنمي.
- لا يردَه إلاً أهل البدع.
- من رد فضيلة الرسول ﷺ فهو عندنا كافر مرتدٌ عن الإسلام^(١).

وقد تسبَّبُ الحنابلة بتبنيِّهم هذه الرواية في إحداث العديد من الفتن مع خصومهم من أهل السنة، وقد اعتمدوا على الطبراني المفسُّر، بسبب رفضه لهذه الرواية.

وقال الذهبي: (يقعد أو يجلس على العرش .. لهذا القول طرق خمسة، وأما قضية قعود نبينا على العرش، فلم يثبت في ذلك نصٌّ، بل في الباب حديث واه)^(٢).

ونشر الوهابيون (شرح السنة) للبرهاري الحنبلي المتطرف، المتوفى عام ٣٢٩هـ. يقول في مقدمة رسالته: (اعلم أنَّ الإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر. فمن السنة لزوم الجماعة، ومن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع رقبة الإسلام من عنقه، وكان ضالاً مضلاً).

والأساس الذي بنينا عليه الجماعة هم أصحاب الرسول ﷺ، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضلَّ وابتدع، وكل بدعة ضلاله، والضلالة وأهلها في النار).

وهذه دعوة صريحة للتمسك بالرواية والجماعة، التي هي جماعة الحنابلة، التي يحاول أن

(١) ح ٢٠٩ باب رقم ٢٤.

(٢) شرح منظومة ابن القيم، ج ١، ص ٢٢٣.

يُظهر لنا البرهاري أنها الممثل الوحيد للإسلام. وهذا الكلام هو امتداد لكلام ابن حنبل السابق، الذي ينفي الإسلام عن الاتجاهات الأخرى، التي تتبنى رؤية مختلفة تجاه الصحابة والروايات.

يقول البرهاري: (ولا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتى يرداً آية من كتاب الله، أو يرداً شيئاً من آثار رسول الله، أو يصلِّي لغير الله، أو يذبح لغير الله. وإذا فعل شيئاً من ذلك، فقد وجب عليك أن تخربه من الإسلام).

ويبدو الغلو والتطرف في هذا الكلام من خلال ربط البرهاري الردة عن الدين بإنكار الروايات، لا بإنكار القرآن وحده، وهو بهذا يكون قد ساوي بين الروايات وبين كتاب الله، وهذا قمة الغلو والضلال. ثمَّ قام بوضع بذرة العداء والمواجهة مع تيار الشيعة والمعزلة والتصوف؛ حين اعتبرهما من المصليين لغير الله والذاجحين لسواء، من الخارجين المرتدين. وهو كلام موجه للتيار الصوفي والشيعي السائد في محيطهما فكرة التوسل وزيارة الأضرحة والمقامات، والاحتفال بأصحابها، وهي الفكرة التي رفعت لواءها في العصر الحديث الحركة الوهابية، ويطشت بال المسلمين في جزيرة العرب على أساسها؛ باعتبار أنَّ الذين يتولون بالأموات من الأولياء والصالحين، وينذرون عند الأضرحة والمقامات ويقيمون الشعائر فيها؛ إنما هم مشركون.

ثمَّ أعطى البرهاري الرخصة الشرعية للحنابلة، كي يقوموا بواجبهم في مواجهة هؤلاء الخارجين عن الإسلام في منظوره.

وهو ما يقوم به الوهابيون، والجماعات من حنابلة العصر، ويطبقونه تطبيقاً عملياً في مواجهة المخالفين لهم، تحت شعار جهاد أصحاب البدع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويطالب البرهاري المسلمين بأن يصموا آذانهم ويغلقوا عقولهم، حين تواجههم رواية من الروايات التي تتعلق بصفات الله تعالى تثير الشكَّ في نفوسهم.

يقول: (وكلّ ما سمعت من الآثار مما لم يبلغه عقلك، مثل:

قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن..

وأنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا وينزل يوم عرفة ويوم القيمة..

وأنَّ الله يضع قدمه في النار..

وخلق آدم على صورته..

وأشبه هذه الأحاديث، فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضا، ولا تفسّر

شيئاً من هذا بهواك؛ فإنَّ الإيمان بما واجب، فمن فسّر شيئاً من هذا بهوا فهو جَهْمِي).

وهذه الأحاديث رفضها الشيعة والمعتزلة، وغيرهم من أهل الرأي والعقل.

كذلك قام بتأويلها الخلف - أي من جاء بعد القرن الثالث - وصرفها عن ظاهرها

الذي يقود إلى التشبيه والتجسيم، كمحاولة لتجنب رفضها والوقوع في الحرج أمام

روايات يُسلّم بها كافة فقهاء أهل السنة.

واعتبار البرهاري من يفسّر هذه الروايات أو يرفضها من الجهمية، يعني أنَّه من الكفار؛ لكون الجهمي كافر في منظور الخنبلة.

وهو هذا يحکم بکفر الخلف من أهل السنة الذين اتجهوا إلى تفسير هذه الروايات، بالإضافة إلى الشيعة والمعتزلة.

ويعضي البرهاري في تحريض المسلمين وتوطين الإرهاب في واقعهم بقوله: (وإذا سمعت الرجل يطعن في الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ، فائتهم على الإسلام؛ فإنه رجل رديء المذهب والقول).

ثمَّ يقول: (ولماك والنظر في الكلام، والجلوس إلى أصحاب الكلام، وعليك بالآثار وأهل الآثار وإنماهم فاسئل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس..).

وإذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره واعرفه، فإنه صاحب هوى).

ثمَّ يختتم كلامه بمقالة نطق كفراً، يقول:

(فَمَنْ أَقْرَءَ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَآمَنَ بِهِ وَأَنْخَدَهُ إِيمَانًا، وَلَمْ يُشَكْ فِي حِرْفٍ مِّنْهُ، فَهُوَ صاحِبُ سَنَةٍ وَجَمَاعَةٍ، كَامِلٌ قَدْ كَمِلَتْ بِهِ الْجَمَاعَةُ).

وَمَنْ جَحَدَ حِرْفًا مِّمَّا فِي هَذَا الْكِتَابِ أَوْ شَكَ فِيهِ أَوْ وَقَفَ - أَيْ لَمْ يُشَكْ وَلَمْ يُجَزِّمْ أَوْ يَقْرَأَ بِصَحَّتِهِ - ، فَهُوَ صاحِبُ هَوَى)^(١).

وَهَذَا الْكَلَامُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالُ إِلَّا فِي حَقِّ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ بَرْهَانٌ عَلَى تَعَصُّبِهِ لِنَفْسِهِ وَإِطْرَاءِهِ لَهَا. وَلَيْسَ هَذَا مِنْ صَفَاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ صَفَاتِ الْخَنَابِلَةِ حَمْلَةِ الْأَسْفَارِ، أَعْدَاءِ الْعُقُولِ، ضَيِّقُوا الْأَفْقَ، شَدِيدُو التَّطْرَفِ قَلِيلُو الْفَهْمِ. وَهِيَ مِنْ الصَّفَاتِ الَّتِي وَرَثَهَا عَنْهُمُ الْوَهَابِيُّونَ وَالْفَرَقُ الْمُعَاصِرَةُ.

وَمِنْ بَيْنِ مَنْشُورَاتِ الْوَهَابِيِّينَ، كِتَابٌ تَحْتَ عَنْوَانِ (نَفْضُ عَثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ عَلَى الْمَرِيسِيِّ الْجَهْمِيِّ الْعَنِيدِ)، الْمُتَوَفِّ فِي عَامِ ٣٨٠هـ، وَهُوَ رَدٌّ عَلَى مَنْ أَسْوَاهُمْ بِالْجَهَمَيَّةِ وَأَنْصَارِ التَّأْوِيلِ.

قَالَ الدَّارِمِيُّ فِي مُقْدَمَتِهِ: (أَمَّا بَعْد.. فَقَدْ عَارَضَ مَذَهَبُنَا فِي الْإِنْكَارِ عَلَى الْجَهَمَيَّةِ مَنْ بَيْنَ ظَهْرِكُمْ مَعَارِضٌ، وَأَنْتَدَبْ لَنَا مِنْهُمْ مَنَافِضٌ، يَنْقُضُ مَا رَوَيْنَا فِيهِمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِتَفَاسِيرِ الْمَضْلُلِ الْمَرِيسِيِّ، بَشَرَ بْنَ غَيَاثِ الْجَهَمَيِّ، فَكَانَ مِنْ صَنْعِ اللَّهِ لَنَا فِي ذَلِكَ، اعْتِمَادُهُذَا الْمَعَارِضِ عَلَى كَلَامِ بَشَرٍ؛ إِذَا كَانَ مَشْهُورًا عِنْدَ الْعَامَّةِ بِأَقْبَحِ الذِّكْرِ، مُفْتَضِحًا بِضَلَالِهِ فِي كُلِّ مِصْرٍ، لِيَكُونَ بِذَلِكَ أَعْوَنَ لَنَا عَلَى الْمَعَارِضِ عِنْدَ الْخَلْقِ، وَأَنْجَعَ فِي قُلُوبِهِمْ لِقَبْوِ الْحَقِّ وَمَوَاضِعِ الصَّدْقِ).

وَالْمَرِيسِيُّ وَمَنْ سَمَّاهُمُ الْخَنَابِلَةُ بِالْجَهَمَيَّةِ، يَقُولُونَ بِالْتَّأْوِيلِ وَيَرْفَضُونَ التَّجَسِّيمَ وَالتَّشْبِيهَ، وَيَعْتَبِرُونَ هُؤُلَاءِ الْخَنَابِلَةَ حَشُوشَةً مُشَبَّهَةً.

وَأَقوالُهُمْ مُمْتَشِّرَةٌ بَيْنَ أَغْلِبِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا أَشَارَ صَاحِبُ الرَّدِّ فِي مُقْدَمَتِهِ، فَهِيَ تَوَافَقُ مَعَ أَقْوَالِ الْأَشْاعِرَةِ وَالْمَاتَرِيدِيَّةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ وَالشِّيَعَةِ فِي كَثِيرٍ مِّنِ الْجَوَابِ.

(١) الرِّسْلَةُ السَّنَةُ، ص٥٨.

والخنابلة يحاولون من خلال منشوراتهم تشويه هذا الاتجاه وتحريض المسلمين عليه، والحق أنَّ حرمهم على هذا الاتجاه - في حقيقتها - هي حرب على أهل السنة.

وقد تصدَّى الدارمي للمعارض المتبني خطَّ المريسي بسرد عشرات الروايات التي تتعلق برؤية الله وتکلیمه يوم القيمة، من قبيل المؤمنين دون ترجمان. وروايات العرش، وغيرها من الروايات التي يعتمد عليها الخنابلة عادة في مواجهة خصومهم.

ووضع باباً تحت عنوان: (الإيمان بأسماء الله وأنَّها غير مخلوقة)، رفض فيه بقوَّة فكرة تأويل أسماء الله، التي نسبها للمعارض.

وقال: (من ادعى أنَّ صفة من صفات الله تعالى مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر). ووضع باباً عنوانه: (ادعاء المعارض أنَّ الله لا يُدرك بالحواس الخمس).

وباب تحت عنوان (النزول) قال فيه: (إنَّ المعارض أنكر حديث النزول، وادعى أنَّ الله لا ينزل بنفسه، وإنما ينزل أمره ورحمته، وهو على العرش بكلِّ مكان من غير زوال). وكان ردَّه هو: (وهذا من حُجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان ولا لذهبته برهان؛ لأنَّ أمر الله ورحمته ينزل في كلِّ ساعة ووقت وأوان).

وكلامه هذا إشارة واضحة للتجسيم، وأنَّ الله تعالى ينزل بجسمه من السماء. واستنكر تأويل المعارض لصفات الله على تفسير بشر المريسي.

وقال في باب الحَدُّ والعرش: (وادعى المعارض أنَّه ليس لله حدٌ ولا غاية ولا نهاية، وهذا هو الأصل الذي بنى عليه (جهم) جميع ضلالاته، واشتقَ منها أغلوطاته). وهذه إشارة أيضاً إلى التجسيم؛ حيث يؤكَّد تبنيه فكرة الحَدُّ لله تعالى.

ونقل قول عبد الله بن المبارك: (من ادعى أنَّه ليس لله حدٌ فقد ردَ القرآن، ومن لا يعترف به فقد كفر بتنزيل الله وجحد آياته).

وقال: (وقد اتفقت الكلمة، من المسلمين والكافرين، أنَّ الله في السماء وحدوده بذلك، إلَّا المريسي الضالُّ وأصحابه، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحدث قد عرفوه بذلك).

وفي رسالة للدارقطني، المتوفى عام ٣٨٥هـ، تحت عنوان (الصفات)، روى في باب ما جاء في القدمين رواية تقول: (يلقى في النار وتنقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الله رجله أو قدمه فيها فتنقول - أي النار - : قط قط).

وروى فيما جاء في اليدين الروايات التالية:

(عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان).

(أول ما خلق القلم فأخذه بيده اليمنى).

(كتب بيده على نفسه أن رحمتي سبقت غضبي).

(إنَّ اللَّهَ يُبْسِطُ يَدَهُ).

وما جاء في الأصابع روى:

(يحمل الخلق على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والثرى على إصبع، والخلق كلها على إصبع).

وروى بالإضافة إلى ذلك:

(صحيك الله.. ويتجلّى ربنا ضاحكاً).

(الكرسي له أطياف كأطياف الرحل بالراكب، أو الرحل الجديد، إذا ركب من ثقله).

(خلق الله آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً).

ونقل قول وكيع: (من رأيتموه ينكر هذه الأحاديث فاحسبوه، مع الجهمية).

وقول الزهري: (سلّموا للسنة ولا تعارضوها) ^(١).

وهذه الرسالة التي نشرها الوهابيون مؤخراً إنما تبنّوها لما فيها من روايات تدعم مذهبهم التجسيمي الذي يتبنّونه، إلا أنَّ فقهاء أهل السنة وإن كانوا لم يرفضوا هذه الروايات، إلا أنَّهم قاموا بتأويلها على وجه المجاز؛ الأمر الذي يرفضه الوهابيون، سيراً مع فج إمامهم ابن تيمية؛ مما يؤكّد تبنيهم للتجسيم، ومخالفتهم عقائد أهل السنة.

(١) انظر حديث رقم ٢٠٢، ١٤٠، ١٦٠، ١٩٠، ٢١٠، ٢٣٠، ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٨٠، ٤٧٠ و ٦٠٠.

ونشر الوهابيون رسالة في (الاستواء والفوقيّة والحرف والصوت) لأبي محمد الجويني، المتوفى عام ٤٣٨هـ. يقول الجويني في رسالته:

(إنني كنت بُرهة من الزمن متحيراً في ثلات مسائل:

مسألة الصفات.

ومسألة الفوقيّة.

ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد.

وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك، من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمارتها والوقوف فيها، أو إباها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل؛ فأجد نصوص في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ناطقة مُبَشّة بحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقيّة، وكذلك في الحرف والصوت، ثم أجده المتأخرين من المتكلمين في كتبهم منهم من تأول الاستواء بالقهر والاستيلاء، وتأنّواز النزول بنزول الأمر، وتأنّواز البددين بالقدرتين أو النعمتين، وتأنّواز القدم بقدم صدق عند ربّهم، وأمثال ذلك.. ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله تعالى معنى قائماً بالذات، بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم.

ومن ذهب إلى هذه الأقوال وبعضها قوم لهم في صدرى منزلة، ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمه، ثم إنني مع ذلك أجده في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبي إليها، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرضاً لها، فكنت كالتحير المضطرب في تحيره، المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره.

وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول؛ مخافة الخضر والتشبيه. ومع ذلك، فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أجدها نصوصاً تُشير إلى حقائق هذه المعانى، وأجد الرسول قد صرّح بها مُخبراً عن ربّه، وأصفاً لها، وأعلم بالاضطرار أنّه كان يحضر في مجلسه الشريف العالم والجاهل، والزكي

والبلد والأعرابي والجاف، ثم لا أجد شيئاً يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربهما، لا نصاً ولا ظاهراً، مما يصرفها عن حقائقها، ويؤوها كما تأوهها هؤلاء مشائخ الفقهاء المتكلمين، ولم أجد عنه عليه السلام أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفتة لديه، من الفوقية واليدين وغيرها، ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن هذه الصفات معان آخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، مثل فوقيـة المرتبة، ويد النعمة والقدرة، وغير ذلك..

وأجد الله عز وجل يقول:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَ﴾

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾

﴿إِنَّهُ يَصْنَعُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ﴾

﴿أَمْتَنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾

ثم أجد الرسول عليه السلام لما أراد الله أن يخصه بقربه، عرج به من سماء إلى سماء.

وفي الحديث الصحيح للجارية التي سألها الرسول أين الله؟!

فقالت: في السماء، فلم ينكـر عليها بـحضورـة الصحابة، وقال: (أعتـقـها، فإنـها مؤمنـة).

وـحدـيثـ: (إـنـ اللهـ فوقـ عـرـشـهـ، فوقـ سـمـاـوـاتـهـ، فوقـ أـرـضـهـ مـثـلـ القـبـةـ، وأـشـارـ النـبـيـ بيـدـهـ

مـثـلـ القـبـةـ).

وـحدـيثـ: (ارـحمـواـ مـنـ فيـ الأـرـضـ يـرـحـمـكـ مـنـ فيـ السـمـاءـ).

قالـ: (إـذـاـ عـلـمـنـاـ ذـلـكـ وـاعـتـقـدـنـاـ، تـخلـصـنـاـ مـنـ شـبـهـ التـأـوـيلـ وـعـمـاـوـةـ التـعـطـيلـ، وـحـماـقـةـ التـشـبـيهـ وـالـتـمـثـيلـ، وـأـثـبـتـنـاـ عـلـوـ رـبـنـاـ وـفـوـقـيـتـهـ وـاسـتوـاءـهـ عـلـىـ عـرـشـهـ، كـمـاـ يـلـيقـ بـجـلـالـهـ وـعـظـمـتـهـ، وـالـحـقـ وـاضـعـ فيـ ذـلـكـ، وـالـصـدـورـ تـنـشـرـحـ لـهـ؛ فـإـنـ التـحـرـيفـ تـأـبـاهـ العـقـولـ الصـحـيـحةـ، مـثـلـ تـحـرـيفـ الـأـسـتوـاءـ بـالـاستـيـلاءـ وـغـيرـهـ، وـالـوـقـوفـ فيـ ذـلـكـ جـهـلـ وـغـيـ، مـعـ كـوـنـ أـنـ الـرـبـ تـعـالـيـ وـصـفـ لـنـاـ نـفـسـهـ هـذـهـ الصـفـاتـ لـنـعـرـفـهـ هـاـ. فـوـقـوـفـنـاـ عـلـىـ إـثـبـاتـهـ وـنـفـيـهـاـ عـدـولـ عـنـ الـمـقصـودـ مـنـهـ فيـ تـعـرـيـفـنـاـ إـيـاـهـاـ، فـمـاـ وـصـفـ لـنـاـ نـفـسـهـ هـاـ إـلـاـ لـنـثـبـتـ مـاـ وـصـفـ بـهـ

نفسه لنا، ولا نقف في ذلك. وكذلك التشبيه والتمثيل حماقة وجهالة).

ثمَّ قال عن مسألة الحرف والصوت: (والتحقيق هو أنَّ الله تعالى قد نكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإنه قادر، وال قادر لا يحتاج إلى جوارح ولا إلى لهوات، وكذلك له صوت كما يليق به يسمع، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدُّس إلى الخلق والخنجرة، ولا يُنفي الحرف ولا الصوت عن كلامه سبحانه؛ لافتقارهما منا إلى الجوارح واللهوات، فإنَّهما من جانب الله تعالى لا يفتقران إلى ذلك) ^(١).

وعلى الرغم من ذكر المؤلَّف أنَّ مسألة الحرف والصوت في القرآن، لا نجد أثراً للنصوص القرآنية حول هذه المسألة في رسالته!

وما يمكن قوله حول هذه الرسالة: هو أنَّ صاحبها يبدو أنه واحد من الخنابلة المتخفين في زيِّ الشافعية الأشعريَّة، الذي يريد أن يصور لنا مدى تيه والحريرة التي عاشها مع أهل التأويل، وكيف أنَّ الله لطف به وكشف له عن وجه الحق، كشفاً لطمئنَّ إليه خلطه وسكن به سرَّه، حسب تعبيره، فائجَه نحو مذهب الحق، مذهب الخنابلة الجسميين والمشبهين.

وكيف له أن يُثني على شيوخه ومن تلمس على أيديهم بقوله: (هم في صدرِي منزلة، ولِي فيهم الاعتقاد التام، لفضلِهم وعلمِهم)، ثمَّ يأتي ويتهمنهم بالحمق والجهالة؟! أليست هذه هي لغة الخنابلة المتعصِّبين؟!

والمتمعن في هذه الرسالة يجد أنَّ كاتبها لم يأت بشيء جديد؛ فهو ردُّ الروايات التي يستند إليها الخنابلة، وقال بمقالاتهم واستخدم لغتهم، وهذا وحده لا يكفي من هو على قدره من العلم الذي استقاء من هؤلاء الذين يعظُّمُهم، ليخرجه من الحريرة والاضطراب، من اختلاف المذاهب والأقوال التي عاشها وعبر عنها.

وهذا دليل آخر على كونه من الخنابلة المتأمرين على أهل العقل والتأويل.

(١) ص ٢ و مابعدنا وص ١٩ .

وحوت (رسالة الأربعين في دلائل التوحيد) لعبد الله الهرمي، المتوفى عام ٤٨١هـ،
الأبواب التالية:

باب في إيجاب قبول صفات الله من كافة الخلق.

باب في الرد على من رأى كتمان أحاديث صفات الله.

باب في بيان أنَّ الله شيء.

باب في بيان أنَّ الله شخص.

باب في بيان إثبات النفس لله.

باب في الدليل على أنَّ الله في السماء.

باب في الدليل على أنَّ الله على العرش.

باب في وضع الله قَدْمَه على الكرسي.

باب في إثبات الحَدَّ الله.

باب في إثبات الجهة لله.

باب في إثبات الوجه.

باب في إثبات الصورة.

باب في إثبات العينين.

باب في إثبات اليدين.

باب في إثبات الخطَّ الله.

باب في الأصابع.

باب في إثبات الضحك.

باب في إثبات القدم.

باب في الدليل على أنَّ القَدْمَ هي الرجل.

باب في المرولة لله.

□ باب في إثبات نزوله إلى السماء الدنيا.

□ باب في رؤية النبي ربّه ليلة المراجعة بعينيه رؤية اليقظة.

□ باب في رؤية المؤمنين ربّهم يوم القيمة عياناً.

وفي منشور آخر باسم (الحجّة في بيان الحجّة) لأبي القاسم الأصبهاني، المتوفى عام ٥٣٥هـ، وُضع فصل تحت عنوان: (في ذكر مَنْ عَابَ الْكَلَامَ وَذَمَّهُ مِنَ الْأَثْمَةِ). ونقل قول مالك: إِيَّاكُمْ وَالْبَدْعُ.

فقيل: وما البدع؟

قال: أهل البدع الذين يتكلّمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عمّا سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وقول مالك هذا بعد حجّة على الحنابلة والوهابيين، الذين خاضوا في أسماء الله وصفاته، وأشعلوا الحروب والمعارك بسببها، بل وكفروا خصومهم على أساسها. ووضع الأصبهاني فصلاً في إثبات الرؤية.

وفصلاً آخر في إثبات اليد والوجه لله تعالى.

وفصلاً في التغليظ في معارضه الحديث بالرأي والمعقول.

وفصلاً في ذكر النظر في الحديث والأثر، وما فيه من الخير والبركة.

ثم قال: (وما نعتقد أنَّ الله (عزَّ وجلَّ) عرشاً، وهو على العرش، والعرش مخلوق من ياقوت أحمر. ومن قال العرش ملك، أو الكرسي ليس بالكرسي الذي يعرفه الناس، فهو مبتدع).

ووضع فصلاً في بيان أنَّ الله يكلّم عباده المؤمنين يوم القيمة.

وفصلاً في الرد على الجهمية الذين أنكروا صفات الله حسب تصور الحنابلة، وسمّوا أهل السنة مشبهة.

واستعرض رواية: خلق الله آدم على صورته..

ورواية: نزول الله..

ورواية: قلب ابن آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن.

وقال: (إِنَّ الَّذِينَ نَفَوُا الصَّفَاتَ، أَبْطَلُوا مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِنَّ الَّذِينَ تَأْوِلُوهَا خَلَافَ الظَّاهِرِ، خَرَجُوا مِنْ ذَلِكَ إِلَى ضَرْبٍ مِّنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ).

وختم كتابه بالفصل التالية:

□ فصل في أنَّ أهل الكلام ليسوا من العلماء.

□ فصل في النهي عن مناظرة أهل البدع وجدهم والاستماع إليهم.

□ فصل في اجتناب البدع والأهواء.

ونشر الوهابيون رسالة تحت عنوان: (الفتيَا وجواهِمَا في ذكر الاعتقاد) لأبي العلاء الممداني، المتوفى عام ٥٦٩هـ.

قال الممداني في مقدمته: (وَإِنَّمَا الشُّكُوكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ قَوْمٍ إِلَى مِذَهَبِ أَحَدٍ يَنْتَمِنُونَ، وَبِالسَّنَةِ يَتَوَسَّمُونَ، وَيَدْعَونَ التَّمَسُّكَ بِقَوْلِهِ وَفَعْلِهِ، وَيَقْرُؤُونَ بِفَضْلِهِ وَثُبُطِهِ، وَهُمْ مُعَذِّلُو نُصُوصِهِ، وَيَطْرَحُونَ عُمُومَهُ وَخُصُوصَهُ، وَجَمِيعُ مَا يَرْدُ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّنَةِ الثَّابِتَةِ يَنْفِرُونَ وَيَجْبَنُونَ مِنْهُ، وَيَسْلَطُونَ عَلَى مَا جَاءَ فِي الصَّفَاتِ وَالْأَخْبَارِ وَالآيَاتِ مَا سَلَطَهُ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنَ التَّأْوِيلِ، وَيَسْلُكُونَ فِيهِ مَسَالِكَ أَهْلِ الْإِلْحَادِ وَالْتَّعْطِيلِ).

فمن ذلك أنَّهم قالوا: إنَّ هذه الأحاديث الواردة في الصفات، جميعها، إنَّما رواها حماد بن سلمة، وكان يُلقِيَها إِلَيْهِ شَيْطَانٌ لِيُضْلِلَ هَا أَهْلَ الْحَقِّ، وَمَا صَحَّ مِنْهَا مِنْ أَخْبَارٍ فَهُوَ أَخْبَارٌ أَحَادٍ، لَا يُوجِبُ الْعَمَلَ وَلَا يَصْحُّ الْاحْتِجاجُ بِهِ.

وإذا أربناهم كلام السلف عليها قالوا هذا مذهب أهل الحديث، ولا يلزم الفقهاء الأخذ به، وما سمعوه من أحاديث الصفات، تأوِّلُوهُ وصرفوهُ عن حقيقته أو ردُّوهُ.

ومن ذلك أنَّهم ينكرون إطلاق القول بِأنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ.

وينكرون القول بِأنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ فِي جَهَةِ الْعُلُوِّ.

وعرضنا عليهم كتب السنة، ككتاب التوحيد لابن مندة، والحجّة لأبي الفضل، فقالوا هذه صحف لا تنطق.

وكثر من أصحابنا يخالط أرباب الكلام والجدال، وينقل عنهم فظيع الأقوال). وفي رسالة (إثبات صفة العلو) قام ابن قدامة المقدسي، المتوفى عام ٦٢٠ هـ، بترتيب أبوابها كما يلي:

- باب ذكر الأحاديث الصحيحة في أنَّ الله تعالى في السماء.
- باب ذكر الأخبار الواردة بأنَّ الله تعالى فوق عرشه.
- فصل في أقوال الصحابة في أنَّ الله في السماء.

وروى ما يلي:

(إنَّ الله خلق سموات سبع، فاختار العلية فسكنها. ما بين السماء القصوى وبين الكرسي خمسة عشرة سنة، وبين الكرسي والماء خمسة عشرة سنة، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش).

من أنكر أنَّ الله في السماء فقد كفر.

قلت لابن المبارك: كيف نعرف ربنا؟

قال: في السماء السابعة.

قال أبو عمر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات، الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على الجاز.

وفي كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) قال ابن القيم: قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) يتضمن إبطال قول المعطلة والجهمية، الذين يقولون ليس على العرش شيء، وإنَّ الله ليس مستوياً على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا ينزل من عنده جبريل، ولا ينزل هو كل ليلة إلى السماء الدنيا، ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عياناً بأبصارهم، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق).

ونقل قول ابن تيمية: (وهذا كتاب الله من أوّله إلى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة ، مملوء مما هو نص أو ظاهر في أنَّ الله سبحانه وتعالى فوق كلِّ شيء، وأنَّه فوق العرش فوق السموات السبع، مستويٍ على عرشه).

وروى عن الرسول ﷺ قوله: (إِنَّهُ لفوق سمائِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَإِنَّهُ لِمَكْذَا، وَإِنَّهُ لِيَنْطَأْ بِهِ أَطْبَاطِ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ) ^(١).

وقال تحت عنوان: (باب ردَّ ادعائهم المجاز في الاستواء): (أَمَّا ادْعَاؤُهُمُ الْمُجَازُ فِي الْأَسْتِوَاءِ، وَقَوْلُهُمْ فِي تَأْوِيلِ (أَسْتِوَاءِ) اسْتَوَى، فَلَا مَعْنَى لَهُ، وَمِنْ حَقِّ الْكَلَامِ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى حَقِيقَتِهِ حَتَّى تَتَقَوَّلَ الْأُمَّةُ أَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ الْمُجَازُ، إِذَا لَا سَبِيلٌ إِلَى اتِّبَاعِ مَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنْ رِبَّنَا عَالِيًّا عَلَى ذَلِكَ، وَلَوْ سَاعَ ادْعَاءُ الْمُجَازِ لِكُلِّ مُدَّعَّ، مَا ثَبَّتَ شَيْءٌ مِّنَ الْعِبَادَاتِ).

ونقل قول مالك القير沃اني في رسالته: (وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمُجِيدُ بِذَاتِهِ). وذكر في كتابه (المفرد في السنة): (تقرير العلوُّ واستواء الربُّ تعالى على عرشه بذاته أتمَ تقرير، وأنَّ الله كُلُّ موسى بذاته وأسمعه كلامه، وأنَّه فوق سمواته على عرشه دون أرضه).

وقول القاضي عبد الوهاب، إمام المالكية بالعراق: بأنَّ الله سبحانه استوى على عرشه بذاته. ونقل ابن تيمية عنه هذا القول في غير موضع من كتبه، ثُمَّ قال معلقاً: (وكلَّ ما قدمت.. دليل واضح في إبطال قول من قال بالمجاز في الاستواء).

وجعل ابن القيم فصلاً في بيان أنَّ العرش فوق السموات، وأنَّ الله سبحانه وتعالى فوق العرش، وذكر أنَّ أبا الحسين العمراني، صاحب البيان، له كتاب لطيف في السنة على مذهب أهل الحديث، صرَّح فيه بمسألة الفوقيَّة والعلوُّ والاستواء حقيقة، وتكلَّم الله بهذا القرآن العربي المسموع بالأذان حقيقة.

وقال إنَّ الله سبحانه له قدماً؛ لقول النبي ﷺ حتى يضع ربَّ العزة فيها قدمه، وأنَّه

يُضحك ويُهبط إلى سماء الدنيا، وأنَّ له إصبعاً.

واحتاج في نهاية كتابه بأقوال الشعراء والجحَّ وحرُّ الوحش.

وختم كتابه برواية عن عبد الله بن وهب تقول: (أكرموا البقر؛ فإنَّها لم ترفع رأسها إلى السماء منذ أن عُبد العجل؛ حياءً من الله عزَّوجلَّ)^(١).

ومن بين المنشورات الصارخة التي تؤكِّد التجسيم، والتي باركها الوهابيون، ثُونية ابن القيم، المسماة بـ(الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)، وهي قصيدة موجهة للجهمية وأنصار التأويل والمجاز، ويدعو فيها للتجسيم صراحة.

وقام واحد من الوهابيين بشرحها تحت عنوان (توضيح المقاصد وتصحيح القواعد)، وهو أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المتوفى عام ١٣٢٩هـ.

قال الشارح في مقدمة: (المنظومة المشهورة في الطريقة السنّية والعقيدة الحنفية، المسماة بالكافية الشافية، لم ينسج على منوالها، ولم تسمح الدهور بشكلها وأمثالها، وموضوعها المحاكمة بين الطوائف، وإثبات صفات الباري على رغم كلَّ مُخالف).

ومن بين أبيات هذه المنظومة:

والعرش أخلوه من الرحمن
وقضوا له بالخلق والحدثان
ولا بصرٌ ولا وجهٌ فكيف يدان
وإرادة أو رحمة وحنان
ذات مجردة بغیر معان
هو غیره فاعجب لذا البهتان
أحد يكون خليله النسان
ذا الوصف يدخل عابد الأوثان
القسري يوم ذبائن القربان

بل عطّلوا منه السموات العُلى
ونفوا كلام رب جل جلاله
قالوا وليس لربنا سمع
وكذاك ليس لربنا من قدرة
كلا ولا وصف يقوم به
وحياته هي نفسه وكلامه
وكذاك قالوا ماله من خلقه
وخليله المحتاج عندهم وفي
ولأجل ذا ضحى ببعد خالد

(١) صص ١١٢ و ٢٠٩ و ما بعدهما..

كلاً ولا موسى الكليم الدان
 شه درَ من أخي قربان
 فعلاً يقُوم بلا برهان
 كالوصف غير الذات في الحسبان
 لم يعشوا أصلًا بذِي الأديان
 العرش خارج هذه الأكونان
 ذو أحرف قد رُتّب بيَان
 كالفعل منه كلاماً سِيَان
 العقلاً صحته بلا نكران
 أصحاب هذا القول بالعدوان
 هم عسُّك القرآن والإيمان
 تأوِيل ذي التحرير والبطلان
 زادت ثلاثة قول ذي البرهان^(١)

إذ قال إبراهيم ليس خليله
 شكر الضحمة كل صاحب سُنة
 وقضى بأنَّ الله ليس بفاعل
 بل فعله المفعول خارج ذاته
 ولنا الأئمة كالفلاسفة الالبي
 ما فيهم من قال إنَّ الله فوق
 أمَّا الذي قال إنَّ كلامه
 وكلامه بمشيئة وإرادة
 فهو الذي قد قال قوله يعلم
 ولأيِّ شيء دائمًا كفرتم
 لا تنصرنَّ سوى الحديث وأهله
 هذا وأصل بلية الإسلام من
 هذا الذي فرق السبعين بل

وتبلو من خلال هذه الأبيات فكرة التجسيم بوضوح.

ومن الطريف أنَّ ابن القيم الذي أنكر المجاز، سيرًا على سُنة إمامه ابن تيمية، واعتبره طاغوتاً، وقع في المجاز وقال به؛ حين أطلق على كتبه أسماءً مجازية^(٢).

وقد تصدَّى للردُّ على ابن القيم في تصريحاته التجسيمية هذه العديد من الفقهاء، على مستوى الماضي والحاضر^(٣).

(١) صص ٥٠ و ١١٠ و ٢٤٢ وما بعدها..

(٢) مثل: كتابه الصواعق المرسلة، الذي جعل فيه فصلاً عنوانه (في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهمية لتعطيل حفائق الأسماء والصفات)، وهو طاغوت المجاز. ونأمل نسبة المجاز للجهمية مع كونه من حفائق اللغة ونوابتها، وهو ما يشير إلى تحفظ ابن القيم، كما هو حال إمامه.

(٣) انظر: السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل (ابن القيم) للسبكي، تحقيق: زاهر الكوثرى.

أقوال ابن تيمية

وتبنّى الوهابيون تراث ابن تيمية بالكامل، واعتبروه الفقيه الأوحد، ومثُل السلف والناطق الشرعي بمساهم.

وهذه أكذوبة من أكاذيب الوهابية التي خدعوا بها المسلمين، فلم يكن ابن تيمية مثلاً للسلف ولا ناطقاً بمساهم، ولم يكن سوى واحد من الفقهاء الشاذين عن الإجماع وعقيدة الأمة.

أما مخالفته للإجماع، فيتمثل في العديد من القضايا والمسائل الشاذة التي قالها وتبنّاها. وأما شنوده عن عقيدة الأمة، فيتمثل في تبنيه عقيدة التشبيه والتجمسيم، وهو محور حديثنا هنا.

وتبنّى الوهابيون لتراث ابن تيمية، يعني تبنيهم لقضية التشبيه والتجمسيم، التي طرحتها خلال العديد من رسائله وأقواله وفتاويه.

والمسائل العقائدية التي شدّها ابن تيمية، وأدت إلى صدام الفقهاء معه وإعلان الحرب عليه، وصدور شتى الأحكام عليه، تتركز فيما يلي:

- قوله بالجسمية والجهة والانتقال لله تعالى.
- قوله إنَّ الله يتكلّم بصوت وحرف.
- قوله الله بقدر العرش.
- قوله بإنكار المجاز.
- قوله إنَّ الله سبحانه محلَّ الحوادث.
- قوله بفناء النار.

قال الحافظ ولـي الدين العراقي: (وأمّا الشيخ تقى الدين ابن تيمية، كما قيل، علمه أكثر من عقله، فأداء اجتهاده إلى خرق الإجماع في مسائل كثيرة، قيل إنّها تبلغ ستين

مسألة، فأخذته الألسنة بسبب ذلك، ونطرق إليه اللوم، وامتحن لهذا السبب، وأسرع علماء عصره في الرد عليه وتخطئه وتبديعه، ومات مسجوناً بسبب ذلك) ^(١).

وقال ابن حجر الهيثمي: (ابن تيمية عبد خذله الله تعالى وأصله وأعماه وأصمه وأذله، بذلك صرّح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمعطالية كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وجلالته وبلغه مرتبة الاجتهاد، أبي الحسن السبكي، وولده التاج، والشيخ الإمام العزّ بن جماعة، وأهل عصرهم، وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية).

ولم يقصر اعترافه على متأخّري الصوفية، بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب. والحاصل أنْ لا يُقام لكلامه وزن، بل يُرمى في كل وعر، ويعتقد فيه أَنَّه مبتدع ضالّ ومضلّ، جاهل غال، أجارنا الله من مثل طريقته وعقيدته) ^(٢).

وقال الذهبي: (وقد رأيتُ ما آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ مِنْ الْحَطَّ عَلَيْهِ، وَالْهَجْرُ وَالتَّضْلِيلُ وَالْتَّكْفِيرُ، وَالتَّكْذِيبُ بِحَقِّ وَبِلَطْلِ، فَقَدْ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ - الْفَلْسَفَةِ - مُنَوَّراً مُضِيئاً، عَلَى مُحِيَاهِ سِيمَا السَّلْفِ، ثُمَّ صَارَ مُظْلِمًا مَكْشُوفًا، عَلَيْهِ قُتِّمَةٌ عِنْدَ خَلَائِقِ النَّاسِ، وَدَجَالًا أَفَاكًا كَافِرًا عِنْدَ أَعْدَائِهِ).

يا رجل قد بلعت سوم الفلسفه ومصنفاهم مرآت، يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك، بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والإهدار، أو بالتأويل والإنكار) ^(٣).
وكان ابن تيمية قد أنكر المجاز، وسار على قوله تلميذه ابن القيم، وكلامها أسرفا وبالغا في استخدام لغة الحقيقة، حتى وقعا في التجسيم.

يقول منصور عويس: (إِنْ إِنْكَارَ ابْنِ تِيمِيَّةَ لِلْمَجَازِ تَقْوِيَّهُ أَنَّهُ مُشَبِّهٌ، وَإِنْ أَدَعَى التَّنْزِيهَ، وَمُجَسِّمٌ، وَإِنْ أَدَعَى التَّقْدِيسَ، لَأَنَّ مَفْهُومَ مَذَهَبِ السَّلْفِ عِنْدَ غَيْرِهِ لَمْ يَمْنَعْ التَّأْوِيلَ

(١) انظر: الأرجوبة المرضية عن الأسئلة المكثّة.

(٢) انظر: الفتاوی الحديثة، ص ٨٥ وما بعدها..

(٣) انظر: رسالته لابن تيمية في الإعلان بالتوبیخ لمن ذم التاریخ للسخاوي. والذهبی کان من تلامیذ ابن تیمیة.

الإجمالي، وإن سكت عن التأويل التفصيلي، أو بعبارة أخرى، أنَّ غيره منع إسناد الظاهر الموهم للتشبيه، ثُمَّ فوَضَ المعنى إلى الله تعالى.

ثُمَّ إنَّ هؤلاء المتمسحين في السلف متناقضون؛ لأنَّهم يُثبتون تلك المتشابهات على حقائقها، ولا ريب أنَّ حقيقة تسلُّم الحدوث وأعراض الحدوث، كالجسمية والتجزئ والحركة والانتقال.

ولو أنصف هؤلاء، لسكتوا عن الآيات والأخبار المتشابهة، واكتفوا بتزريه الله تعالى عمَّا توهَّمَ ظاهرها من الحدوث ولو ازمه، ثُمَّ فوَضُوا الأمر في تبيين معانِيَها إلى الله وحده، وبذلك يكونون سلفيًّين حقًا. لكنَّها شبَّهات عرَضت لهم في هذا المقام، فشُوشت حالم، وبَلَبَلتُ أفكارهم^(١).

وهذا الكلام يقصد به: أنَّه لو كان ابن تيمية، والوهابيُّون الذين ساروا على سنته، التزموا بعقيدة السلف، لأغْنَوا أنفسهم عن هذا التيه والبلبلة والتلبيس، الذي ألحَّ على ضرر بعقول المسلمين وفرق صفوفهم.

وقال الكوثرى: (والحاصل أنَّ التفويف مع التزريه مذهب جهور السلف، لانتفاء الضرورة في عهدهم، والتأويل مع التزريه مذهب جهور الخلف، حيث عنِّي لهم ضرورة التأويل؛ لكثرَة الساعين في الإضلal في زمانهم).

وليس بين الفريقين خلاف حقيقي؛ لأنَّ كليهما متزهٌ، ومن أهل العلم من توسط بين هؤلاء وهؤلاء.

وأمَّا المشبهة، فنراهم يقولون: نحن لا نؤوِّل، بل نحمل آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها، وهم في قولهم هذا غير متبعين إلى أنَّ استعمال اللفظ في الله سبحانه بالمعنى المراد عند استعماله في الخلق تشبيه صريح، وحمله على معنى سواه تأويل. على أنَّ الأخبار المخْتَجَّة في الصفات إنما هي في الصاحح المشاهير دون الوحدان والمفاريد

(١) انظر: ابن تيمية ليس سلفيًّا، الفصل الرابع، صص ٤٢ و ٥٨ و ٥٩.

والمناكير، والمنقطعات والضعف والموضوعات. مع أنَّهم يسوقونها جميعها في مساق واحد، في كتب يسمُّونها: التوحيد، أو الصفات، أو السنة، أو العلو، ونحوها..^(١).

ويعدُّ ابن تيمية وأتباعه من الفريق الثالث، فريق المشبهة والجسمة.

وأشار الشيخ محمد أبو زهرة إلى أنَّ ابن تيمية، في تصويره لمذهب السلف، يقول بظاهر النصوص القرآنية، وأنْ تصويره فيه نظر. ثُمَّ استعرض كلام ابن تيمية: ليس في كتاب الله ولا في سنة، ولا عن أحد من سلف الأمة، ولا من الصحابة والتابعين، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمان الأهواء والاختلاف، حرف واحد يخالف ذلك، ولا نصاً ظاهراً، ولم يقل أحد منهم إنَّ الله ليس في السماء، ولا أنَّه ليس على العرش، ولا أنَّه في كل مكان، ولا أنَّ جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا أنَّه لا داخل العلم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا أنَّه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها.

وقال معلقاً: (وعلى ذلك يقرر ابن تيمية أنَّ مذهب السلف هو إثبات كل ما جاء في القرآن، من فوقية وتحتية واستواء على العرش، ووجه ويد ومحبة وبغض، وما جاء في السنة من ذلك أيضاً، من غير تأويل، وبالظاهر الحرف).

فهل هذا هو مذهب السلف حقاً!^(٢).

ونقول في الإجابة عن ذلك: لقد سبقه هذا الخبلة في القرن الرابع الهجري، وأدعوا أنَّ ذلك مذهب السلف، وناقشهم العلماء في ذلك الوقت، وأثبتوه أنَّه يؤدي إلى التشبيه والجسمية لا محالة.

وكيف لا يؤدي إليهما والإشارة الحسية إليه جائزة؟! ولذلك تصدَّى لهم الإمام الفقيه الخطيب الحنبلي ابن الجوزي، ونفى أن يكون ذلك مذهب السلف، ونفى أن يكون ذلك مذهب الإمام أحمد^(٣).

(١) انظر: مقدمة السيف الصقيل.

(٢) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية.

(٣) انظر: دفع شبه التشبيه.

قال ابن تيمية: (وأمّا التأويل المذموم والباطل، فهو تأويل أهل التحرير والبدع، الذين يتأوّلونه ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله، بغير دليل يوجب ذلك، ويدعون أنْ في ظاهره من المذور ما هو نظير المذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل، ويصرفونه إلى معانٍ هي نظير المعانٍ التي نفوا عنها، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإنْ كان الثابت حقاً ممكناً، كان المنفي مثله، وإنْ كان المنفي بطلاً ممتنعاً، كان الثابت مثله).

وهؤلاء الذين ينفون التأويل مطلقاً، ويختّجرون بقوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله)، قد يظنّون إنّا خوطبنا في القرآن بما لا يفهم أحد، أو بما لا معنى له، أو بما لا يفهم منه شيء، وهذا مع أنه بطل، فهو متناقض^(١).

ويقول منصور عويس: (وابن تيمية قد خالف غيره في تصوير مذهب السلف، حيث قال بظاهر النصوص، ثمَّ تناقض مع نفسه فقال: (وإجراؤها على ظاهرها، مع نفي الكيفية والتشبّيـه عنها). أمّا غيره فقال: إنَّ الظاهر الموهم للتشبّيـه غير مراده، ثمَّ تفويض المعنى بعد ذلك إلى الله تعالى).

وابن تيمية يعارض اتجاه التأويل - بحسب طريقة هو - ؛ وذلك أنه ينفي أن يكون في ظاهر اللفظ مذوراً، كما يعارض اتجاه التفويض لله تعالى، من حيث تحديد المعنى الخاص بالنص - بحسب طريقة أيضاً - ؛ وذلك أنه ينفي أن يكون في القرآن مالا يفهم أحد).

وقال: (فابن تيمية، باعتبار تصويره لمذهب السلف، يُعتبر غير سلفي، باعتبار فهم غيره في تصوير مذهب السلف).

وعلى كلّ، فهل ابن تيمية التزم المنهج الذي حدّده في تصويره لمذهب السلف، حتى يمكن القول بأنه سلفي متناسق الرأي، أم أنه حائد عن مذهب السلف، سواء كان بالنسبة لتصويره هو، أو تصوير غيره لمذهب السلف؟!

(١) انظر: الرسالة التدميرية ونقض التدميرية لسعيد فوده.

والواقع أنَّ ابن تيمية ليس سلفياً في كلا الأمرين، والتطبيق العملي لكلامه يؤكد ذلك^(١).

ومجموع فتاوى ابن تيمية التي وصلت إلى سبع وثلاثين مجلداً تم طبعها من قبل الوهابيين، وعلى نفقة خادم الحرمين، ووزّعت مجاناً على العديد من المؤسسات والرموز الإسلامية، وتحمّست لنشرها، بدعم من الوهابيين، العديد من دور النشر السلفية، التي تسير في ركاب الوهابيين.

وقد حوت هذه الفتاوى العديد من النصوص التي تؤكّد التجسيم والتشبّيه، وإثبات الجهة والتحيز لله سبحانه، وقيام الحوادث به، تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً.

قال ابن تيمية في الفتوى: (ولا نريد بالتحيز أن يكون قد أحاط به، بل نريد بالتحيز الذي في الجهة أن يكون بحيث يُشار إليه بالحسن، إِنَّه هاهنا أو هناك. ولا ريب أنَّ ما كان فوق العالم، فلابدَ أن يُشار إليه بأنه هناك، وهذا هو القول بالتحيز والجهة عندنا)^(٢).

وقال: (وليس في شيء من ذلك - أي في الآيات والأحاديث والآثار - نفي الجهة والتحيز عن الله، ولا وصفه بما يستلزم لزوم ما بيناه بعد ذلك)^(٣).

وعدَّ الخارجين عن رأيه خارجين عن الدين، وقال: (...إِنَّ هذا الكلام ليس من دين الله، ولا من الإيمان، ولا من سبيل المؤمنين، ولا من طاعة الله ورسوله، وإذا كان كذلك، فمن التزم اعتقاده فقد جعله من الإيمان والدين، وذلك تبديل للدين، كما بدأه اليهود والنصارى ومبتدعة هذه الأمة)^(٤).

وقال: (فَيُقَالُ لَمَنْ نَفَى: أَتَرِيدُ بِالْجِهَةِ مَا وَرَاءَ الْعِلْمِ؟
فَلَا رِيبُ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَالَمِ، مُبَيِّنٌ لِخَلْوَقَاتِهِ).

(١) ابن تيمية ليس سلفياً، الفصل الثاني، صص ٢٥ و ٢٦.

(٢) انظر: الفتوى، ابن تيمية، ج ٥، ص ٢٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٧٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨.

وكذلك يُقال لمن قال (الله في جهة): أتريد بذلك أنَّ الله فوق العالم..

أو تريده أنَّ الله داخل في كل شيء من المخلوقات؟

فإنْ أردت الأولى فهو حق.

وإنْ أردت الثانية فهو بطل^(١).

وقال: (فهذا كله وما أشبهه، شواهد ودلائل على الحدّ، ومن لم يعترف به، فقد كفر بتنزيل الله وجحد آياته)^(٢).

وقال: (من زعم أنَّ الرحمن على العرش استوى خلاف ما يقرُّ في نفوس العامة، فهو جهميٌّ، فإنَّ الذي أقرَّه الله تعالى وفطر عباده وجلبهم عليه، أنَّ ربِّهم فوق سماواته)^(٣).

وقال: (ولو قد شاء - أي الله سبحانه - لاستقرَّ على ظهر بعوضة، فاستقلَّ به بقدرته ولطف ربيوبته، فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات والأرض؟!)^(٤).

وقال: (الكلام في وصف الله بالجسم نفياً وإثباتاً بدعة، لم يقلَّ لها أحدٌ من سلف الأمة وأئمتها؛ إنَّ الله ليس بجسم، كما لم يقولوا إنَّ الله جسم)^(٥).

وقال: (وأمَّا قولك ليس مركباً، فإنَّ أردت به أَنَّه سبحانه ركيبة مركبة، وكان متفرقاً فتركب، وأنَّه يجب تفرقه وانفصاله، فالله تعالى مترَّى عن ذلك)^(٦).

وقال منصور عويس معلقاً: فمن هذا النص نرى أنَّ ما ينفيه في التركيب بالنسبة لله تعالى ليس ذات التركيب، وإنما ينفي أن يركبه مركب، كما ينفي أَنَّه كان متفرقاً فتركب. فمعنى هذا أنَّ ما يثبته هو التركيب الذي لم يسبق تفرقه، كما يشير النص إلى

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص٤٢؛ وانظر: الرسالة التلمذية، فصل تنازع الناس في الجهة والتحيز؛ وانظر أيضاً: رسالة في نفي الجهة للكلاسي.

(٣) المرجع السابق، ج٥، ص١٢٧.

(٤) المرجع السابق، ج٥، ص١٢٧.

(٥) المرجع السابق، ج٥، ص١٩٢.

(٦) انظر: بيان نلبيس الجهمية، ج١، ص٢٦٨.

أنه لا يمكن تفرقه وانفصاله^(١).

ونقل كلام أبو بكر بن الخلال: (إن أبا عبد الله سُئل عَمِّنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بصوت).

قال: بلـى، تـكـلـمـ بـصـوـتـ، وـهـذـهـ الـأـحـادـيـثـ كـمـاـ جـاءـتـ نـرـوـيـهـاـ، لـكـلـ حـدـيـثـ وجـهـةـ)^(٢).

وروى عن المروزي، قال: (سمعت أبا عبد الله وقيل له: إنَّ عبد الوهاب قد تكلَّمَ وقال: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ مُوسَى بِلَا صَوْتٍ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، عَذَّوَ اللَّهُ وَعَذَّوَ الْإِسْلَامَ). فتبَسَّمَ أبو عبد الله وقال: (ما أَحْسَنَ مَا قَالَهُ، عَافَاهُ اللَّهُ)^(٣).

وقال ابن تيمية: (إنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ بِصَوْتٍ، كَمَا جَاءَتِ الْأَحَادِيثُ الصَّحَّاحُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَأَصْوَاتِ الْعِبَادِ)^(٤).

وقد اعترف الوهابي المصري خليل هراس، أنَّ ابن تيمية يرى أنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ بحرف وصوت، تـكـلـمـ الـقـرـآنـ الـعـرـبـيـ بـالـفـاظـهـ وـمـعـانـيـهـ، بـصـوـتـ نـفـسـهـ، كـمـاـ نـكـلـمـ بـالـتـوـرـاـةـ الـعـبـرـيـةـ كـذـلـكـ)^(٥).

وقال الدارقطني: (الصوت ليس بصفة لـكـلـامـ اللـهـ تـعـالـىـ، وـإـنـمـاـ هوـ صـفـةـ لـلـمـنـادـيـ الـذـيـ يـأـمـرـهـ اللـهـ تـعـالـىـ بـالـنـدـاءـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، وـأـنـ كـلـ مـاـ أـضـيـفـ إـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ لـاـ يـجـبـ أـنـ يـكـوـنـ صـفـةـ لـهـ، وـمـنـ زـعـمـ هـذـاـ فـقـدـ كـفـرـ وـأـشـرـكـ)^(٦).

ووضع الباقلان فصلاً تحت عنوان: (الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ اتِّصالَ كَلَامَ اللَّهِ بِالصَّوْتِ)^(٧).

وقال ابن تيمية: (وَالنُّفَاهَةَ مُتَفَقُونَ عَلَى أَنَّ ظَواهرَ النَّصُوصِ تَجَسِّمُ عَنْهُمْ، وَلَيْسَ

(١) ابن تيمية ليس سلفياً.

(٢) موافقة صحيح المنقول، ج ٢، ص ٢٩. وقد ردَّ النَّعْيَ كلام ابن تيمية هذا في سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٩٧.

(٣) الفتوى، ج ٥، ص ١٢٧.

(٤) انظر: شرح الأصفهانية.

(٥) انظر: ابن تيمية السلفي.

(٦) انظر: موسوعة أقوال الدارقطني، ج ١، ص ٥٠.

(٧) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل للباقلان: ج ١، ص ١٨٢.

عندهم بالنفي نص، فهم معترفون بأنَّ قولهم هو البدعة، وقول منازعهم أقرب إلى السنة.

وأمّا ذكر التجسيم وذم المحسنة، فهو لا يُعرف في كلام أحد من السلف والأئمة، كما لا يُعرف في كلامهم أيضاً القول بأنَّ الله جسم أو ليس بجسم، بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية نفي التجسيم^(١).

وقال: (ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله، ولا عن أحد من سلف الأمة، ولا من الصحابة والتابعين، ولا من الأئمة الذين أدركوا زمان الأهواء والاختلاف؛ حرف واحد يخالف ذلك، ولا نصاً ظاهراً، ولم يقل أحد منهم أنَّ الله ليس في السماء، ولا أَنَّه ليس على العرش، ولا أَنَّه في كل مكان)^(٢).

وقال: (فاسم المشبهة ليس له ذكر بذم في الكتاب والسنة، ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين)^(٣).

ونقل قول عثمان بن سعيد وغيره: (إنَّ الحركة من لوازم الحياة، فكل حي متحرك) وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية، نُفاة الصفات الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبييعهم^(٤).

وحول قيام الحوادث بالله تعالى، قال: (هذا كان كثير من المسلمين، كالكلابين ومن وافقهم، يقولون بإثبات الصفات للواجب، دون قيام الحوادث به، فإذا لم يكن لكم حجَّة على نفي قيام الحوادث به، إلَّا ما هو حجَّة لكم على نفي الصفات، كانت الأدلة الدالَّة على بطلان قولكم كثيرة جداً)^(٥).

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح النقول لصریح المعقول: ج ١، ص ٢٤٩.

(٢) انظر: الحموية الكبرى.

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية أو نقض أساس التقليس، ج ١، ص ١٠٩.

(٤) موافقة صحيح النقول.

(٥) درء تعارض العقل والنقل، نقِي الدين أَحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن تيمية، ج ١، ص ٣٥٥.

وقال: (المُثبتون السمعيات الكثيرة المتواترة بخلاف النّفاة، فإنّه ليس معهم شيء من السمع، وإنّما يدعون قيام الدليل العقلي على امتناع قيام الحوادث به) ^(١).

وقال: (وقد احتاجَ أهل الحق على امتناع قيام الحوادث به، بحجج ضعيفة) ^(٢).

وقال: (وقالت الطائفة الثالثة ممن سلك مسلك أولئك المتكلمين: بل نقول إنّه يتكلّم بمشيئته وقدرته، كلاماً قائماً بذاته، كما دلّ على ذلك الكتاب والسنة، وإجماع السلف والأئمة. وإن لزم من ذلك قيام الحوادث به، فلا محذور في ذلك شرعاً ولا عقلاً، بل لازم لجميع طوائف العقلاة، وعليه دلت النصوص الكثيرة، وأقوال السلف والأئمة. ونقول: إنّه يتكلّم بمشيئته وقدرته بالقرآن العربي، وإنّه نادى موسى بصوت سمعه موسى، كما دلت على ذلك النصوص وأقوال السلف) ^(٣).

وقال: (فلا يجوز أن يُنفي قيام الحوادث بذاته؛ لعدم ما يثبت ذلك) ^(٤).

وقال: (وهو أنّه لم ينزل متكلّماً بمحروف متعاقبة لا مجتمعة، وهذا يستلزم قيام الحوادث به، فمن قال بهذا، لم يكن تناقض الكرامية حجّة عليه، ولم يلزم من بطلان قوله بطلان هذا الأصل) ^(٥).

وقول ابن تيمية بقيام الحوادث بالله تعالى وبذاته قالت به الكرامية، ويظهر أنّه نقله منهم.

وقال: (وتحدّث كثيراً من متكلّمة أهل الحديث، كأبي الحسن ابن الزاغوني، وأبي بكر ابن العربي، يحكون الإجماع على امتناع قيام الحوادث به، وهذه من جملة الإجماعات التي يطلقها من يطلقها حسب ما ظنه) ^(٦).

(١) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١٨.

(٢) المرجع السابق، ج ٤، ص ٥٧.

(٣) الفتاوى، ج ٩، ص ٢٨٤، و انظر ج ١٢، ص ٤٤.

(٤) درء نعارض العقل والنقل، ج ٤، ص ٦٠.

(٥) المرجع السابق، ص ١٢٧.

(٦) المرجع السابق، ج ٨، ص ٩٨.

وقال: (إنَّ كثِيرًا مِنْ نُفَاهَةِ الصَّفَاتِ، الْمُعْتَزِلَةَ وَغَيْرَهُمْ، يَجْعَلُونَ مِثْلَ هَذَا حَجَّةً فِي نَفِي قِيامِ الصَّفَاتِ، أَوْ قِيامِ الْحَوَادِثِ بِهِ مُطْلَقًا، وَهُوَ غَلْطٌ مِنْهُمْ^(١)).

واعترف مصنفوهم أنه لا يقوم لهم دليل عقلي، بل ولا سعي، على نفي قيام الحوادث به، إلَّا مَا ينفي الصفات مطلقاً، وذلك في غاية السوء^(٢).

وقال في مواجهة المعارضين:

(وَلَا أَقْمَتْنَا حَجَّةً عَلَى اسْتِحْلَالِ قِيامِ الْحَوَادِثِ..

بَطْلُ الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى امْتِنَاعِ قِيامِ الْحَوَادِثِ...

إِنَّهُ لَا حَجَّةٌ عَلَى امْتِنَاعِ قِيامِ الْحَوَادِثِ بِالرَّبِّ^(٣).

وقال: (فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب، قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذي دلَّ عليه العقل والشرع.

إِنَّا قَالُوا لَنَا: هَذَا يَسْتَلزمُ مِنْهُ أَنْ تَكُونَ الْحَوَادِثُ قَامَتْ بِهِ..

قَلَّنَا: وَمَنْ أَنْكَرَ هَذَا قَبْلَكُمْ مِنَ السَّلْفِ وَالْأَئْمَةِ؟!

ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل، وهو قول لازم لجميع الطوائف، ومن أنكره فلم يعرف لوازمه وملزوماته^(٤).

أما موقف فقهاء أهل السنة مما سبق طرحة من كلام ابن تيمية، فهو ما يلي:

قال القرطبي: (قوله تعالى **﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾**.. هذه مسألة الاستواء وللعلماء فيها كلام وإجراء، وقد بينا أقوال العلماء فيها في (الكتاب الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلي)، وذكرنا فيه هناك أربعة عشر قولًا.

والأكثر من المتقدمين والمتاخرین أَنَّهُ إِذَا وَجَبَ تَنْزِيهُ الْبَارِي سُبْحَانَهُ مِنَ الْجَهَةِ

(١) منهاج السنة، أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيلِ بْنِ تَيْمَةَ الْخَرَانِيِّ أَبُو الْعَبَّاسِ، ج ٢، ص ٢٨١.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥٩.

(٣) الفتلوى، ج ٥، ص ٢٣٨.

(٤) منهاج السنة، ج ١، ص ٢.

والتحيز، فمن ضرورة ذلك ولو احتجه الازمة عليه، عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرین، تزييه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم؛ لأنّه يلزم من ذلك - عندهم - متى اختصّ بجهة، أن يكون في مكان أو حيّز، ويلزم على المكان والحيّز الحركة والسكنون للمتحيز، والتغيير والحدث، هذا قول المتكلمين. وقد كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافرة بإثبات الله تعالى، كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف أنّه استوى على عرشه حقيقة، وخصّ العرش بذلك لأنّه أعظم مخلوقاته، وإنّما جهلوها كيفية الاستواء، فإنّه لا يعلم حقيقته.

قال مالك: الاستواء معلوم - يعني في اللغة - والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة، وكذا قالت أم سلمة^(١).

وقال البيهقي عن العرش والاستواء: (اتفقت أقاويل هذا التفسير على أنّ العرش هو السرير، وأنّه جسم خلقه الله وأمر ملائكته بحمله، وتعبدُهم بتعظيمه والطواف به). وقال بعض أهل السنة: معناه ارتفع، وبعضهم: معناه علا، وبعضهم: معناه الملك والقدرة.

وأمّا تفسير (استوى) = (علا) فهو صحيح، وهو المذهب الحق، وقول أهل السنة^(٢). وقال ابن حنبل: (هو العلو والارتفاع، ولم يزل الله تعالى عالياً مرتفعاً مثل قبل أن يخلق عرشه، فهو فوق كل شيء، والعالي على كل شيء)، وإنّما خصّ العرش؛ لمعنى فيه مخالف لسائر الأشياء، والعرش أفضل الأشياء وأرفعها، فامتدح الله نفسه بأنّه على العرش استوى، أي عليه علا، ولا يجوز أن يقال استوى بمحاسنة ولا بمقابلة، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

(١) تفسير القرطبي: ج ٧، ص ٢١٩، والقرطبي توفي في عام ٦٧١هـ.

(٢) انظر: الأسماء والصفات، ج ٢، ص ٣٧٥، باب ما جاء في العرش والكرسي.

والله تعالى لم يلحقه تغيير ولا تبدل، ولا تلتحقه الحدود، قبل خلق العرش ولا بعد خلق العرش^(١).

وقال الجويني: (فإنَّ الحوادث لا تقوم إلَّا بحادث، وبطل قيام كلامه بجسم؛ إذ يلزم أن يكون التكلُّم جسم. وخالف إجماع الأمة طائفة نبغوا من سجستان ولُقِّبوا بالكرامية، وزعموا أنَّ الحوادث نطراً على ذات الباري، تعالى عن قولهم، وهذا نصَّ مذهب المحسوس).

قال الجويني: (والدليل على استحالة قيام الحوادث بذات الباري تعالى، أنها لو قامت به، لم يخل عنها، وما لم يخل عن الحوادث حادث)^(٢).

وابن تيمية، الذي كانت سنته نسبة خصومه إلى الفرق الضالة والديانات الأخرى، وقع فيما اتهم به الآخرين، وتبنى معتقد خصومه، أو خصوم أهل السنة حسب تصوره؛ تبني القول بفناء النار، وهو قول جهم بن صفوان، وقيام الحوادث بالله تعالى، وهو قول الكرامية، والأدھى والأمر أنْ معتقد قيام الحوادث بالله يقول به المحسوس أيضاً! والأغرب من ذلك أنَّ ابن تيمية أثني على الكرامية المتّهمين بالتجسيم ومدحهم، وهم المُكَفَّرُونَ من قبيل أهل السنة^(٣). والسؤال هنا هو: ما موقف الوهابيين من هذه الإشكالية التي أوقعهم فيها ابن تيمية؟

قال أبو سعيد النسابوري: (وإذا ثبت كلام النفس، وبطل أن يكون الكلام بمعنى الفعل، فقد ثبت كونه تعالى متكلماً، فلابد وأن يكون كلامه قليعاً، لأنَّه لا يجوز قيام الحوادث بذاته)^(٤).

(١) انظر: العقيدة، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ج ١، ص ١٠٨.

(٢) لمع الأدلة في قواعد أهل السنة: باب نقض فكرة قيام الحوادث بذات الباري تعالى، ج ١/١٠٢. والجويني الأشعري توفي في عام ٤٧٨هـ.

(٣) انظر: منهاج السنة، ج ١، ص ١٤٣، ١٥٦، ١٨٠ وقد ربط أقوال الكرامية بأقوال أهل السنة.

(٤) انظر: الغنية في أصول الدين، ج ١، ص ٦٨. والنисابوري توفي عام ٤٧٨هـ.

وقال أبو الفتح الشهريستاني: (وما أوجب التشبيه؛ قيام الحوادث بذاته، وقد ذهبت الكرامية إلى جواز ذلك) ^(١).

وقال الرازى: (إن قيام الحوادث بذات الله تعالى محال؛ لأن تلك الذات وإن كانت كافية في وجود تلك الصفة أو دوام عدمها، لزم دوام وجود تلك الصفة أو دوام عدمها بدوام تلك الذات، وإن لم تكن كافية فيه، فحينئذ تكون تلك الذات واجبة الاتصال بوجود تلك الصفة أو عدمها، وذلك الوجود والعدم يكونان موقوفين على شيء منفصل، والموقف على الموقف على الغير موقوف على الغير، والموقف على الغير ممكن لذاته؛ ينبع أن الواجب لذاته ممكن لذاته، وهو محال) ^(٢).

وقال الخطيب الرازى: (إنه يستحيل قيام الحوادث بذات الله تعالى، خلافاً للكرامية، والدليل عليه أن كل ما كان قابلاً للحوادث، فإنه يستحيل خلوه عن الحوادث، وكل ما كان يمتنع خلوه عن الحوادث، فهو حادث، ينبع: أن كل ما كان قابلاً للحوادث، فإنه يكون حادثاً).

عند هذا نقول: الأجسام قابلة للحوادث، فيجب كونها حادثة.

ونقول أيضاً: إن الله تعالى يمتنع أن يكون حادثاً، فوجب أن يمتنع كونه قابلاً للحوادث) ^(٣).

قال ابن تيمية: (والأمدي قدح في الطرق التي اعتمد عليها الرازى كلها، والمقصود هنا ذكر طعن الأمدي في حُجج نفسه التي احتاجَها على نفي كونه جسماً، ونفي قيام

(١) انظر: غلبة الإقدام في علم الكلام، ج ١، ص ٦٩. والشهريستاني توفي عام ٥٤٨هـ.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، ج ١، ص ١١٣. والرازى شافعى المنصب وتوفي عام ٦٠٤هـ.

(٣) انظر: معالم أصول الدين، ج ١، ص ٤٩. والرازى الخطيب توفي عام ٦٠٦هـ.

للتوسع في هذا الأمر انظر: غلبة المرام في علم الكلام للأمدي، المتوفى عام ٦٣١هـ؛ والفتورات المكية لابن عربى، المتوفى عام ٦٣٨هـ، على خلاف في سنة وفاته؛ والمواقف للأبجى، المتوفى عام ٦٧٥٦هـ؛ وشرح المقاصد في علم الكلام للتفسازان، المتوفى عام ٦٩١هـ؛ وشقاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليق لشمس الدين الزرعى، المتوفى عام ٦٧٥١هـ.

الحوادث به) ^(١).

وقال ابن عابدين في حاشيته: (وكذا المشبهة في الصفات، هم الذين يجوزون قيام الحوادث به تعالى، فيجعلون بعض صفاتـه حادثـة كصفـاتـ الحـوـادـث) ^(٢).

وقال ابن حجر حول حديث (كان الله ولا شيء معه): (وهو أصرح في الرد على من أثبتـ حـوـادـثـ لاـ أـوـكـ لهاـ منـ روـاـيـةـ الـبـابـ،ـ وـهـيـ مـنـ مـسـتـشـئـعـ المـسـائـلـ المـنـسـوـبـةـ لـابـنـ تـيمـيـةـ،ـ وـوـقـعـتـ فـيـ كـلـامـ لـهـ عـلـىـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ،ـ يـرـجـعـ الـرـوـاـيـةـ التـيـ فـيـ هـذـاـ الـبـابـ عـلـىـ غـيرـهـاـ،ـ مـعـ أـنـ قـضـيـةـ الجـمـعـ بـيـنـ الـرـوـاـيـتـيـنـ تـقـضـيـ حـمـلـ هـذـهـ عـلـىـ التـيـ فـيـ بـدـءـ الـخـلـقـ (أـوـكـ شـيـءـ خـلـقـهـ اللـهـ الـقـلـمـ)ـ لـاـ العـكـسـ،ـ وـالـجـمـعـ يـقـدـمـ عـلـىـ التـرـجـيـعـ بـالـأـنـفـاقـ) ^(٣).

ويثبت حميد ابن عبد الوهاب تبني الوهابيون لقيام الحوادث به تعالى، بقوله: قلت، ومعنى قيامـ الحـوـادـثـ بـهـ تـعـالـيـ قـدـرـتـهـ عـلـيـهـاـ وـإـجـادـهـ لـهـ،ـ بـمـشـيـتـهـ وـأـمـرـهـ) ^(٤).

ويثبتها أيضاً شارح نونية ابن القيم بقوله: (والقائلون بأنَّ الْخَلُقَ هُوَ الْمُخْلُقُ، فَرَوُا مِنْ قِيامِ الْحَوَادِثِ بِالرَّبِّ تَعَالَى) ^(٥).

وقال ابن تيمية - بالإضافة إلى ما سبق - بفناء النار، مما أدى إلى ثورة فقهاء أهل السنة عليه، وعلى رأسهم السبكي، الذي قال: (فَإِنْ اعْتَقَادَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ لَا تُنْفَيَانِ). وقد نقل أبو محمد بن حزم الإجماع على ذلك، وأنَّ من خالفه كافر بالإجماع. ولا شكَّ في ذلك؛ فإنه معلوم من الدين بالضرورة) ^(٦).

ونقل البخاري: (كفرت الجهمية في غير موضع من كتاب الله؛ لقولهم إنَّ الجنة تُنْفَى، فمن قال إنَّها تنفذ، فقد كفر، ومن قال إنَّها لا تندوم، فقد كفر، ومن قال إنَّها لا تنقطع،

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ج ٤، ص ٢٦٨.

(٢) انظر: رد المحتار على الدر المختار - شرح تنوير الأ بصـارـ. وابن عـلـيـدـيـنـ تـوـفـيـ عـامـ ١٢٥٢ـهـ.

(٣) انظر: فتح الباري، ج ١٣، ص ٤١٠ ، كتاب التوحيد، ج ٢، ص ٣٥٤.

(٤) انظر: شرح كتاب التوحيد لسلیمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ج ١، ص ٦٤٥. المتوفى عام ١٢٣٢ـهـ.

(٥) انظر: شرح منظومة ابن القيم، ج ١، ص ٣٤٨.

(٦) انظر: مقدمة الموعظ؛ والاعتبار ببقاء الجنة والنار.

فقد كفر، وقد أبلغوا أنهم كفار، وأن نسائهم طوالق^(١).

وقال أبو القاسم الأصبهاني: (من قال الجنة والنار كتب عليهما الفناء، فقد كفر)^(٢).

وقال الملطي: (ومنهم صنف زعموا أن الجنة والنار لم يخلقهما الله بعد، وأنهما تفنيان بعد خلقهما، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً)^(٣).

ويظهر لنا من خلال ما سبق أنَّ جمل الردود على ابن تيمية، والمحاكمات التي جرت له من قبل فقهاء أهل السنة، تدل دلالة قاطعة على شذوذه وانحرافه عن منهجهم وعقائدهم، وهو ما يسحب منه الصفة الشرعية في التحدث بلسانهم ولسان السلف، وينفي من جهة أخرى فكرة تعلقه بالإجماع^(٤)، وهو يقطع الطريق على الوهابيين الذين جعلوه إمامهم، ويضعهم في دائرة المشبهة والمحسومة، ويسحب بساط أهل السنة من تحت أرجلهم.

ويبدو لنا من كثرة النشورات الوهابية التي تصدر في الرد على الخصوم، فيما يتعلق بمسألة الصفات، أنَّ الهجنة عاتية وشديدة عليهم من قبل فقهاء أهل السنة.

وهناك معارك مستمرة بين الوهابيين المعاصرين وخصومهم بسبب قضية التجسيم والتتشبيه؛ نتجت عنها العديد من النشورات، التي تؤكِّد لنا ثباتهم على هذا المعتقد^(٥).

ويبدو أنَّ أحد الوهابيين المعاصرين أحسن بتخبط ابن تيمية ومدى انحرافه عن عقيدة

(١) انظر: خلق أفعال العباد؛ وكذلك: حكم ابن حنبل في السنة، ج ٢٢/١.

(٢) انظر: الحجة في بيان الحجة، ج ١، ص ٢٥١. والأصبهاني توفي عام ٥٢٥هـ.

(٣) انظر: التنبية والرد على أهل المراء والبدع، ج ١، ص ٩٨. والملطي الشافعي توفي عام ٣٧٧هـ؛ وانظر: رفع الاستار لإبطال أدلة القاتلين بفناء النار للصمعاني: المتوفى عام ١١٨٢هـ.

(٤) انظر: غاذج من هذه الردود في ملحق الكتاب.

(٥) انظر: منهج ودراسات في الأسماء والصفات للشنقيطي؛ وعقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن للتسبيري؛ وشرح ابن عثيمين تلميذ ابن باز للمعنة الاعتقاد لابن قدامة الحنفي، والتي قال فيها عن الاستواء: هو استواء حقيقي، معناه العلو والاستقرار، وانظر قوله في عقيدة أهل السنة والجماعة: ونؤمن أنَّ الله على على خلقه بذاته وصفاته، واستواءه على العرش علوه عليه بذاته، ونؤمن بأنَّ الله مع خلقه على العرش، ونؤمن بأنَّ الله تعالى عينين حقيقيتين؛ وانظر: رسالة القول المختار لبيان فناء النار، التي تدافع عن ابن تيمية.

أهل السنة، فأعلن صراحة نقهء لعتقداته ورفضه لها؛ وهو ما يكشف لنا مدى الأزمة التي يعيشها الوهابيون بسبب تبنيهم لأفكار ابن تيمية ومعتقداته، حول التجسيم والتشبيه وقضايا أخرى^(١).

وكان الألباني المحدث الوهابي المعاصر قد ردَّ على ابن تيمية في مسألة قيام الحوادث بـالله تعالى، في معرض شرحه لحديث (إنَّ أُولَئِنَّ شَيْءاً خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلْمَ)، وقال:

(لقد أبطأ ابن تيمية الكلام في ردِّه على الفلاسفة، حاولاً إثبات حوادث لا أُولَئِنَّ لها، وجاء في أثناء ذلك بما تُحَارِبُ فِيهِ الْعُقُولُ، وَلَا تَقْبِلُهُ أَكْثَرُ الْقُلُوبِ، فَذَلِكَ الْقَوْلُ مِنْهُ غَيْرُ مَقْبُولٍ، بل هو مرفوض بـهذا الحديث، وكم كنَّا نُودِّ أن لا يلْجُ ابن تيمية هذا الموجَّه، لأنَّ الْكَلَامَ فِيهِ شَبَهٌ بِالْفَلَسْفَةِ وَعِلْمُ الْكَلَامِ)^(٢).

وردَّ عليه في قوله بفناء النار، ووجه النقد إليه وإلى تلميذه ابن القيم.

ومن بين ما قاله: (فكيف يقول ابن تيمية: ولو قدر عذاب لا آخر له، لم يكن هناك رحمة للبتة، فـكأنَّ الرحمة عنده لا تتحقق إلا بشمولها للكفار المعاندين الطاغين. أليس هذا من أكبر الأدلة على خطأ ابن تيمية وبعده هو ومن اتبَعَهُ، عن الصواب في هذه المسألة الخطيرة)^(٣).

والعجب أنَّ واحداً من الوهابيين لم يعجبه موقف الألباني من مسألة فناء النار، فقام بالردَّ عليه دفاعاً عن ابن تيمية^(٤). وقام وهابي آخر بالتصدي له، وأصدر رسالة في الرد عليه^(٥).

(١) مثل قضية الجهاد، والتصادم مع الحكام، والواقع التي قامت على أساس فتاوى ابن تيمية. وقد تراجع قطاع كبير من الوهابيين عن فكرة العنف ومقاتلة مُعطلِي الشرائع، والتزموا بطاعة أولي الأمر، سيراً مع عقائد أهل السنة. انظر لنا ثقافة الإرهاب في كتب الوهابية.

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ١، ص ٢٠٨.

(٣) انظر: مقتطفه على كتاب رفع الاستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار.

(٤) انظر: رسالة القول المختار لبيان فناء النار.

(٥) انظر: رسالة كشف الاستار لإبطال أدباء فناء النار.

وردَّ الألباني قول ابن تيمية باستقرار الله سبحانه على ظهر بعوضة، وقال: (وهذا يستلزم نسبة الاستقرار عليه لله تعالى، وهذا مما لم يرد، فلا يجوز اعتقاده ونسبته إلى الله عز وجل) ^(١).

وردَّ الألباني قول ابن تيمية بقعود الله سبحانه على العرش، ومحمد بن عبد الله إلى جواره، وقال معلقاً على ما استند عليه ابن تيمية، من أقوال مجاهد وغيره: (إنْ قول مجاهد هذا، وإنْ صَحَّ عنه، لا يجوز أنْ يُتَّخِذ ديناً وعقيدة؛ ما دام أَنَّه ليس له شاهد من الكتاب والسنة) ^(٢).

وردَّ الألباني على ابن تيمية في مسألة إنكاره للمجاز ^(٣)، وردَّ حديث: (خلق الله آدم على صورة الرحمن) ^(٤)، وردَّ قول ابن تيمية: بأنَّ صفة العلو والفوقية حقيقة، وأنَّ معينة الله بالعلم، وقول الوهابيين أنَّ معينته ذاتية ^(٥).

وقال عن المعطلة: (ينفون علوه تعالى على خلقه، وأنَّه باطن من خلقه، بل يصرَّ بعضهم بأنَّه موجود بذاته في كل وجود) ^(٦).

وكان الألباني بقوله هذا ينسب الوهابيين للمعطلة.

وأثبتت ابن تيمية الحركة لله تعالى، وردَّ الألباني هذا الكلام ^(٧).

والوهابيون قد بالغوا في التجسيم والتشبيه، حتى أنَّهم تجاوزاً غلوَّ ابن تيمية، وهو ما يبدو من قول ابن عثيمين: (إنَّ الله معينة حقيقة ذاتية كما ذكرنا، ومن كان هذا شأنه، كان مع خلقه حقيقة، وإنْ كان فوقهم على عرشه)، وهو ما لم يقله ابن تيمية ^(٨).

(١) انظر: مقلمة مختصر العلو.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة: ج ٢/ ١١٧٥ و ١١٧٦

(٥) مقلمة مختصر العلو.

(٦) انظر: مقلمة شرح الطحاوية.

(٧) مقلمة مختصر العلو.

(٨) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد تصدّى بعض الوهابيين لابن عثيمين ورَدُوا مقالته^(١).

قال الشيخ الزرقاني: (لقد أسرف بعض الناس في هذا العصر، فخاضوا في متشابه الصفات بغير حق، وأتوا في حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم يأذن به الله، ولهم فيها كلمات غامضة تحتمل التشبيه والتزويه، وتحتمل الكفر والإيمان، حتى باتت هذه الكلمات نفسها من المتشابهات. ومن المؤسف أنّهم يواجهون العامة وأشخاصهم بهذه، ومن الخطير أنّهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح، ويُخْبِلُونَ إلى الناس أنّهم سلفيون).

من ذلك قولهم: إنَّ اللَّهَ يُشارُ إِلَيْهِ بِالإِشارةِ الْحُسْنَى مِنَ الْجَهَاتِ السَّتَّ، جهةُ الْفَوْقَ. ويقولون: إِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِذَاهِنِهِ اسْتَوَاءً حَقِيقِيًّا، بِمَعْنَى أَنَّهُ اسْتَقَرَ فَوقَهُ اسْتِقرارًا حَقِيقِيًّا. غير أنّهم يعودون فيقولون ليس كاستقرارنا، وليس على ما نعرف. ليس لهم مستند فيما نعلم إِلَّا التشبّث بالظواهر، وقد علمت أنَّ حمل المتشابهات في الصفات على ظواهرها، مع القول بأنّها باقية على حقيقتها، ليس رأيًا لأحد من المسلمين، وإنما هو رأي لبعض أصحاب الأديان الأخرى، كاليهود والنصارى، وأهل النحل الضالة، كالتشبيه والمُجسّمة)^(٢).

وإذا كان ابن تيمية يدعى التمسّك بنهج السلف.

والألبانى يدعى التمسّك بنهج السلف.

وابن عثيمين يدعى التمسّك بنهج السلف.

والرادين عليه يدعون التمسّك بالسلف.

وكل هؤلاء مختلفون متصادمون..

فأين الحقيقة إذن؟!

(١) انظر: رسالة النقول الصحيحة الواضحة الجلية عن السلف الصالح في معنى المعينة الإلهية الحقيقة؛ ورسالة الأقوال السلفية النافية في الرد على من قال إنَّ معينة الله ذاتية.

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٨٧.

ومن مَن هُؤلَاء يَمْثُلُ السَّلْفُ؟

والجواب هو: أَنَّ جَمِيعَ هُؤُلَاء لَا يَمْثُلُونَ السَّلْفَ، بَلْ يَتَمْسَحُونَ بِهِمْ.

وإِذَا كَانَ الْوَهَابِيُّونَ قَدْ تَبَرُّؤُوا مِنَ الْأَشْاعِرَةِ وَالْمَاتَرِيدِيَّةِ وَالْفَلَاسِفَةِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ، وَالْمَذاهِبِ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ فِي الْمَاضِيِّ، إِتْبَاعًا لِنَهْجِ ابْنِ تِيمِيَّةَ، فَهُمْ قَدْ تَبَرُّؤُوا فِي الْحَاضِرِ مِنَ الْتِيَارَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْكِتَابِ وَالْمُفَكَّرِينَ الَّذِينَ يَخْالِفُونَهُمْ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ.

وَحَالُهُمْ فِي هَذَا كَحَالِ ابْنِ تِيمِيَّةِ الَّذِي لَمْ يَرْضَ عَنْ أَحَدٍ، وَلَمْ يَعْجِبْهُ أَحَدٌ، وَكُلُّ مَنْ خَالَفَهُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ.

مِنْ هَنَا، هَاجَمَ الْوَهَابِيُّونَ جَمَاعَةَ الإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمامَهُمْ حَسَنُ الْبَنَى.

وَهَاجَمُوا سَيِّدَ قَطْبِ.

وَهَاجَمُوا جَمَاعَةَ التَّبْلِيغِ وَالدُّعْوَةِ.

وَهَاجَمُوا النَّشَقَيْنَ عَلَيْهِمْ.

وَهَاجَمُوا الْمَقْلَدِيْنَ لِلْمَذاهِبِ.

وَهَاجَمُوا كُلَّ مَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ بِعَقَائِدِهِمْ.

وَكُلُّ هُؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ.

وَاعْتَبَرُوا هُؤُلَاءِ مِنَ الضَّالِّينَ الْمُبَدِّعِينَ، الْمُعْطَلِّينَ لِلصَّفَاتِ وَالنَّافِئِنَ لَهَا، السَّائِرِينَ عَلَى فَحْجَ الْجَهَمَّةِ وَالْمَعْطَلَةِ^(١).

وَالسُّؤَالُ هُوَ: مَنْ الَّذِي يَمْثُلُ أَهْلَ السَّنَةِ: الْوَهَابِيُّونَ، أَمْ هَذِهِ الْمَذاهِبُ وَالْتِيَارَاتُ الَّتِي يَنَاصِبُوهُنَا الْعَدَاءُ؟

وَالجوابُ هُوَ أَنَّ هَذِهِ الْمَذاهِبُ وَالْتِيَارَاتُ هُنَّ الَّتِي تَمْثِلُ أَهْلَ السَّنَةَ؛ لَا رِتْبَاطُهُمْ

(١) انظر منثى ثالث: تبيهت في الرد على من نأى بالتصنيف، من إصدار الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء؛ ورسالة المورد الزلال في التنبية على أخطاء الظلال، أي كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب، الذي ذكر فيه: إنَّ الله لا يتحيز في مكان. وقد صاحب الرسالة في الرد عليه: وهذا قول أهل البدع، كالجهمية والمعزلة والاشاعرة؛ وانظر: منشورحقيقة الدعوات الإسلامية في جزيرة العرب.

بعقائدهم وسلفهم. أما الوهابيون، فيتبعون عقيدة ابن تيمية الشاذة، التي نبذها أهل السنة وحاربوها.

وقد تبنى الوهابيون بدعة ابن تيمية بتقسيم التوحيد إلى ثلاث أقسام، هي:

توحيد الإلهية.

وتوحيد الربوبية.

وتوحيد الأسماء والصفات.

وهي بدعة لم يقل بها أحد من السلف، ولم تقرّها عقيدة أهل السنة.

والمهدف من هذا التقسيم هو إرهاب المخالفين، والضحك على البسطاء وضعاف العقول؛ عن طريق إيهامهم أنَّ الإيمان لا يكتمل إلا بتبني أفكارهم حول أسماء وصفات الله. والمهدف منه أيضاً، تبرير تكفير المخالفين.

وهو ما أقرَّه ابن تيمية والتزم به ابن عبد الوهاب، من أنَّ المشركين كانوا يُقرُّون بتوحيد الربوبية دون توحيد الإلهية، وتمَّ تطبيق هذا المنظور على المسلمين المخالفين الذين أجازوا التوسل بالرسول ﷺ، والاستغاثة به وبالأولياء، والذين اعتُبروا في منظور ابن تيمية وتابعه ابن عبد الوهاب من المشركين، لكونهم يُقرُّون بتوحيد الربوبية دون توحيد الإلهية.

وفكرة كون المشركين والكافار كانوا يوحدون الربوبية من مغالطات ابن تيمية؛ فكل نصوص القرآن تؤكِّد أنَّهم لم يكونوا يُقرُّوا بالربوبية ولا بالإلهية.

كذلك الأمر بالنسبة لما أسموه توحيد الأسماء والصفات؛ فكل من خالف معتقدهم فيها كان من الخارجيين عن الدين.

من هنا.. رفع الوهابيون شعار التوحيد، وربطوا بين مُشركي الأمس ومخالفיהם؛ كي يموهوا على المسلمين، وibrرُوا لأنفسهم تكفير المخالفين، بل وإراقة دمائهم واستحلال أموالهم؛ باعتبارهم من المشركين.

قال ابن تيمية عن الفلاسفة والفقهاء: (أخرجوا من التوحيد ما هو منه، كتوحيد الإلهية وإثبات حقائق أسماء الله، ولم يعرفوا من التوحيد إلا توحيد الربوبية، وهو الإقرار بأنَّ الله خالق كل شيء، وهذا التوحيد كان يقرَّ به المشركون، الذين قال الله عنهم: ﴿هُوَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١)).

وهو ما قام بتطبيقه على المسلمين ابن عبد الوهاب، حين ظهر بدعته في جزيرة العرب، واستخدم سيف آل سعود في إراقة دماء المسلمين، من الفقهاء والأسراف والعامّة، الذين عدُّهم من المشركين المستباحين^(٢).

والنتيجة التي نخرج بها من وراء ذلك كله، هي أنَّ الوهابيين يكذبون على أهل السنة، ويُدَعِّون تمثيل السلف والتلحّف بالتوحيد.

(١) سوف يتم استعراض هذه النصوص في الفصل القادم. وانظر: التنديد بمن عدَّ التوحيد للسوق، ومحنته الرائعة الأخرى في هذا المجال.

(٢) انظر: شرح كتاب التوحيد، ص ١١٩ وما بعدها، ورسائله الأخرى؛ وانظر خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرار؛ والدرر السنّية لزيفي دحلان وتفصيل ذلك في كتابنا نقافة الإرهاب في كتب الوهابية.

أكاذبهم حول القبور والتوكيل

اعتقد المسلمين منذ قرون طويلة تكريماً لهم ورموزهم، ببناء قبور خاصة لهم، وبناء القباب فوق هذه القبور.

واعتقد المسلمون - أيضاً - الاحتفال بهؤلاء الأئمة، وإحياء المناسبات الخاصة لهم، وزيارة مراقدهم والتوكيل لهم عند الله سبحانه.

ولم يبرز من بين الفقهاء من يعترض على هذه الظاهرة أو يستنكرها، أو يعتبرها من البدع والضلالات، حتى برز ابن تيمية في القرن الثامن الهجري، وأعلن الحرب على هذه المراقد وعلى أصحابها، وحرّم شدّ الرحال إليها، ومن بينها قبر الرسول ﷺ، واعتبر التوكيل بالرسول وأصحابه هذه المراقد من الشرك، والزيارة والتبرّك بها عبادة لغير الله.

ولم يكن لابن تيمية من دليل على هذا، سوى بعض الروايات المختلف على صحتها وعلى تفسيرها بين الفقهاء، وبعض الأقوال الشاذة لبعض الخانقحة؛ وهو ما أدى إلى تصدّي الفقهاء له، وإعلان الحرب عليه من قبلهم، بسبب تبنيه لمثل هذه الأمور.

وتبنّى ابن عبد الوهّاب أفكار ابن تيمية، وفرضها على المسلمين في جزيرة العرب بسيوف آل سعود، وجعلها من أساسيات التوحيد، وحكم على مخالفيه من المسلمين

بالشرك والكفر، واستحلّ دمائهم وأموالهم.

ومنذ ذلك الحين، حمل الوهابيون راية المواجهة مع المسلمين، متسلحين بهذه الأفكار، التي عثرواها من المسلمات، لتصبح شغفهم الشاغل، وأرهبوا بها العامة والبسطاء من الناس.

وفي دائرة هذا الباب، سوف نستعرض موقف الفقهاء من هذه المسألة، ليتبين لنا أن دعوى الوهابيين في تحريم زيارة القبور والتوكيل دعوى شاذة، نقضها فقهاء أهل السنة، وهي ليست سوى أكذوبة تضاف إلى أكاذيبهم الكثيرة.

موقف الفقهاء

كان تفجير ابن تيمية لمسألة التوكيل وزيارة قبر النبي ﷺ، وقوله بتحريها، قد دفع بفقهاء أهل السنة إلى التصدي لها، وتبيين موقف أهل السنة منها.

وعلى رأس فقهاء أهل السنة الذين تصدوا له، القاضي الفقيه الشافعي تاج الدين السبكي، بكتابه الشهير (شفاء السقام في زيارة خير الأنام).

قال في مقدمته: (أما بعد.. فهذا كتاب سمّيته شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ورتبته على عشرة أبواب:

□ الأول: القول في الأحاديث الواردة في الزيارة.

□ الثاني: في الأحاديث الدالة على ذلك، وإن لم يكن فيها لفظ الزيارة.

□ الثالث: فيما ورد في السفر إليها.

□ الرابع: في نصوص العلماء على استحبابها.

□ الخامس: في تقرير كونها قربة.

□ السادس: في كون السفر إليها قربة.

□ السابع: في دفع شبه الخصم وتتبع كلماته.

□ الثامن: في التوكيل والاستغاثة.

□ التاسع: في حياة الأنبياء.

□ العاشر: في الشفاعة، لتعلقها بقوله عليه السلام: (من زار قبري وجبت له شفاعتي).
وضمّنت هذا الكتاب الرد على من زعم أنَّ أحاديث الزيارة كلها موضوعة، وأنَّ السفر إليها بدعة غير مشروعة، وهذه المقالة أظهر فساداً من أنْ يرد العلماء عليها، ولكن جعلت هذا الكتاب مستقلاً في الزيارة وما يتعلّق بها، مشتملاً من ذلك على جملة يعزّ جمعها على طالبها، وكنت سمّيت هذا الكتاب: (شنُّ الغارة على من أنكر الزيارة)، ثمَّ اخترت التسمية المتقدمة).

ويبدو لنا من خلال فصول الكتاب، أنَّ السبكي يقرر معتقد أهل السنة و موقفهم في مسألة الزيارة والتوكيل، وهو المعتقد الذي خالفه ابن تيمية، وتبعه الوهابيون عليه. وحنابلة الماضي، من المطربين الذين تبعوا ابن تيمية، قاموا بالهجوم على السبكي، دفاعاً عن ابن تيمية، وتبعهم الوهابيون في هذا الهجوم^(١).

وقام الشيخ التقى ابن الأختاني المالكي^(٢) بالرد على ابن تيمية في مسألة الزيارة

برسالة:

(المقالة المرضيَّة في الرد على من أنكر الزيارة الحمدلية).

فردَّ على ابن تيمية واستجهله، وأعلمَه أنَّه قليل البضاعة في العلم.

قال الأختاني في مقدمة رسالته: (أما بعد.. فإنَّ العبد لما وقف على الكلام المنسوب لابن تيمية، المنقول عنه من نسخة فتياه، ظهر لي من صريح ذلك القول وفحوه مقصدِه،

(١) انظر: الصارم المنكري في الرد على السبكي، محمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي الخنبلـي، المتوفى عام ٧٤٤هـ. وهو من منشورات الوهابيين.

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران، الإمام فاضي القضاة علم الدين الأختاني، كان عالماً دينياً نزيهاً، وافر الجلالـة حميد السيرة. انظر: ترجمته في الواقي بالوفيات، ج ٢، ص ١٩٤ وحسن الحاضرة، ج ١، ص ٤٦٠ وطبقات الشافعية: ج ٢، ص ٢٨٣؛ والدرر الكامنة، ج ١، ص ٦٦. قيل توفي في عام ٧٣٢، أو ٧٥٠، أو ٧٦٣، أو ٧٧٧هـ. ق.

فبعد ذلك شرح الله صدرى للجواب عمّا نقل فيه من مقالته، وسارعت لإطفاء بدعته وضلالته.

فأقول وبالله التوفيق، وأن يوصلنا إليه من أسهل طريق: لقد ضلّ صاحب هذه المقالة وأضلّ، وركب طريق الجحالة واستقلّ، وحاد في دعوه عن الحق وما جاد، وجاهر بعداوة الأنبياء وأظهر لهم العناد، فحرّم السفر لزيارة قبر الرسول وسائر القبور، وخالف في ذلك الخبر الصحيح المؤثر.

لكن كم لصاحب هذه المقالة من مسائل خرق فيها الإجماع، وفتاوي أباح فيها ما حرم الله من الاستبضاع، وتعرض لتنقيص الأنبياء، وحطّ من مقادير الصحابة والأولياء، فتعين مجاهدته والقيام عليه، والقصد بسيف الشريعة الحمدية إليه، وإقامة ما يجب بسبب مقالته نصرةً للأنبياء والمرسلين، ليكون عبرة للمعتبرين، وليرندع به أمثاله من المتمردين). اـ هـ

وتلقيف الوهابيون رد ابن تيمية، وقاموا بتحقيقه ونشره وإشاعته بين المسلمين^(١). وما يؤكّد كذب الوهابيون فيما يتعلّق بمسألة القبور والتوكّل، نصوص كتب عقائد أهل السنة التي لم تُشر من قريب أو بعيد لهذه المسألة. وعلى رأس هذه الكتب كتاب اعتقاد الإمام المجلّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وهو من الكتب التي تبنّاها الوهابيون، وقد قال فيه ابن حنبل بجواز الكرامات على الأولياء، ووجوب التفريق بينهما. وكذلك في رسالة السنة لولده عبد الله، بينها وبين المعجزة. وأنكر على من ردّ الكرامات وضلله. وفي أصول السنة - له أيضاً - لم يُشر إلى شيء يتعلّق بالتوكّل والقبور.

والطريف أنَّ ابن حنبل كان له قبر يزوره أتباعه ومحبّيه، وغمرته المياه مع غمرته من

(١) قدم التحقيق بجامعة الملك سعود لنيل درجة الماجستير، وطبع في الرياض، ويُعدّ هذا الردّ من آخر ما كتب ابن تيمية في حبسه الأخير الذي مات فيه، وقد قام الأخنثى بشكوى ابن تيمية للسلطان، الذي أمر بإخراج ما عنده من الكتب والأوراق واللواء والقلم، ومنع من الكتابة والمطالعة. انظر: تاريخ ابن كثير، ج ١٤، حوادث عام ٧٢٦هـ، عام وفاة ابن تيمية.

مشاهد و مزارات بعد فيضان دجلة وعزم بصدق^(١).

ومن الغريب أنَّ ابن تيمية نقل عن ابن حنبل قوله عن الدعاء عند قبر الرسول ﷺ: (.. وسل الله حاجتك، متوسلاً إليه بنبيه، تُقضى من الله عز وجل ..)^(٢).

وإذا كان ابن حنبل، الذي يدعونه إمامهم، لم يُشر لمسألة القبور والتوكُّل، فمن أين أتى الوهابيون بهذه المسألة، وكيف ضخموها كل هذا التضخيم، حتى حكموا على المسلمين المخالفين بالكفر والشرك على أساسها؟!

والجواب هو: أنَّهم أتوا بها من ابن تيمية، الذي لم يتمرَّد على أهل السنة وحدهم، بل تمَّرَّد على إمامه ابن حنبل أيضاً.

وفي العقيدة الواسطية لابن تيمية، لم يُشر - أيضاً - فيها لمسألة القبور والتوكُّل، بل قال في افتتاحيتها: (أما بعد.. فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة..). والعقيدة الطحاوية لا توجد بها أية إشارة لهذه المسألة، ورغم ذلك قام الوهابيون بتحقيقها ونشرها^(٣).

وحتى في كتب الاعتقاد الحنبليَّة وغير الحنبليَّة، التي يقوم الوهابيون بنشرها، لا توجد إشارة لهذه المسألة، سوى في بعض الكتب المتأخرة بعد ظهور ابن تيمية^(٤).

وجميع كتب العقائد عند أهل السنة ترَكَّز على مسألة صفات الله تعالى، والسمعيَّات، ومسألة الصحابة، وهي تُجمَع على عدم تكفير أهل القبلة بذنب كبير أو صغير^(٥).

(١) انظر: أنظر البداية والنهاية ج ١٢، ص ١٠٩، حوادث عام ٤٦٦هـ. وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٨، ص ٤٠٢، حوادث عام ٤٤٠هـ. وأنظر ذيول العبر للنهوي، ج ١، ص ١٣٧. وفان ابوالفداء في أنباء الغمر في أنباء العمر، ج ١، ص ٨٠، وصارت الرصافة ومشهد احمد ومشهد أبي حنفة وغيرها من المشاهد والمزارات لا يبول اليها الا بالمراكب...

(٢) انظر: الرد على الأخناني، ص ١٦٨.

(٣) انظر: باب أكاذيبهم على التراث.

(٤) انظر كمثال على ذلك: رسالة السنة للبرهاري؛ واعتقادات أهل الحديث لأبي بكر الإسماعيلي؛ والتحفة المدنية في العقائد السلفية لحمد آل معمر؛ والأربعين في دلائل التوحيد لعبد الله المروي؛ ولمعة الاعتقاد لابن قدامة.

(٥) عدا ابن حنبل الذي يكفر تارك الصلاة، والقائلين بخلق القرآن.

واستند الوهابيون على سنّيث يقول: (لا تُشدَّ الرحال إلَّا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا).

ومناقشة هذا الحديث نخرج بما يلي:

أنَّ هذا الحديث فيه وقفات:

أولاً: إنَّ المسجد الحرام ومسجد الرسول به قبور.

ثانياً: إنَّ المسجد الأقصى غير معروف مكانه.

ثالثاً: إنَّ أهل السنة لم يفهموا هذا الفهم الذي فهمه الوهابيون من الحديث، فهم لا يقولون بتحريم زيارة القبور.

رابعاً: إنَّ الوهابيين يفرقون بين زيارة مسجد الرسول وزيارة قبر الرسول، فهم يُقرُّون بجواز زيارة المسجد لا القبر.

وإذا كان محور الإشكال في زيارة قبر الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلماذا طلب الرسول شدَّ الرحال إلى مسجده وهو يحيي قبره؟!

وكيف يكون الحديث بهذا اللفظ الذي يوحى بمنع شدَّ الرحال مطلقاً إلَّا هذه المساجد الثلاث؟!

قضية التوسل

ومن الأكاذيب الفاضحة للوهابية، أنَّهم عمدوا إلى أمور من الفقه والمستحبات يجعلوها من المعتقدات، وبنوا عليها مواقف تكفيرية وشركية وتبديعية استخدموها ضدَّ المخالفين.

ومن بين القضايا التي استثمرها الوهابيون وجعلوها من العقائد، قضية التوسل.

والسؤال هنا هو: هل التوسل حقاً من مباحث الاعتقاد؟

يُعرف الشيخ الدومي التوسل بقوله: (لا يخرج التوسل في الحقيقة عن كونه سبباً من

الأسباب العادلة، التي نصبها الله تعالى مقتضيات لُسْبِيَّاً، وجعل بينهما مقارنة في الوجود، مع كون التأثير له وحده جلٌّ وعلا، فيكون حكمه حكم بقية الأسباب العادلة، التي يضمُّ فيها الإفراط والمغالاة كما يقع من بعض الجُهَّال.

والتفريط كما يقع من أهل القسوة والجفاء، المنكرين لخواص أولياء الله تعالى الثابتة، وكرامتهم الواقعه بالمشاهدة والعيان، إذ ليس من المستحيل، بل ولا من بعيد أن يعلق الله تعالى قضاء حاجة من الحاجات، كشفاء من مرض، أو سعة في رزق، على التوسل بأحد عباده الصالحين. وفي هذه الحالة لا يمكن أن يحصل المطلوب من الشفاء وغيره من غير طريق التوسل بحال، لا لأنَّ التوسل مؤثراً بذاته، ولا لأنَّ النبي أو الولي هو الذي خلق الشفاء وأوجده، بل لما سبق في علمه تعالى القديم من تعليق هذا الشفاء على التوسل المذكور^(١).

ويقول الدكتور عيسى الحميري: (يعتقد بعض الناس أنَّ التوسل من مباحث العقيدة، ويترتب على القول به تكفير أو تبديع أو تفسيق وتضليل. ولو نظرنا إلى هذه القضية بعين الإنصاف، لعلمنا أنَّ التوسل ليس مبحثاً من مباحث الاعتقاد، وأمره يدور بين الجواز والندب، وما كان أمره كذلك فهو من موضوعات الفقه، وإحجام مباحث الفقه في العقيدة خطأ جسيم، وقلب للحقائق وصرف للأمور عن وجهها، والأصل أن ينزل كل بحث في منزلته الصحيحة وفنه اللائق به. علمًا بأنَّ جميع الفقهاء، على اختلاف مذاهبهم الفقهية، يذكرون التوسل في باب صلاة الاستسقاء، أو عند زيارة القبر النبوى الشريف، ولم نر أحداً من علماء أصول الدين يذكر التوسل في التوحيد إطلاقاً)^(٢).

وينقل عن ابن تيمية كلاماً مناقضاً لدعوى الوهابيين، مثل قوله حول أقسام التوسل: (القسم الثالث: وهو أن يقول: اللهم بجاه فلان عندك، أو بركة فلان، أو بحرمة فلان

(١) انظر: من نفحات الدوسي، ص ٣٤ وما بعدها نقاً عن التأمل في حقيقة التوسل، ص ٥٦.

(٢) انظر: التأمل في حقيقة التوسل، ص ٥٦ و ٥٧.

عندك، أفعل بي كذا وكذا..

فهذا يفعله كثير من الناس، لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه، إلا ما رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد بن عبد السلام، فإنه أفتى أنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك، إلا للنبي ﷺ، إن صح الحديث في النبي ﷺ ومعنى الاستفتاء.

وقد روى النسائي والترمذى وغيرهما أن النبي ﷺ علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول: (اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد يا رسول الله، إني أتوسل بك إلى ربِّي في حاجتي ليقضيها لي، اللهم فشفعْه في).

فإن هذا الحديث قد استدل به طائفة على جواز التوسل بالنبي ﷺ في حياته وبعد مماته.

قالوا: وليس في التوسل دعاء المخلوقين، ولا استغاثة بالملائكة، وإنما هو دعاء واستغاثة بالله، لكن فيه سؤال بجاهه، كما في سنن بن ماجه عن النبي ﷺ أنه ذكر في دعاء الخارج للصلوة أن يقول: (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق مشاهي هذا، فإني لم أخرج أثراً ولا بطراً، ولا رباءً ولا سمعة؛ خرجت انقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تُنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنبي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).
قالوا في هذا الحديث: أنه سأله بحق السائلين عليه، وبحق مشاهه إلى الصلوة، والله تعالى قد جعل على نفسه حقاً؛ قال الله تعالى: (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)، ونحو قوله: (كان على ربك وعداً مسؤولاً).

والتوسل إلى الله بغير نبينا، سواء سمعي استغاثة أم لم يسم، لا نعلم أحداً من السلف فعله ولا روى فيه أثراً، ولا نعلم فيه إلا ما أفتى به الشيخ من المنع.

وأما التوسل بالنبي ﷺ، ففيه حديث في السنن رواه النسائي والترمذى وغيرهما: أن أعرابياً أتى النبي فقال: يا رسول الله، إني أصبت في بصرى، فادع الله لي، فقال له النبي:

(توضيحاً وصل ركعتين، ثمَّ قل: اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ وَأَتُوَجِّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدَ، يَا مُحَمَّدَ إِنِّي أَتَشْفَعُ بِكَ فِي رَدِّ بَصْرِيِّ، اللَّهُمَّ شُفْعَ نَبِيِّكَ فِيَّ)، وقال: (فَإِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَمُثِلُّ ذَلِكَ)، فَرَدَ اللَّهُ بَصْرَهُ، فَلِأَجْلِ هَذَا الْحَدِيثِ اسْتَشْفَعَ الشَّيْخُ التَّوَسُّلَ بِهِ.

وللنَّاسِ فِي مَعْنَى هَذَا قَوْلَانِ:

أَحدهما: أَنَّ هَذَا التَّوَسُّلُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ لَمَّا قَالَ: كَنَّا إِذَا أَجَدْنَا تَوَسُّلَ بَنِبِيِّنَا إِلَيْكَ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمَّ نَبِيِّنَا، فَاسْقُنَا.

فَقَدْ ذَكَرَ عُمَرَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَوَسَّلُونَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ فِي الْاسْتِسْقَاءِ، ثُمَّ تَوَسَّلُوا بِعِمَّهِ الْعَبَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَتَوَسَّلُوهُمْ بِهِ هُوَ اسْتِسْقاُوهُمْ بِهِ، بِحِيثُ يَدْعُونَ وَيَدْعُونَ مَعَهُ، فَيَكُونُ هُوَ وَسِيلَتُهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَهَذَا لَمْ يَفْعُلِهِ الصَّحَّابَةُ بَعْدَ مَوْتِهِ وَلَا فِي مَغِيبَتِهِ، وَالنَّبِيُّ كَانَ فِي مُثِلِّ هَذَا شَافِعًا لَهُمْ، دَاعِيًّا لَهُمْ، وَهَذَا قَالَ فِي حَدِيثِ الْأَعْمَى: (اللَّهُمَّ فَشَفِعْنَاهُ فِيَّ)، فَعُلِمَ أَنَّ النَّبِيَّ شَفَعَ لَهُمْ، فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَشْفَعَهُمْ فِيهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ التَّوَسُّلَ يَكُونُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ، وَفِي مَغِيبَتِهِ وَحُضُورِهِ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ أَنَّ مَنْ قَالَ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَا وَجَهَ لِتَكْفِيرِهِ؛ فَإِنَّ هَذِهِ مَسْأَلَةً خَفِيَّةً لَيْسَ أَدَلَّهَا جَلِيلَةً ظَاهِرَةً، وَالْكُفَّرُ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِنْكَارِ مَا عَلِمُوا مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً، أَوْ بِإِنْكَارِ الْأَحْكَامِ الْمُتَوَاتِرَةِ وَالْمُجَمَعِ عَلَيْهَا، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَالْخَلْفَ الْمُتَوَاضِعُ فِيمَا يَشْرُعُ مِنَ الدُّعَاءِ وَمِمَّا يَشْرُعُ، كَانْخَلَافُهُمْ هُلْ تَشْرُعُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ عِنْدَ الذِّبْحِ، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ مَسَائِلِ السُّبُّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّ مَنْ نَفَى التَّوَسُّلَ الَّذِي سَمِّاهُ اسْتِغْاثَةً بِغَيْرِهِ كَفَرَ، وَتَكَفَّرَ مَنْ قَالَ بِقَوْلِ الشَّيْخِ عَزَّ الدِّينِ وَأَمْثَالِهِ، فَأَنْظَهَرَ مَنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى جَوَابٍ، بِلِ الْمُكَفَّرُ بِمُثِلِّ هَذِهِ الْأَمْرَوْنِ يَسْتَحْقَقُ مِنْ غَلِيظِ الْعَقُوبَةِ وَالْتَّعْزِيزِ، مَا يَسْتَحْقَقُهُ أَمْثَالُهُ مِنْ الْمُفْتَرِينَ عَلَى الدِّينِ، لَا سِيمَاءَ مَعْ قَوْلِ النَّبِيِّ: (مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ كَافِرٌ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا) ^(١).

(١) انظر: كتب ورسائل وفتوى ابن تيمية في الفقه: ج ٢٧، ص ٨٣ وما بعدها، ولا يلاحظ في العنوان كلمة (الفقه)، وهو إشارة لكون هذه المسائل من أمور الفقه، لا من أمور الاعتقاد.

واعتبر الشيخ حسن الإحسائي، وهو من الوهابيين، أنَّ التوسل من مسائل الفقه^(١). وقال الشيخ صديق القنوجي: (ومسألة التوسل بالأنبياء والصالحين مما اختلف فيه أهل العلم، وبلغت النوبة فيه إلى أن كُفْر بعضهم بعضاً، أو بدَع أو ضلَل، والأمر أيسر من ذلك وأهون مما هنالك..)^(٢).

وقال الدكتور الحميري معلقاً: (وبالجملة، ليست المسألة مستحقة لمثل هذه الخصومات والخلافات، ولكن أصبح أهل هذا الزمن طوائف، يستوي في الإنكار على أهل الله جاهلهم وعارفهم، ومنهم من يعلم أنَّك على الحق، وفعلك موافق لما جاء به النبي ﷺ، ويُجحده ويُماري ويُجادل)^(٣).

وكان ابن حبان، صاحب السنن، يُكثر من زيارة قبر الإمام الرضا عليه السلام، ويتوسل به كلَّما ألمَت به شدة، قال عن قبره: (وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يُزار، بجنب قبر الرشيد، قد زرتَه مراراً كثيرة، وما حلت بي شدة في وقت مقامي بطوس، فزرت قبر على بن موسى الرضا (صلوات الله على جده وعليه)، ودعوت الله إِذْالتها عَنِّي، إِلَّا أَسْتُجِيب لِي، وزالت عنِّي تلك الشدة. وهذا شيء جربته مراراً فوجدته كذلك. أماننا الله على محبة المصطفى وأهل بيته، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)^(٤).

وقال الحاكم في تاريخ نيسابور، عن الإمام الرضا عليه السلام: (أشخصه المأمون من المدينة إلى البصرة، ثمَّ إلى الأهواز، ثمَّ إلى فارس، ثمَّ إلى نيسابور، إلى أن أخرجه إلى مرو. وكان ما كان، يعني من قصة استخلافه، قال: وسمع على بن موسى أباه وعمومته، إسماعيل، وعبدالله، وإسحاق، وعلى بنى جعفر، عبد الرحمن بن أبي المولى، وغيرهم من أهل الحجاز، وكان يُفتَّي في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ابن نيف وعشرين

(١) التأمل في حقيقة التوسل، ص٥٨، نقاً عن كتابه روضة الأفكار والأفهام.

(٢) انظر: نزل الأبرار، ص٣٧.

(٣) انظر: التأمل في حقيقة التوسل، ص٥٩.

(٤) انظر: الثقات: ج٨، ص٤٥٧. وابن حبان توفي عام ٥٣٥.

سنة. روى عنه من أئمّة الحديث: آدم بن أبي إياس، ونصر بن علي الجهمي، ومحمد بن رافع القشيري، وغيرهم..

استشهد علي بن موسى بسنناباذ في طوس، ليلة الجمعة من شهر رمضان من سنة ٢٠٣، وهو ابن ٤٩ سنة وستة أشهر، ثُمَّ حُكِي من طريق آخر أَنَّه مات في صفر.

قال: وسمعت أبا بكر، محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى، يقول: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة، وعديله أبي علي الثقفي، مع جماعة من مشائخنا، وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا بطوس. قال: فرأيت من تعظيمه - يعني بن خزيمة - لتلك البقعة، وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تخيّرنا! ^(١).

وقال أبو سعد بن السمعاني في الأنساب: (قال أبو حاتم بن حبان، يروي عن أبيه العجائب، كأنَّه كان هم يخطب: ومات يوم السبت، آخر يوم من صفر، وقد سُمِّ في ماء الرمان وسقي)..

قلت: وأورد له ابن حبان بسنده عن آبائه مرفوعاً: السبت لنا والأحد لشيعتنا، والاثنين لبني أميّة والثلاثاء لشيعتهم، والأربعاء لبني العباس والخميس لشيعتهم، والجمعة للناس جميعاً.

وبه: لما أُسرى بي إلى السماء، فسقط إلى الأرض من عرقٍ، فنبت منه الورد، فمن أحب أن يشم رائحتي فليشم الورد.

وبه: ادھتوا بالبنفسج؛ فإنه بارد في الصيف، حار في الشتاء.

وبه: من أكل رمانة بقشرها حتى يستتمّها، أنار الله قلبه أربعين يوماً.

وبه: الحنان بعد النورة أمان من الجذام.

وبه: كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا عطس، قال له علي: يرفع الله ذكرك، فإذا عطس علي قال له: أعلى الله كعبك.

(١) مُنْبِّهُ التَّهْنِيْبُ، ابْنُ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ، ج٧، ص٢٣٩.

وفيه: مَنْ أَدَى فِرِيْضَةً، فَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ دُعَوَةً مُسْتَجَابَةً.

وكان الرضا من أهل العلم والفضل، مع شرف النسب) ^(١).

وروى عن الخلال قوله: (ما هَمَنِي أَمْرٌ فَقَصَدْتُ قَبْرَ مُوسَى ابْنَ جَعْفَرَ الْكَاظِمِ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ}
فتَوَسَّلْتُ بِهِ، إِلَّا سَهَّلَ اللَّهُ لِي مَا أَحَبَ) ^(٢).

وروى عن النبي ﷺ قوله: (حياتي خير لكم، تحدثون و يحدث لكم، فإذا مُتْ كُنْتُ
وفاتي خير لكم، ثُرِّضْتُ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ، فَإِنْ وَجَدْتُ خَيْرًا، حَمَدْتُ اللَّهَ، وَإِنْ وَجَدْتُ شَرًا
اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ) ^(٣).

(١) المرجع السابق، ج ٧، ص ٣٣٦.

(٢) انظر: تاريخ بغداد، ج ١، ص ١٢٠.

(٣) رواه البزار في مستنه، ج ٥، ص ٢٠٨؛ والمimenti في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٤، باب ما يحصل لأمه من استغفاره بعد وفاته، والسيوطبي في الخصائص، ج ٢، ص ٤٩١، باب اختصاصه بعدم بلاه جسله.

أكاذيبهم علم التراث

كانت سنة الوهابيين على الدوام هي العمل على تطويق خصومهم، وسد منافذ المعرفة أمامهم، كي يصبحوا صيداً سهلاً لهم.

من هنا عمل الوهابيون على تصيد الكتب النافعة لهم، والتي تخدم أفكارهم وتدعيم عقائدهم، من أصحاب المذهب السنّي الآخرى، التي يناصبونها العداء ويُكفرونها.

أما الكتب الأخرى، التي تفضح عقائدهم وتكشف أكاذيبهم وتعريّهم، فقد قاموا بالسطو عليها وتحريفها، وحذفوا منها النصوص والعبارات التي يمكن الاحتجاج بها عليهم، وأعادوا نشرها من جديد.

وقد وقع العديد من الباحثين، قليلاً الإطلاع والمعرفة بالتراث، في فخ الوهابية، وتقبلوا هذه الكتب المزيفة واعتمدوها.

وفي مصادر الوهابيين العديد من التحذيرات والتخييف والإرهاب، والتي تصل لحد التحرم من كتب المخالفين، وفي مقدمتها كتب الفلسفة، والمنطق، وعلم الكلام، بالإضافة إلى كتب التيارات والمذاهب.

والجليل بالذكر هنا، أنَّ كتاب منهاج السنة لابن تيمية، الذي يعنونه السند الأكبر

لهم في مواجهة الشيعة، قد اكتشفوا وجود العديد من العورات فيه، خاصةً المأخذ والسقطات التي وقع فيها ابن تيمية في ردّه على الحلي، والتي نَبَّهَ إليها ابن حجر العسقلاني؛ وهو ما دفعهم إلى تحقيقه والإضافة عليه، ليصل حجمه إلى عدّة مجلدات.

وسوف نعرض في دائرة هذا الباب العديد من كتب التراث التي قام الوهابيون بالسطو عليها، وتحريفها وحذف نصوصها، والتي يمكن تحديدها فيما يلي:

- فتح الباري، شرح البخاري، لابن حجر العسقلاني.
- التُّحُفُ في مذاهب السلف، للشواني.
- العقيدة الطحاوية، للطحاوي الحنفي.
- الأذكار، للنwoي.
- منهج السالك إلى بيت الله المُبْجَل في أعمال المناسك، لأبي عيادة.
- مطارق النور تبَدَّأْ أوهام الشيعة، لمال الله.
- منظرة الإمام جعفر الصادق مع الرافضي.
- فتح البلاغة.
- العواصم من القواسم، لأبي بكر بن العربي.

فتح الباري

امتاز فتح الباري عن شروحات البخاري الأخرى بالتوسيع في شروحاته، والإكثار من نقولاته، مما جعله مرجعًا هامًا، يضم بين دفتيريه عشرات الروايات والنصوص التي قلما نجد لها في مرجع آخر.

ونظرًا لشيوخه وانتشاره بين الفقهاء والمؤسسات؛ تصدّى كبير الوهابيين (ابن باز) للكتاب، وقرّ العمل على إصدار طبعة جديدة منه، خاليه من الشبهات والأخطاء حسب تعبيره.

يقول ابن باز في مقدمته لطبعه: (لما كانت الطبعات السابقة من فتح الباري غير خالية من الأخطاء، رأيت من المصلحة العامة أن أجتهد في المقابلة والتصحيح لهذا الكتاب، على ما أمكن من النسخ المعتمدة، وأن أعلق على بعض الموضع التي تمس الحاجة إلى التعليق عليها).

وقد وجدنا للشارح "ابن حجر" أخطاء لا يحسن السكت عندها، فكتبنا عليها تعليقات تتضمن تنبيه القارئ على الصواب، وتحذيره من الخطأ. وأخبرت فضيلة الشيخ أخانا محب الدين الخطيب بهذا العزم، وطلبت منه أن يكون طبع هذا الكتاب في مطبعته، المطبعة السلفية، فجَبَذَ الفكرة ولبَى الطلب، ووعد بالاجتهد في إبراز هذا الكتاب بالظاهر اللائق به^(١). وهنا نطرح التساؤلات التالية:

ما هي هذه الأخطاء التي اكتشفها ابن باز، ولماذا لم يحدُّها لنا؟!
وهل ابن باز يفوق ابن حجر قدرًا وعلماً، حتى يمكنه تخويفه؟!
أم أن هذه الأخطاء لا تخرج عن كونها أموراً تخالف معتقداته؟!
ولماذا اختار ابن باز مُحب الدين الخطيب ليقوم بمهمة طبع ونشر الكتاب؟!
والجواب على هذه التساؤلات يمكن معرفته من خلال الصورة المشوهة التي خرج بها كتاب فتح الباري، والتي لم يقبلها حتى السلفيون من أتباعه، والذين أخذوا يبحثون عن الطبعات الأخرى الكاملة.

لقد تم حذف العديد من النصوص والشروحات المتعلقة بالأحاديث الخاصة بصفات الله سبحانه، وكذلك النصوص المتعلقة بالتولّ والقبور. حتى أنك تجد العديد من الأحاديث ولا تجد الشروحات الخاصة بها.

وقد قام محب الدين الخطيب بعرض الأحاديث على هيئة مجموعات مرقمة، في كل

(١) انظر: فتح الباري، ط المطبعة السلفية ومكتبتها بالقلعة، ج ١، ص ٢.

باب وكل مجموعة تحتها شرحها، بحيث أن القارئ العادي لا يلحظ أن بعض الأحاديث من بين المجموعة لا ذكر لها في الشرح.

ولم يكن ابن باز ليجد شخصية يمكن الوثوق بها للقيام بهذه المهمة سوى محب الدين الخطيب، الذي جاء إلى مصر فاراً من وجه العثمانيين، ليقوم بنشر العديد من الكتب الموجهة ضد الشيعة، وكتب ابن تيمية وابن القيم والذهبي، تلميذ ابن تيمية، ويعلن ولاءه للدولة الوهابية^(١).

وقام ابن باز أيضاً بالسطو على كتاب (التحف في مذاهب السلف) للشوكان، لوجود العديد من النصوص بالكتاب التي لم تُعجبه، فأصدر أمره بطبعه في صورة جديدة، تحوي تعليقاته وبصماته الوهابية عليه.

يقول في مقدمة: (وقد رأيت الأمر بطبعها على حساب رئاسة إدارات البحث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد؛ لتعظيم نفعها، مع العقيلة الواسطية لابن تيمية، ليستفيد طلبة العلم وغيرهم من الرسالتين، ويعلموا عقيدة أهل السنة في هذا الباب. وقد وقع في آخر التحف كلام للمؤلف في المعية غير جيد، فبينت الصواب فيه لمزيد من الفائدة).

أما كلام الشوكان، فكان حول النصوص القرآنية التالية:

قوله تعالى: (وهو معكم أينما كنتم).

قوله: (إن الله مع الصابرين).

قوله: (إن الله مع الذين اتقوا..).

قال الشوكان: (مكذا جاء القرآن، إن الله سبحانه مع هؤلاء، ولا تتكلّف تأويل ذلك كما يتتكلّف غيرنا، بأن المراد بهذا الكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته؛ فإن هذه

(١) من بين هذه الكتب: الخطوط العريضة، ومؤتمر النجف الذي أدعى فيه إعلان فقهاء الشيعة بفضلية أبو بكر وعمر على الإمام علي، ومنهاج الاعتدال للذهبي، وهو مختصر منهاج السنة لابن تيمية، وغيرها من كتب الوهابيين. وبعده محب الدين الخطيب أوك من نشر هذه الكتب في مصر في فترة العشرينات.

شعبة من شُعب التأویل، تختلف مذهب السلف). ورفض ابن باز فكرة التأویل وقال: (إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعَلِمَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ..).

العقيدة الطحاوية

واكتشف الوهابيون أن العقيدة الطحاوية، للطحاوي الحنفي (ت ٥٣٢١)، واسعة الانتشار بين المسلمين، فقام ابن باز بالتعليق على متنها، وتوزيعها على المسلمين على هيئة كُتُبٍ صغير. ومن بين المسائل التي لم تُعجب ابن باز في العقيدة الطحاوية، مسألة العلو، كما لم يُعجبه تحقيق واحد من كبار المحققين لها، وهو المحقق أحمد شاكر.

وباستعراض شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، الذي تم نشره مؤخرًا عن طريق الوهابيين، سوف يتبيّن لنا ما يرتكبه الوهابيون من جرائم في حق تراث المسلمين، ومحاولاتهم الدائمة مصادرة الحقيقة والتعتيم عليها، بالإضافة إلى اللعب بعقول المسلمين.

وعقيدة الطحاوي، الحنفي المذهب، تسير وفق معتقد الأشعري، وقد أقرّها الفقهاء وأهل المذاهب، وتلقّوها بالقبول وأثروا عليها، فكيف تبنّاها الوهابيون وقاموا بنشرها، وهم خصوم الأشعري وأعداء الأشاعرة؟

والجواب: هو أنّهم لم يتبنّوها، وإنّما زيفوها ليخدعوا بها المسلمين، ومرّوا من خلالها عقائدهم المنحرفة البطلة.

ويتضح ذلك بجلاء من خلال تتبع سيرة ابن أبي العز، الذي قام بشرحها، والتي تكشف لنا أنّه لا صلة له بالأحناف ولا بالأشاعرة، وإنّما هو حنبلي متّعصّب، قام بالسطو على العقيدة والانحراف بها من خلال الشرح، نحو تأكيد معتقدات الحنابلة في التجسيم والتشبيه.

وهذا هو السرُّ وراء تبني الوهابيَّون لهذه العقيدة والتحمُّس لنشرها، بل إنَّ الناشر، ربيب الوهابية، قام بوضع بعض التعليقات في الهامش زادت الطين بلة.

قال الناشر في مقدِّمه: (إنَّ هذا الكتاب القيِّم يقلُّ نظيره في التحقيق والبيان، والعمق والإحاطة والتزام منهج الحقِّ، الذي كان عليه السلف الصالح، لذلك لاقتْ هذه العقيدة مدح عدد كبير جدًا من العلماء، شرحها عدد كبير منهم أيضًا. وكان أحسن شروحها المعروفة هذا الشرح، وهو يمثلُ عقيدة السلف أحسن تمثيل. والمُؤلَّف يُكثُر من النقل عن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، من غير إحالة عليها، ولعلَّ له عذرًا في ذلك، وهو أنَّ عقيدة السلف كانت تُحارب من المتعصِّبين والخشوين وعلماء السوء، الذين كان لهم تأثير كبير على بعض الحُكَّام؛ مما جعل بعض أصحاب هذه العقيدة لا يتظاهرون بها – غالباً – في تلك الأيام، التي كان فيها بعض الناس مُغرماً بإتلاف كُتب ابن تيمية. وظنَّي أنَّ هذه المخنة، وهذا العداء لعقيدة السلف الصالح، كانا وراء خفاء اسم المؤلَّف لهذا الشرح المبارك، وكانا وراء خفاء اسم ابن تيمية وابن القيم من الشرح). اهـ

ويبدو من كلام الناشر التضليل والتزييف.

تضليل المسلمين بوصفه كلام الشارح على أنَّه يمثلُ عقيدة السلف الصالح. وتزييفه لمدح العلماء لهذه العقيدة، حيث أنَّ العلماء مدحوا العقيدة ولم يمدحوا شرح ابن أبي العز، وهو ما يتَّضح لنا من خلال تزييفه لكتاب السبكي الذي نقله في الهامش. نسب الناشر في الهامش للسبكي قوله: (وَهَذِهِ الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ فِي الْعَقَائِدِ وَاحِدَةٌ، إِلَّا مَنْ لَحِقَّ بِهَا بِأَهْلِ الْاعْتَزَالِ وَالْتَّجَسِيمِ، وَإِلَّا فَجُمِهُورُهَا عَلَى الْحَقِّ يُقْرَرُونَ عِقِيلَةَ أَبِي جعفر الطحاوي، التي تلقَّاها العلماء سلْفًا وَخَلْفًا بِالْقَبُولِ).

ومراجعة قول السبكي، تبيَّن أنَّ نصَّ على ما يلي:

(وَهُؤُلَاءِ الْخَنْفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَفَضْلَاءُ الْخَنَابَلَةُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، فِي الْعَقَائِدِ يَدُ وَاحِدَةٍ، كَلَّهُمْ عَلَى رَأْيِ أَهْلِ السَّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، يَدِينُونَ اللَّهَ تَعَالَى بِطَرِيقِ شِيخِ السَّنَّةِ أَبِي الْحَسْنِ

الأشعري، لا يجده عنها إلا رُوعاً من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال، ورُوعاً من المخابلة لحقوا بأهل التجسيم، ويرأى الله المالكية، فلم نرَ مالكيَا إلا أشعرياً عقيدةً.

وبالجملة، عقيدة الأشعري هي ما تتضمنه عقيدة أبي جعفر الطحاوي، والتي تلقاها علماء المذهب ورضوها عقيدة^(١).

ومن الواضح أنَّ البون شاسع بين نص كلام السبكي وما نسبه إليه الناشر الوهابي، الذي حرفَ كلامه ليخدم به معتقده، ويُبعد عنه الشبهات.

وممَّا يتضح من مقدمة الناشر، أنَّ الشارح استعان بأقوال ابن تيمية وابن القيم. والسؤال هنا هو: كيف للشارح الحنفي المذهب، الأشعري المعتقد، أن يستعين في شرحه بكلام ابن تيمية وابن القيم، وهما خصوم أداء للأشعري والأشاعرة؟! وكيف لعقيدة تلقي كل هذا القبول والمدح من العلماء، وهي تعتمد على كلام ابن تيمية وابن القيم، المجرَّمين من قبل العلماء والحكَّام، وكتبهما محظورة ومحل إتلاف؟! وما الذي يدفع بالشارح إلى إخفاء اسميهما واسمه أيضاً؟!

وهل لو كان الشارح يعبر حقاً عن عقيدة السلف، ويمثلها أحسن تمثيل - كما قال الناشر الوهابي -؟ يضطر إلى ذلك، ويلقى كلَّ هذا الاضطهاد والمحاربة من العلماء والحكَّام؟! ونقل الناشر حادثة وقعت لابن أبي العز في عام ٧٨٤ هـ. بدمشق، حين انتقدَ قصيدة في مدح النبي ﷺ للأديب علي بن أبي الصفدي، وأنكر أموراً منها: التوسل بالنبي، والقدح في عصمته، وغير ذلك، مما أدى إلى قيام العلماء والقضاة ضده، والمطالبة بتعزيره.

وأحضر خطَّ ابن أبي العز، فوجد فيه قوله: حسي رسول الله. وهذا لا يقال إلا لله، وقوله: اشفع لي. قال: لا تطلب منه الشفاعة، ومنها توسلت بك. فقال: لا يتولَّ به. وقوله: المعصوم من الزلل، قال: إلا من زلة العتاب. وقوله: يا خير خلق الله، قال:

(١) انظر: رسالة معيد النعم ومبيد النقم. وقرب من قوله هذا ذكره في: طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٣٧٧ - ٣٧٨.

الراجع تفضيل الملائكة.

فسئل فاعترف، ثم قال: رجعت عن ذلك^(١).

لقد قدم لنا الناشر الوهابي، من خلال كلامه ونقله لهذه الحادثة، الدليل القاطع على كون الشارح ليس حنفيًا ولا صلة له بالأحناف، إنما هو حنبلي متغصب، يسير على فهج ابن تيمية، وقد عبّث بالعقيدة الطحاوية وحاول تحريفها واستخدامها في دعم عقائد الخنبلة، الجسمة والمشبهة، المخالفة لعقائد أهل السنة والسلف.

وما يدعم هذا أنَّ ابن أبي العز له كتاب بعنوان (سفر المغلوب)، انتقد فيه عقيدة الأشاعرة. وقد ذكر الناشر أنَّ وفاته كانت في عام ٧٩٢هـ، بينما ذكرت المصادر التي ترجمت لابن أبي العز أنَّه توفي في عام ٦٩٩هـ وهذه إشارة إلى كون الشارح شخص آخر، يتتشابه اسمه مع اسم ابن أبي العز الحنفي، شارح الفقه الأكبر لأبي حنيفة، والذي أعلن براءة الأحناف من الآخر، وعدوه من المُبتدِعِين، كما ذكر ابن حجر أنَّ علماء عصره أنكروا عليه^(٢).

وقد دعم الناشر طبعته بأقوال العديد من فقهاء الوهابية، على رأسهم ابن باز والألباني، وعبد الرزاق عفيفي وغيرهم...، ثم أدلى هذا الاعتراف: ولم اجزم بطبعتنا بنسبة الشرح لابن أبي العز، غير أنَّ أستادي الألباني أهدى إليه في المغرب رسالة مصورة عن مخطوطه، ذكر تحت عنوانها أنَّ مؤلف شرح الطحاوية هو ابن أبي العز الحنفي.

وينقل الناشر قول الألباني في مقدمته لشرح الطحاوية: (فإنْ عقيلاً أبو جعفر الطحاوي الحنفي هي عقيدة أهل السنة والجماعة، المتافق على اتباعها من قبل علماء

(١) انظر تفاصيل هذه الحادثة في: أنباء الغمر، ج ١، ص ٢٥٨، وج ٢، ص ٧٥؛ والضوء اللامع في أعيان القرن التاسع: ج ٥، ص ٦٦٥؛ والنجوم الزاهرة: ج ٦، ص ١٣٨.

(٢) انظر ترجمة ابن أبي العز الحنفي في: الطبقات السننية في تراجم الحنفية: ج ١، ص ٣٢٥؛ وأنباء الغمر: ج ٢، ص ٩٦؛ وانظر: شرح الفقه الأكبر.

الملة؛ لأنّها وافقت معتمد علماء هذه الملة خلال قرون متعددة، ومنهم: أبو حنيفة النعمان، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وأكثر أتباعهم. كما أنّها عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري، ولم يشدّ عنها إلاّ من أشرب في قلبه نوع من الاعتزال والجهمية ومناصبة السنة العداوة.

وقد امتنَ الله علىَ فِي سَرِّ لي شرح العقيدة الطحاوية، للعلامة ابن أبي العز الحنفي، بعد حصولي على مخطوطة قيمة).

ويعدّ هذا اعترافاً صريحاً من الألباني أنَّ متن العقيدة الطحاوية يمثل عقيدة أهل السنة، و محلَّ اتفاق علماء الأمة، وهو موافق لعقيدة الأشعري.

إلاَّ أنَّ تبنيه التعليق، وتأريخ الأحاديث التي جاء بها الشارح، يعدّ تناقضاً وتعتيمًا على حقيقة هذه الأحاديث، التي تقود إلى التجسيم والتشبيه، بالإضافة إلى أقوال الشارح التي تصطدم بعقيدة الأشعري.

الأذكار

وقام الوهابيون أيضاً بالسطو على كتاب الأذكار للنووي، وقاموا بتحريف الفصل الأخير منه، الذي حمل عنوان: (فصل في زيارة قبر الرسول ﷺ وأذكارها)، إلى: (فصل في زيارة مسجد رسول الله..).

وبالطبع، لم ينسوا حذف كلام النووي المتعلق بهذا الفصل، الذي يوجب توجّه كل حاج لزيارة قبر الرسول ﷺ، معتبراً ذلك من أهمُّ القربات وأفضل الطلبات.

منهج السالك

ورسالة منهج السالك إلى بيت الله الحرام شكلت إزعاجاً كبيراً للوهابيين وفضحوا لهم؛ لكون مؤلفه من أتباع المذهب الحنفي، الذي يدعون التمسّك به.

وقد قام الوهابيون بتغيير نسمة الرسالة، حتى يموّها على المسلمين، فسمّوها: (تنبيه زائر المدينة على المنوع والمشروع في الزيارة).

قال الوهابي الحقّ في مقدمته: (وأشارت إلى أنَّ ما جاء به فيما أسماه بالخاتمة في زيارة قبر النبي ﷺ، لا يتفق مع ما قررَه علماء السلف، فصوّبت ما ذكره من أخطاء فيما استند إليه من أدلة واهية).

وقد بيّنا سابقاً أنَّ ما قررَه علماء السلف هو مشروعية زيارة قبر الرسول ﷺ، لا منع هذه الزيارة وتحريمها كما يقول الوهابيون، وهو ما يعني أنَّ نسبة هذا الأمر لعلماء السلف من أكاذيب الوهابية.

أما ما قصده الوهابي بالأدلة الواهية، فهي رواية: (من حجَّ ولم يزرنِي فقد جفاني).
ورواية: (من حجَّ فزار قبري، فكأنما زارني في حيالي).

ونقل المؤلّف استحسان ابن حنبل التمسّح بالمنبر، ونقل قوله: (لا بأس بالتمسّح بالقبر).

وكل ذلك عدَّ الوهابي من الأدلة الواهية. ولو لم يعدّها من الأدلة الواهية، لضاع مذهبها وسقطت عقيدته.

مطارات النور

وقام واحد من الوهابييْن الباكستانييْن باستخراج نصوص من أقوال ابن تيمية التي يردّها على العلامة الحلي في منهاج السنة، وصنع محاورة مزعومة بينهما أسماؤها: (مطارات الفور تبدُّد أوهام الشيعة)^(١).

وكان الفائز في هذه المنازرة - بالطبع - هو ابن تيمية، أمَّا الحلي، فلم يكن يكاد يردّ، وكثيراً ما كان يلوذ بالصمت.

(١) طبع القاهر، علم ١٩٧٨م وقد استعرضناه بالتفصيل في كتابنا: المنشآت بين فقهاء الشيعة وفقهاء السنة.

إلا أن صانع المناقشة لم يكن ذكياً؛ فقد اقتطع أقوال ابن تيمية ولم يحسن ترتيبها ولا دعمها بالأدلة، مما جعل القارئ يشكك فيها.

ومن الثابت تاريخياً أنَّ ابن المظہر الحلّي لم يلتقي ابن تيمية ولم ينظره، على الرغم من كونهما أبناء عصر واحد. وابن تيمية في مقلمة منهاج السنة يقطع بأنَّ رده على الحلّي كان غيابياً؛ إذ يقول: (أحضر إلى طائفة من أهل السنة والجماعة كتاباً صنفه بعض شيوخ الرافضة في عصرنا، منفقاً بهذه البضاعة، يدعوه إلى مذهب الرافضة الإمامية من أمكنه دعوته من ولاة الأمور، وغيرهم من أهل الجاهلية... وذكر من أحضر لي هذا الكتاب أنه من أعظم الأسباب في تقرير مذاهبهم، وطلبوها مني بيان ما في هذا الكتاب من الضلال وباطل الخطاب...).

ويتضح لنا من خلال كلام ابن تيمية، أنَّ المناقشة المزعومة هي من صُنع خيال هذا الوهابي، الذي لم يحسن إتقانها وسدَّ عوراتها، فبدت مهللة واهية، لترتد في نحره وتكون حجَّةً عليه وعلى الوهابيين^(١).

مناظرة الرافضي

ونشر الوهابيون مؤخراً ما أسموه: (مناظرة جعفر بن محمد الصادق مع الرافضي.. في التفضيل بين أبي بكر وعلي).

وهو منشور مثل سابقه، بدا فيه الإمام الصادق وكأنَّه واحد من فقهاء السنة، ينود عن الشيفيين ويستحضر الدليل من هنا وهناك ليثبت أفضليتهم على الإمام علي عليهما السلام، والأدلة التي يستحضرها هي أدلة أهل السنة المعتادة، التي يعتمدون عليها دائماً في إثبات أفضلية الشيفيين على الإمام علي.

وبدا الرافضي أمامه ضعيف الحجَّة مُستسلِّم على الدوام.

(١) انظر المناقشة الواسعة لهذا النشور الوهابي في كتابنا: المناظرات بين فقهاء السنة والشيعة.

ويبدو في هذه المناظرة المزعومة الكثير من أوجه الخلل، التي تشير إلى كونها من وضع أحد خصوم الشيعة في الماضي. ومثل هذا المنشور يهدف لضرب الشيعة بالإمام الصادق. ومحقّقه الوهابي يعرض في مقدّمته رواية منسوبة للصادق، رواها النهي في تاريخه عن سالم بن أبي حفصة، تقول: (سألت أبي جعفر وابنه محمد عن أبي بكر وعمر، فقال: يا سالم، تولّهما وابرأ من عدوّهما، فإنّهما كانا إمامي هدى..)

وعلّق الححقّ الوهابي على هذه الرواية بقوله: (هذا إسناده صحيح، وهذا الخبر يظهر موقف أهل البيت الطاهرين من الخلفاء الراشدين، وأنَّ كلَّ ما يُنسب إليهم من أقوال تخالف ذلك، فهو محض افتراء عليهم).

ثمَّ علّق بقوله: (وهذا النص يدين الرافضة من جهة إسناده ومتنه؛ فهم رواته، وهو قول إمامهم الخامس والسادس، وهذا يهدم أصلاً عظيماً من أصول القوم الذي يعتقدونه في وزيري نبيّنا محمد ﷺ، ومن ثمَّ في بقية جماهير الصحابة..).

نهج البلاغة

كان الوهابيون دائمًا يشكّون في كتاب نهج البلاغة، ويعتبرونه منسوباً للإمام علي، وأنَّه من وضع الشريف الرضا.

وسرُّ هذا التشكيك يكمن في ذلك الكم من النصوص المتعلقة بالصحابة التي يحويها الكتاب، وغيرها من النصوص التي تمسّ معتقداتهم. إلا أنَّهم أمام الانتشار الواسع للكتاب بين المسلمين، اضطروا إلى تحقيقه ونشره من جديد، محنّوفاً منه العديد من النصوص التي اعتبرها الححقّ ضعيفة.

ومadam الأمر قد دخل في الصحيح والضعف، فهذا يعني أنَّ نهج البلاغة قد تمَ الاعتراف به من قبلهم، ككتابٍ جامعٍ لخطب وأقوال الإمام علي.

وهذا من تناقضات الوهابية التي تكشف أكاذيبهم؛ فبعد أن كانوا يشكّون في

الكتاب، عادوا يعترفوا به ويصححوه.
وبالطبع، فإنَّ هذا التصحيح إنما ينحصر لقواعدهم ومعتقداتهم، لا للمنهج العلمي والموضوعية.

وعلى رأس ما تم حذفه من فج البلاحة (الخطبة الشَّقشَقَيَّة)، التي يتعرَّض فيها الإمام للخلفاء الثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعثمان. وكذلك الخطبة التي تتعلق بأصحاب وقعة الجمل^(١).

العواصم من القواسم

كانت الطبعة الكاملة من كتاب العواصم من القواسم، لأبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ)، تصلُّ إلى الأربع مئة صفحة، واستغرق ابن العربي أكثر من نصف الكتاب في مناقشة العديد من القضايا الكلامية والفلسفية والعرفانية، والرد على أصحابها.
وكان الفصل أو الموقف الأول من الكتاب - كما سَمِّاه - يحمل عنوان: في بيان قول من أنكروا الحقائق المحسوسة.

والثاني ترَكَّز حول: ما يُفاض على العبد من عرفان يستغرق الأدلة والبيان.
والثالث كان في: قول طائفة لا معلوم إلا بالمحسوس.
والرابع - وهو أطول فصول الكتاب - حمل عنوان: في قول إنَّ العلم لا يؤخذ إلا من المعصوم، والرد على هذه الطائفة.

وعاصمةً بعنوان: ليس في نصوص الشرع ما يُصادم العقل.
وعاصمةً: فيما يعارض ظاهره العقل.

وجعل ابن العربي فصلاً في كتابه للرد على أبي يعلى الحنبلي الجسْم، في كتابه إبطال

(١) انظر: فج البلاحة، طبعة قطر، تحقيق: عبد السلام هارون. وقد تم اختصار الكتاب إلى النصف تقريباً.

التأويلات، الذي كفره بسببه، وغيره من الموضوعات التي تتعلق بهذه الأمور. أماً القسم الثاني من الكتاب، فقد ترَكَز حول خلافات الصحابة، وما دار بينهم من حوادث ووقائع، عمل ابن العربي على تبريرها، بطرق تصطدم بالعقل والمنطق وحركة التاريخ، معتبراً أنَّ مخالفة مثل هذه التبريرات يعُدَّ قاصمة، والامتثال لها يعُد عاصمة.

وهو القسم الذي اقتطعه محب الدين الخطيب من الكتاب، وقام بتحقيقه ونشره للمرة الأولى عام ١٣٧١هـ في مصر، وأسماه (العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي)، وتلقَّفه منه الوهابيون، وقام بالتعليق عليه العديد من رموز الوهابية، الذين زادوا بتعليقهم الطين بلة، وزادوا الكتاب حدة فوق حلته، ثمَّ نشروه بين المسلمين في كل مكان وبلغات عدَّة؛ ليُصبح من أهم المصادر التي يعتمد عليها في مواجهة الشيعة، ومن يتعرَّض للصحابة.

وكان العواصم من القواصم قد قام بطبعه الشيخ عبد الحميد بن باديس عام ١٣٤٧هـ في جزأين، عن مخطوطة جامع الزيتونة. وقام ابن الخطيب بأخذ قسماً من الجزء الثاني - من صفحة ٩٨ إلى صفحة ١٩٣ - ونشره، معتمداً على هذه المخطوطة فقط، ولم يلتفت إلى أي مخطوطة أخرى^(١).

وقام الوهابيون مؤخراً بتحقيق العديد من كتب التراث وإعادة طبعها من جديد، بعد أن حذف منها العبارات التي توهن من بعض الصحابة، أو ترفع من مقام أهل البيت عليهم السلام.

ومن بين ما تم حذفه من هذه الكتب، عبارة: (عليه السلام)، التي كانت تُكتب عادة عند ذكر الإمام علي أو فاطمة الزهراء، أو الحسن والحسين عليهم السلام^(٢).

(١) انظر: مقلمة الطبعة المصرية. وكان الكتاب قد نشره بعد ذلك كملأ في قسمين للدكتور عمار طالبي، الأستاذ بجامعة الجزائر.

(٢) كانت هذه العبارة منتشرة في كتب التراث، مثل: الطبعات القديمة من البخاري، وشرحه فتح الباري، وكذلك في سلم وشرحه للنووي، بالإضافة إلى كتب التاريخ وغيرها.

وقاموا أيضاً بتحقيق العديد من كتب ابن نيمية ورسائل ابن عبد الوهاب، ودعمها بالأسانيد، وسدَّ الثغرات التي ها وستر عوراتها، وإعادة نشرها من جديد^(١).

وقد امتدَّت أكاذيب الوهابيين إلى كتب التاريخ، فشكُّلوا المسلمين فيها، عدا تاريخ ابن كثير؛ لكونه يسير على نهجهم ويلتزم بعقائدهم. ومن بين الكتب التاريخية التي شكُّلوا فيها:

- تاريخ الطبرى.
- مروج الذهب للمسعودي.
- الإمامة والسياسة لابن قتيبة.
- تاريخ اليعقوبى.
- الفتوح لابن الأعثم.

(١) على رأس هذه الكتب منهاج السَّنة لابن نيمية، الذي تم تحقيقه وطبعه في ثمان مجلدات.

أكاذبهم علم الشيعة

مثل الشيعة عُقدة للحنابلة القدامي، ولازالوا يمثّلون عُقدة للوهابيّن اليوم، وعقبة كؤود تقف في طريقهم، بعد أن فرضا أنفسهم على أهل السنّة وتغلّلوا في مؤسّساتهم، واستقطبوا العديد من رموزهم، وأصبح صوّتهم هو الأعلى وسطهم.

إلا أنَّ صوت الشيعة ارتفع أيضًا، وعلا نجمهم بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، وهو ما شكل إزعاجاً كبيراً لهم، ودفعهم إلى العمل بكل طاقتهم وإمكانياتهم، من أجل تشويه الشيعة وتآلّيب المسلمين عليهم في كل مكان.

واللغة التي يستخدمها الوهابيّون في مقاومة الشيعة هي لغة قليعة، تعتمد على أقوال الحنابلة وابن تيمية، أي أنَّ الوهابيّين يواجهون الشيعة في الحاضر بعقل الماضي.

من هنا، فإنَّ حرّهم هذه لم تأتِ بنتيجة ثذكرة، بل إنّها أسهمت في إلقاء الضوء على الشيعة أكثر، وما نراه من توافر الشباب السنّي على الشيعة وإعلان تشيعه هو الدليل على ذلك.

والوهابيّون رغم علوّ صوّتهم، ليسوا سوى مجرّد نقلة لكلام ابن تيمية، ولا يمثّلون شيئاً في واقع المسلمين، وهم فشلوا - على ما هو ظاهر - في دفع أغلبية المسلمين

للتخلي عن زيارة المرقد، والاحتفاء بأصحابها والتسلل لهم، وهذا يشكل فشلاً ذريعاً لهم؛ لكون قضية الزيارة والاحتفال والتسلل هي قضيتهم الكبرى، التي نقضها إمامهم محمد بن عبد الوهاب.

والمجملة على الشيعة من قبل الوهابيين تمثلت في عشرات المنشورات، التي ليس لهم جهد يذكر فيها، وإنما هي منقولة بالكامل من كتب الحنابلة القدامي، وكتب ابن تيمية، وكتب بعض المعاصرين من خصوم الشيعة. حتى أن كل ما ينتظرون به في خطبهم وقنواتهم الفضائية، هو منقول من هذه الرسائل.. وهذا الأمر إن دل على شيء، فإنما يدل على إفلاس الوهابيين، وضحالة عقولهم وضعف لغتهم، في مواجهة خصومهم الشيعة. ولا يمكن القول إن حرب الوهابيين ضد الشيعة، ونشرهم الأكاذيب حولهم، تنحصر فيدائرة المذهبية، إنما حرمهم هذه لها وجه آخر، أمني وسياسي، لا مجال للخوض فيه هنا.

والحق أن الوهابيين - منذ بروزهم في جزيرة العرب - ليسوا سوى أداة لجهات أجنبية متربصة بالإسلام والمسلمين، استخدمتهم من قبل في ضرب الدولة العثمانية، واستخدمتهم في تفريق المسلمين وتوطين الخلافات والنزاعات فيما بينهم، واستخدمتهم في اللعبة الأفغانية، وتستخدمهم الآن في لعبة الإرهاب العالمي، وزعزعة استقرار العديد من الدول، ثم ضد إيران والشيعة.

وما سوف نستعرضه من خلال هذا الباب، هو كم الاتهامات والطعون والشبه التي يثيرونها من خلال هذه المنشورات، التي تؤكد أن الوهابيين يعيشون أزمة كبيرة، بسبب شعورهم بالخطر من قبل الشيعة. وهي تؤكد من جهة أخرى صدق ما قلناه.

ويمكن حصر القضايا التي تركّزت حولها منشورات الوهابيين فيما يلي:

□ ابن سبأ.

□ تحرير القرآن.

- سب الصحابة.
- نكاح المتعة.
- الوصيّة والتقيّة والرجعة والعصمة والغيبة.
- الشيعة والتتار.
- الشيعة والصلبيّين.

ابن سبأ

في منشورٍ وهائي تحت عنوان: (توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبد الله بن سبأ)، أجهد صاحبه اليمني نفسه، في محاولة إثبات وجود ابن سبأ، من خلال مصادر السنة والشيعة، وهو يهدف من وراء ذلك إدانة الشيعة وربطها بمقالة ابن سبأ. وما دام قد ثبت ذلك حسب تصوره، فهذا يؤكد يهودية التشيع.

ومن الواضح أنَّ صاحبنا حاله كحال بقية الوهابيين، يفتقد إلى أدوات البحث العلمي، وتحصيل النتائج من خلال المصادر.

ويغضُّ النظر عن اتجاه البعض، الذي يؤكد أنَّ شخصية ابن سبأ وهميَّة، فإنَّ الأمر هنا لا يتعلَّق بوجوده من عدمه، وإنما يتعلَّق بمقالته.

والسؤال هنا: ما هي مقالة ابن سبأ؟

وهل تقول بها الشيعة أم لا؟

والجواب هو: أنَّ المصادر التاريخية والعقائدية نسبت له العديد من الأقوال، إلا أنَّ ما يعنينا هنا هو ما قاله ابن تيمية - مرجع الوهابية - بشأنه.

قال ابن تيمية: (وكان ظهور البدع بحسب البُعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان، ظهرت بدعة الحرورية (الخوارج)، وتقدَّم بعقوبتها الشيعة من الأصناف الثلاثة الغالية، حيث أحرقهم علي بالنار. والمفضلة، حيث تقدَّم مجلدهم

ثمانين. والسبئية، حيث توعّدهم وطلب أن يُعاقب ابن سبأ بالقتل أو بغيره، فهرب منه^(١).

ويظهر من خلال كلام ابن تيمية أن السبئية هم الصنف الثالث من الغلاة، الذين لا يقولوا بإلوهيته، والذين لا يقولوا بأفضليته.

السؤال هنا هو: إذا كانت السبئية لم تقل بإلوهية علي، ولم تقل بأفضليته، فبماذا قالت حتى توعّدهم الإمام علي، وطلب أن يعاقبهم بالقتل أو بغيره، حسب قول ابن تيمية؟

والراجح أنّهم قالوا بإمامته، فهي الفكرة الباقيّة التي تُنسب للشيعة بخصوص الإمام علي.

والسؤال هو: هل القول بالإمامنة هو غلوّ في الدين؟

والجواب: عند الحنابلة والوهابيين: بلى بالطبع.

إلا أن الإمامة عند الشيعة لها أدلةها من الكتاب والسنة، وما دامت لها أدلةها، فقد خرجت من دائرة الابتداع والغلو.

وبالطبع هذا الكلام لا يرضي حنابلة العصر من الوهابيين، الذين يتبعّدون بالروايات وأقوال الرجال.

قال ابن تيمية: (ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض إنما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ، فإنه أظهر الإسلام وأبطن اليهودية، وطلب أن يفسد الإسلام. كما فعل بولص النصراني، الذي كان يهودياً، في إفساد دين النصارى)^(٢).

وما يظهر لنا من هذا الكلام، أن ابن سبأ أظهر مبدأ الرفض، وحاول أن يفسد به الإسلام، وي فعل به كما فعل بولس بالمسيحية.

(١) مجموع الفتاوى، ج ٢٠، ص ٣٠١.

(٢) مجموع الفتاوى، ج ٢٨، ص ٤٦٨ وما بعدها.

ومبدأ الرفض في مفهوم أهل السنة وابن تيمية، يقصد به تقدیس الإمام علي والقول بإمامته، كما تقول الشيعة، الذين أطلقوا عليهم اسم الرافضة.

وتجمع المصادر التاريخية والعقائدية على أنَّ تسمية الشيعة بالرافضة ارتبطت بزيد بن عني بن الحسين؛ حين تمرد عليه الشيعة بسبب قوله بتولى أبي بكر وعمر.

قال الزبيري عن زيد: (ولحقته الشيعة فسألوه الرجوع معهم والخروج فقبل، فتفرقوا عنه إلا نفراً، فنسبوا إلى الزيدية، ونسب من تفرق عنه إلى الرافضة. يزعمون أنَّهم سألوه عن أبي بكر وعمر فتولآهما، فرفضته الرافضة) ^(١).

وهذا الكلام لنا معه وقفات.

أولاً: من الواضح، من خلال هذه الرواية، أنَّ الشيعة متواجهون قبل زيد، ولم موقفهم الثابت من أبي بكر وعمر.

ثانياً: أنَّه لا يوجد مبرر منطقي لتوجيه هذا السؤال لزيد من قبل أتباعه.

ثالثاً: إنَّ ابن سبأ يسبق فترة زيد بأكثر من قرن، وهذا يعني أنَّ الرافضة برزوا من بعده، فلا يوجد مبرر لربطه بهم.

رابعاً: إنَّ الرواية تؤكد أنَّ المسألة تتعلق بأبي بكر وعمر، لا بأصول الدين.

وقال ابن السكري: (الرفض مصدر رفضتُ الشيء أرفضه، إذا تركته. قال الأصمعي: ومنه سُمِّيت الرافضة، لأنَّهم تركوا زيداً) ^(٢).

وقال ابن كثير حول قصة زيد بن علي: (فلهذا سُموا الرافضة، ومن تابعه من الناس على قوله سمووا الزيدية. وغالب أهل الكوفة منهم رافضة، وغالب أهل مكة إلى اليوم على مذهب الزيدية، وفي مذهبهم حقٌّ وهو تعديل الشيفيين، وباطل وهو اعتقاد تقديم علي عليهما. وليس علي مقدمٌ عليهما، بل ولا عثمان، على أصحٍ قولٍ أهل السنة

(١) انظر: نسب قريش، ج ٢، ص ٦١، لمصعب الزبيري المتوفى عام ٢٣٦هـ.

(٢) انظر: ترتيب إصلاح المنطق: ج ١، ص ٤١٧٦ وانظر: مقالات الإسلاميين، الأشعري، وكتب الفرق والملل والنحل.

الثابتة، والأثار الصحيحة الثابتة عن الصحابة^(١).

وروى ابن حنبل عن الرسول ﷺ قوله: (يكون في آخر الزمان قوم يُنبزون الرافضة، يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم إنهم مشركون)^(٢).

وفي رواية: (يكون في آخر الزمان قوم يُنبزون الرافضة، يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم إنهم مشركون).

قلت: يا رسول الله، ما العلامة فيهم؟

قال: يقرضونك بما ليس فيك، ويطعنون على أصحابي بشتمونهم).

وفي رواية ثالثة: (يكون في آخر الزمان قوم يُنبزون الرافضة، يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم فإنهم مشركون، لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون في السلف)^(٣).

وبين التناقض واضح بين الروايات الثلاثة. ومنذ متى وردت كلمة سلف على لسان رسول الله ﷺ؟!

وما يؤكّد هذا التناقض، استحضار صاحبنا اليمني لرواية تقول: (يا علي، يكون في آخر الزمان قوم نيز يعرفون به، يُقال لهم الرافضة، فإنْ أدركتهم فاقتلوهم، قتلهم الله تعالى، فإنهم مشركون).

وهذه الرواية لا تتناقض فقط مع الروايات السابقة، بل تنسفها نسفاً؛ إذ أنها تربط مقاومة الرافضة بعلي، وهذا يعني أنهم ليسوا من أتباعه.
إلا أنَّ المعروف تاريخياً أنَّ علياً قاتل عائشة والزبير وطلحة، ومعاوية، وغيرهم من الصحابة. فهل هذا يعني أن هؤلاء هم الرافضة الذين أشار إليهم الرسول ﷺ؟

(١) انظر: البداية والنهاية، ج ٩، حوادث عام ١٢١هـ.

(٢) انظر: فضائل الصحابة، ج ١، ص ٤١٧؛ والمسند، ج ١، ص ١٠٣؛ وتأريخ البخاري، ج ١، ص ٢٧٩؛ وفي كتاب السنة لابن حنبل قال: إنه ضعيف.

(٣) انظر: السنة لابن أبي عاصم: باب في ذكر الرافضة.

والعجب أنَّه أراد بهذه الرواية أن يضرب الشيعة بالإمام علي ! وقد اعترف صاحب المنشور بأنَّ حكاية ابن سُبَأ رويت عن طريق سيف ابن عمر، المتهم بالوضع والكذب عند علماء الرجال، إلَّا أنَّه أراد أن ينفي هذا بقوله: (والصحيح أنَّه متزوك). ولكن قد اشتهرت روايته عن ابن سُبَأ اشتهاراً زائداً مستفيضاً !

ونقل قول ابن حجر العسقلاني عنه: (ضعيف الحديث عهدة في التاريخ). وقول ابن حجر لا يمثل حجَّة على الشيعة، وهو إشارة لغباء الاستدلال عند الوهابيين؛ لكون ابن حجر ليس من فقهاء الشيعة، فقوله لا يمثل حجَّة عليهم.

وما يجب الإشارة إليه هنا، هو أنَّ فقهاء أهل السنة دققوا كثيراً في سند الرواية النبوية وأهملوا متنها، وحتى تدقيقهم في السند قام على أساس مذهبية متعصبة؛ كانت نتيجته رفض الرواية الذين يخالفون معتقداتهم ومذاهبهم، والتشكيك فيهم.

ومن صور ذلك، أنَّ يحيى بن سعيد القطان شكَّ في الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقال:

(في نفسي منه شيء، وبمجالد أحبت إلى منه).

وجاء البخاري فتبَنَّى مقولهقطان، ولم يرو للصادق في كتابه.

وجاء ابن تيمية من بعدهم في كتابه منهاج السنة، الذي يرد فيه على كتاب العلامة الحلبـي منهاج الكرامة، فشكَّ في الصادق على أساس موقف البخاري منه^(١).

هذا في الوقت الذي يقرُّ فيه الفقهاء بصدق الخوارج وقبول روایاتهم !

والفقهاء ركزوا على الرواية النبوية من حيث السند، وأهملوا الرواية التاريخية مع أهميتها، مما فتح الباب على مصارعه لدخول الإسرائييليات والخرافات والمواضيعات، ومنها حكاية ابن سُبَأ، والخوارق التي تتعلق بما سُمِّي بالفتوحات^(٢).

من هنا.. اعتبر سيف بن عمر وأمثاله في عهدة التاريخ.

(١) ذكر فقهاء أهل السنة الإمام الصادق، أما مجالد، فقد جرّحه العديد منهم. انظر: كتب التراجم.

(٢) انظر أمثلة من هذه الخرافات فيما لطلق عليه الفتوحات في: تاريخ الطبرى، وكتب التاريخ عندهم.

ادعاءات

وتنسب لابن سبأ فكرة الرجعة والوصية والبداء، التي تقول بها الشيعة. وفكرة الرجعة ليست من الأصول العقائدية عند الشيعة، وهي لا تخرج عن كونها مجرد تصور يرتبط بدور أئمّة أهل البيت وقيمتهم؛ حيث يعتقد أنّ هناك حشر في الدنيا يسبق حشر الآخرة، وذلك للذين ظلموا أهل البيت وانتهكوا ه�مهم، وكذلك عقاب يسبق عقاب الآخرة لهم.

وهذا المعتقد له ما يبرره من نصوص القرآن.

مثل قوله تعالى: **(يَوْمَ نَخْرُسُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا)**

وقوله: **(يَوْمَ نَخْرُسُهُمْ جَمِيعاً)**

وقوله: **(فَلَمْ نُغَاذِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا)**

وقوله: **(رَبَّنَا أَمْتَنَا اثْنَيْنِ وَأَخْيَنَا اثْنَيْنِ..)**

أما فكرة الوصية، فالشيعة يعتقدون بأنَّ الرسول ﷺ أوصى لعلي بالإمامنة من بعده. وعلى ضوء هذا المعتقد، تُعتبر خلافة أبي ويكر وعمر وعثمان بطلة وغير شرعية، وهذا يعدّ من نقاط الخلاف الجوهرية بين الشيعة والسنة، والتي قامت على أساسها فكرة الإمامة، التي اعتُبرت أصلًاً من أصول الدين، بجانب الشهادتين.

وفكرة الوصية أو الإمامة لا تصطدم بجوهر الدين أو ثوابته، إنما ضُحِّمت من قبل أهل السنة والحنابلة الوهابيين خاصة، لكونها تصطدم مع معتقداتهم التي تتعلق بالصحابة وأبي بكر وعمر، المقدّمين على الأمة.

اما البداء، فهو فكرة تتعلق بقوله تعالى: **(يَمْنَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْهِيْتُ وَعِنْدَهُ أَمْْ الْكِتَابِ^(١))**.

وهي فكرة تُشبه فكرة النسخ، وتعلق بالقدر المكتوب على ابن آدم.
والوهابيون وخصوم الشيعة يشيعون عنهم أنَّهم يقولون بأنَّ الله سبحانه يبدي ويظهر
أمرًا لم يكن يعلمه.

وليست فكرة البداء عند الشيعة بهذه الصورة.

يقول الشيخ السبحاني: (لو كانوا واقفين على مراد الشيعة من تحجيز البداء على الله،
لتوقفوا عن الاستنكار، ولأعلنوا الوفاق) ^(١).

والواضح من روایات أهل البيت عليهم السلام أنَّ فكرة البداء تشير إلى غير المعنى الذي تلقفه
خصوم الشيعة ويعملنه الوهابيون.

رُوي عن الصادق عليه السلام قوله: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ بَدَأَهُ فِي شَيْءٍ وَلَمْ يَعْلَمْهُ أَمْسَ، فَأَبْرَأْ
مِنْهُ).

وفي رواية أخرى: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ بَدَأَهُ فِي شَيْءٍ بَدَاءً نَدَامَةً، فَهُوَ عِنْدَنَا كَافِرٌ بِاللهِ
الْعَظِيمِ).

ويعد علم البداء في منظور الشيعة من العلوم الخاصة بآل محمد عليهم السلام. إلا أنَّ الوهابيين
لا يعجبهم مثل هذا الكلام، وهم الذين يعتقدون أنَّ الدين مجرد قوالب جامدة، لا مجال
فيه للعلم الخاص والكشف وما شابه.

ومن الغريب أنَّ تُنسب هذه الأفكار الثلاثة لابن سباء! مع كونها أفكار لا تصطدم
بجوهر الدين ولا تضره في شيء، بل هي من الأفكار الإيجابية النافعة.

وإذا كانت أفكار ابن سباء تفسد الإسلام، وفعلت به كما فعل بولس بالنصرانية،
كمَا قال ابن تيمية، فهل أفسدت هذه الأفكار الإسلام حقاً؟!

أم هي في الحقيقة أحرجت أهل السنة لمخالفتها عقائدهم؟!

ويظهر لنا أنَّ كاتب منشور توضيح النبأ قد خرج عن الموضوع، كما هي عادة

(١) انظر: مع الشيعة الإمامية في عقائدهم؛ وانظر: الحق والحقيقة بين الشيعة والسنة، ص ٣٤.

الوهابيين، وانطلق يلتفت ارديات من هنا وهناك، لينال ما من الشيعة، ولি�صبح كحاطب ليل.

نُقل من العقد الفريد رواية تقول: (كان معنا على سفينة شيخ شرس الأخلاق، إذا ذكر له الشيعة غضب وعقد حاجبيه، ولما سُئل لماذا تكره الشيعة؟ قال: ما أكره فيهم إلا هذه الشين في أول اسمهم؛ فإني لم أجدهما قط إلا في كل شر، مثل: شؤم، وشيطان، وشقاء، وشهوة، وشتم، وشُعْ، ... الخ). قال الراوي: فما ثبت لشيعي بعدها قائمة.

والسؤال هنا: هل حرف سين، الذي تبدأ به الكلمة سنّي، لا يشير إلى شيءٍ من الشر؟! وقال في منشوره: (وذم الرافضة متواتر بين المسلمين، متکاثر في كتبهم ملوّن في سجلاتهم، حتى عند الجن).

ولا تعليق على مثل هذا الاستدلال الجاهل الغبي، والمُضحِّك أيضاً. ويُجاهر الوهابيون بقولٍ منسوب للسيد الخميسي، التقطوه من كتاب الحكومة الإسلامية: (إنَّ لآئمَّتنا مكانة لم يصل إليها نبي أو ملك مقرب).

وهذا الكلام لا يفهمه إلا العارفين، أما الجهلاء من الوهابيين، فيستنكرونها ويشنُعون ب أصحابها؛ لكون الدين في منظورهم صخرة صماء.

ومن المعروف أنَّ الأنبياء درجات، وهم غير الرُّسل، وقد يعلو عليهم الأووصياء أو الحواريَّون؛ لعظيم دورهم و مهمتهم. ودور أهل البيت عليهم السلام ومكانتهم في الإسلام، تعلو هم فوق مصاف الأنبياء.

أما الملائكة، فهم أقلَّ من ابن آدم في الأفضلية، وهو ما يقرُّ به فقهاء أهل السنة. يقول ابن حنبل: (إنَّ بني آدم أفضل من الملائكة، ويُخطئ من يفضل الملائكة على بني آدم) ^(١).

(١) انظر: اعتقاد الإمام المُجلِّ أَحمد بن حنبل، ص ٢٠٦، وانظر العقيدة رواية الخلال، ص ١٢٦.

وهناك من أهل السنة من يفضل الأولياء على الأنبياء، وقد ردَّ ابن تيمية هذا القول، والوهابيون ليسوا سوى مردِّين لكلامه^(١).

وإذا كان ابن آدم - على عمومه - أفضل من الملائكة، فكيف الحال بائمة أهل البيت عليهم السلام؟

ويحاول الوهابيون دائمًا التأكيد على ربط الشيعة باليهود، سيرًا على سنة ابن تيمية، على أساس شخصية ابن سبأ، وادعاء تشابه بعض المعتقدات الشيعية مع المعتقدات اليهودية.

وقد نصَّ قول ابن تيمية على ما يلي:

(وقد أشبهوا اليهود في أمور كثيرة، لا سيما السامرة من اليهود، فإنَّهم أشبهُهم من سائر الأصناف؛ يشبهونهم في دعوى الإمامة في شخص أو بطن بعينه، والتکذيب لكلٍّ من جاء بحقٍّ غيره يدعونه، وفي اتباع الأهواء أو تحريف الكلم عن موضعه، وتأخير الفطر وصلة المغرب، وتحريم ذبائح غيرهم).

ويُشبهون النصارى في الغلو في البشر، والعبادات المُبتدعة، وفي الشرك، وغير ذلك..^(٢).

وما يجب ذكره هنا هو أنَّ هذه المقالة للشعبي، وابن تيمية استعار جزءاً منها. قال الشعبي: (إنْ محنَة الرافضة محنَة اليهود).

قالت اليهود: لا تصلح الأمة إلا لرجل من آل داود.

وقالت الرافضة: لا تصلح الأمة إلا لرجل من ولد علي.

وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح وينزل سبب من السماء.

وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدى وينادي مناد من السماء.

واليهود يؤخرون صلة المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذلك الرافضة.

(١) انظر: *مجموع الفتاوى*، ج ٢، ص ٢٢٢ وما بعدها.

(٢) *مجموع الفتاوى*، ج ٢٨، ص ٤٧٩.

واليهود تزول عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.
 واليهود يستحلّون دم كل مسلم، وكذلك الرافضة.
 واليهود لا يرون على النساء علّة، وكذلك الرافضة.
 واليهود لا يرون الطلاق الثلاث شيئاً، والرافضة كذلك.
 واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن.
 واليهود يبغضون جبريل ويقولون: هو عدوّنا من الملائكة، وكذلك صنف من
 الرافضة يقولون: غلط بالوحى إلى محمد^(١).
 والوهابيون لو عرّفوا كلام الشعبي لاستدلّوا به، فهو أوسع وأشدّ من كلام ابن تيمية.
 لكنّهم ينقلون لا يبحثون.
 وغفل هؤلاء أنَّ الأديان تتشابه في معتقداتها وشرائعها، وقد تبنيَ الإسلام العديد من
 شرائع الأديان السابقة.
 فاليهودية والمسيحية قد حرمَت القتل والزنا والسرقة.
 والإسلام قد حرمَ ذلك..
 وجميع الأديان التزمت بالوصية.
 والإسلام التزم بها.
 وكل نبِيٌّ كان له وصيٌّ وأصفياء، أو نخبة صالحة، للقيام بأعباء الدين. والرسُّل
 والأنبياء سنتهم واحدة.
 والرسُّول ﷺ كان له وصيٌّ (علي)، ونخبة (أهل البيت).
 وإذا كان أهل السنة لم يتذمروا بالوصية ولم يعترفوا بالنخبة، فهو أمر يعود إليهم.
 وإذا كان الشيعة قد آمنوا بالوصية واقتدوا بالنخبة، فهل هذا يعني أنَّهم يقلدون
 اليهود ويسيرون على خطّاهم؟!

(١) انظر: السنة للخلال: باب ذكر الرافض؛ وانظر مناقشة هذا الكلام في كتابنا: ثقافة الإرهاب في كتب الوهابية.

والباحث المدقق يكتشف الدور اليهودي المتمثل في الإسرائييليات في تراث أهل السنة بارزاً وواضحاً. ويكتشف ما هو أدهى وأمر، وهو أنَّ هؤلاء الوهابيين المدعين، هم الذين تتشابه عقائدهم مع عقائد اليهود، فيما يتعلق بصفات الله تعالى. مثل رُؤية الله والعرش، والاستواء والتَّكَلُّم بالصوت، والنزول وسائر عقائدهم التجسيمية والتشبيهية التي عرضنا لها سابقاً، والتي تتطابق مع نصوص التوراة.وها هي الأمثلة:

جاء في سفر الملوك، الإصلاح رقم ٢٢، ما يلي: (قد رأيت الربَّ جالساً على كرسيه).

وفي سفر التكوين، الإصلاح رقم ١، جاء ما يلي: (فخلق الله الإنسان على صورته).

وفيه أيضاً، الإصلاح رقم ٣ : (وسمعنا صوت الربَّ في هذا المكان).
والإصلاح رقم ١١: (نزل الربُّ لينظر المدينة).

وفيه، الإصلاح رقم ٢٨: (حقاً إنَّ الربَّ في هذا المكان).

وفيه، الإصلاح رقم ٣٣: (لأنِّي رأيت وجهك كما يُرى وجه الله).

وفيه، الإصلاح رقم ٤٦: (فقال أنا الله، إله أبيك... أنا انزل معك إلى مصر).

وفي سفر التثنية، الإصلاح رقم ٥ ، جاء ما يلي: (وجههاً لوجهه، تكلَّم الربُّ معنا).
وفيه أيضاً: (إنْ عدنا نسمع صوت الربُّ، إهنا).

وفي سفر الخروج، الإصلاح رقم ١٩ ، جاء ما يلي: (وموسى يستكَلُّ والله يحييه بصوت..).

وفيه: (ونزل الربُّ على جبل سيناء).

وفي سفر أشعيا، الإصلاح رقم ٢٥ ، جاء ما يلي: (لأنَّ يد الربُّ تستقرَّ على هذا الجبل).

وفي سفر المزامير، الإصلاح رقم ٢ ، جاء ما يلي: (يضحك الربُّ).
وفيه، الإصلاح رقم ٤٤ : (أنت بيديك استأصلت الأمم وغرستهم).

وفيه، الإصلاح رقم ٤٧ : (الله جلس على كرسيّ قدسه).

وهذه النصوص التوراتية تتطابق تماماً مع روايات التجسيم والتشبيه، التي تبنّاها الحنابلة وابن تيمية في الماضي، ويتبنّاها الوهابيون اليوم.

ولنستعرض مقالة واحد من الوهابيين المعاصرين، يؤكد فيها مشاهدة نصوص التوراة لرواياتهم. قال: (وأيضاً، فهذا المعنى عند أهل الكتاب، من الكتب المأثورة عن الأنبياء، كالتوراة؛ فإنَّ في السفر الأول منها، (سفر التكوين) : (سنخلق بشراً على صورتنا، يشبهنا).

ثمَ يقول: (فمن المعلوم أنَّ هذه النسخ الموجودة اليوم من التوراة ونحوها، قد كانت موجودة على عهد النبي ﷺ، فلو كان ما فيها من الصفات كذباً وافتراءً، ووصف الله بما يجب تزييه عنه، كالشركاء والأولاد، لكان إنكار ذلك عليهم موجوداً في كلام النبي، أو الصحابة أو التابعين، كما أنكروا عليهم ما دون ذلك. وقد عاهم الله في القرآن بما هو دون ذلك، فلو كان هذا عيباً، لكان عيب الله لهم به أعظم، وذمُّهم عليه أشدَّ).^(١)

وهذا الكلام يؤكد تطابق عقائد الوهابيين مع عقائد اليهود، وهو بمثابة اعتراف صريح منهم بذلك. وما قدمه لتبرير التشابه بين عقائدهم ونصوص التوراة، يدلُّ على ضياع العقل وأزمة النقل التي يعيشونها، وهو ترديد لقول ابن تيمية: (إنَّ التوراة لم تبدلُ ألفاظها، وإنما وقع التحرير في تأويلها).

وجاء صاحبنا الوهابي ليزيد الطين بلة بقوله: إنَّ التوراة الموجودة لم يعترض عليها الرسول ﷺ، ولا أحد من الصحابة أو التابعين. وهذا كذب واضح.

وفي منشور ليمني آخر، حل عنوان: (اذهبوا فأنتم الرافضة)، أكد فيه صاحبه على عصمة الكتاب والسنة معاً، وأنهما أساس وميزان الخوض في شأن الصحابة، وأنَّ عيد الغدير وعشوراء من البدع والضلالات، ودافع فيه عن معاوية.

(١) انظر: عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، للتوعيري.

وقال: (إنَّ الشِّيَعَةَ لَمْ يهتمُّوا بِعِلْمِ الْحَدِيثِ، وَلَا يَلْقَوْنَ أَيَّ بَالَّا لِعِلْمِ الْجَرْحِ وَالْتَّعْدِيلِ).

وقال: (إِنَّ كُتُبَ السُّنْنِ لَيْسَ فِيهَا حَدِيثٌ وَاحِدٌ فِيهِ انتِقَاصٌ أَوْ تَجْرِيْعٌ لِأَحَدٍ مِّنْ أَهْلِ الْبَيْتِ).

وأصدر فتواه القاتلة التي تقول: إنَّ الشِّيَعَةَ مُحَرَّمُونَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وأنَّ ابْنَ حَنْبَلَ قَالَ: (مَا عَلِمْتُ أَنَّ رَافِضِيَا خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بَخِيرٌ).

هذا غير صور السُّبُّ وَالشَّتَمُ الْأُخْرَى، الَّتِي يَحْشُوُهَا الْوَهَابِيُّونَ كُتُبَهُمْ عَادَةً.
أَمَّا مَا طرَحَهُ مِنْ عَصْمَةِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، فَهُوَ غُلُوُّ وَكَلَامٌ بَطَلٌ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِّنْ الْفَقَهَاءِ، الَّذِينَ أَجْعَلُوا عَلَى عَصْمَةِ الْكِتَابِ وَحْدَهُ دُونَ السَّنَةِ. وَكُتُبَ السُّنْنِ، بِمَا فِيهَا الْبَخَارِيُّ، تَعَرَّضَتْ لِلْعَدِيدِ مِنْ صُورِ النَّقْدِ وَالتَّهْذِيبِ عَلَى مَرْأَتِ التَّارِيخِ. بَلْ إِنَّ الْعَدِيدَ مِنَ الْوَهَابِيِّينَ الْمُعَاصرِينَ تَعَرَّضَ لَهُذِهِ الْكُتُبِ بِالنَّقْدِ وَالتَّهْذِيبِ، وَقَامَ بِتَصْصِيفِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُسْعِفَةِ وَالْمُوْضُوْعَةِ^(١).

أَمَّا كُونُ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ هُمَا الْأَسَاسُ وَالْمِيزَانُ فِي شَأنِ الصَّحَابَةِ، فَهَذَا صَحِيحٌ، وَهُوَ مَا تَقُولُ بِهِ الشِّيَعَةُ وَتُبَرِّهُنَّ بِهِ عَلَى مَوَاقِفِهَا تَجَاهَ الصَّحَابَةِ، وَتَعْتَمِدُ عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْرَوَايَاتِ الثَّابِتَةِ فِي كُتُبِ السُّنْنِ، لَا فِي كُتُبِ الشِّيَعَةِ^(٢).

وَمَسْأَلَةُ إِنْكَارِ عِيدِ الْغَدَيرِ وَعَاشُورَاءِ وَاعْتِبَارِهِمَا بَدْعَةً، لَا يَعْنِي شَيْئًا؛ لِكُونِ الْوَهَابِيِّينَ يُنْكِرُونَ إِحْيَاءَ الْمَنَاسِبَاتِ وَالْاحْتِفالَ بِالْأَمْوَاتِ، حَتَّى الْاحْتِفالُ بِمَوْلَدِ الرَّسُولِ صلوات الله عليه، وَمَوْقِفُهُمْ هَذَا مَرْفُوضٌ مِنْ قَبْلِ أَهْلِ السَّنَةِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مَرْفُوضًا مِنَ الشِّيَعَةِ.
وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَعَاوِيَةِ، فَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ تَعْلَقُ بِالْمَوْقِفِ مِنَ الصَّحَابَةِ.

أَهْلُ السَّنَةِ يَعْلَوْنَ مَعَاوِيَةَ صَحَابِيًّا، بَيْنَمَا الشِّيَعَةُ لَا تَعْتَرِفُ بِهِ. وَلَا يَكُنُ القَوْلُ

(١) انظر: هدى الساري، مقدمة فتح الباري؛ وانظر: كتب الحديث الوهابي ناصر الالبان.

(٢) انظر: المراجعات لشرف الدين؛ ومعالم المرستين للمسكري.

بضلal الشيعة بهذا الموقف، إلا إذا اعتبرنا معاوية ركناً من أركان الإسلام. ويُجمع أهل السنة على أنه لم تصح في معاوية منقبة، ورغم ذلك يعتقدون في صحبته وعدالته، وهو أمر يعود لتعريف الصحابي الذي أجمعوا عليه، والذي ينص على أنَّ الصحابي هو كلَّ من رأى رسول الله ولو ساعة، أو سلم عليه، أو ولد في حياته ومات على الإيمان. حتى أنَّ بعضهم أدخل الجنَّ في دائرة الصحابة؛ لكونهم شاهدوا الرسول ﷺ^(١).

وادعاء صاحب المنشور أنَّ الشيعة لم يهتموا بعلوم الحديث أو الجرح والتعديل، يدلُّ على جهله وكذبه، وكونه يُلقي بعبارات منقوله عن غيره بدون وعي. وكتب الحديث وعلومه كثيرة ومشهورة عند الشيعة، يعرفها الجميع، بل إنْ شروط الشيعة في الراوي هي أدقَّ من شروط السنة، وهم ينتقدون الرواية من حيث السند والمتن معاً، ويرون عرضن الرواية على القرآن والعقل^(٢).

وكتب السنن تكتظُ بالرواية من الشيعة. فإذا كان الشيعة على هذه الصورة التي يصوّرها الوهابيون، فلماذا روى السابقون لهم واعتمدوهم^{(٣)؟} وفيما يتعلق بتحريف القرآن، فالمنشورات الوهابية تتصيد العديد من الروايات الشيعية التي تقول بزيادة القرآن ونقصانه. ويعتمدون - بالإضافة إلى ذلك - على كتاب من وضع أحد رجال الشيعة، وهو كتاب (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) للنوري. وكتاب النوري ليس حجَّة على الشيعة، كما أنَّ العديد من كتب أهل السنة ليس بالضرورة أن تكون حجَّة عليهم.

(١) انظر: مقدمة الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ط بيروت، ص ٥.

(٢) انظر: رجال الطوسي، ورجال الكشي، ومعجم رجال الحديث للخوني، وصحيح الكافي، والموضوعات في الآثار والأخبار للحسبي.

(٣) انظر: هدي الساري، وتمذيب التهذيب لابن حجر، وميزان الاعتدال في نقد الرجال للنعمي. ووجود الرواية من الشيعة في كُتب السنن يكشف أكذوبة الوهابيين التي نقلوها عن ابن تيمية، الذي وصف الشيعة بالكذب وعدم المعرفة بالنقل والمعنى.

والفرق بين الروايات التي توجد في تراث الشيعة، والروايات التي توجد في تراث السنة، هو أنَّ هذه الروايات ضعيفة ومرفوضة من قبل فقهاء الشيعة، بينما هي صحيحة ومقبولة عند فقهاء السنة.

ومن جهة أخرى، فإنَّ هذا الكتاب قد جمع الروايات المتعلقة بالتحريف من تراث السنة والشيعة على السواء، لكنَّ الوهابيين المُغرضين عتموا على الروايات المتعلقة بالسنة، وركزوا على روايات الشيعة.

والأهم من ذلك كله، هو أنَّ التراث السنِي حوى الكثير من الروايات التي تتعلق بتحريف القرآن، ومن أخطر هذه الروايات، ما رُوي حول جمع القرآن وتدوينه، وهو ما يشكُّل معتقد أهل السنة حول القرآن. ذلك المعتقد الذي ينصُّ على أنَّ الرسول ﷺ مات دون أن يجمعه ويبينه للناس، وأنَّ الذي تولَّ أمر الجمع هو أبو بكر وعمر.

وهذا الاعتقاد يصطدم بنصوص القرآن، ويفتح الباب للشكَّ فيه. ويصطدم بقوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبَعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) ^(١).

ويشكُّل في دور الرسول ﷺ، الذي يعيش في كنف الوحي ويلتزم بتوجيهاته.

كيف له أن يترك القرآن غير مجموع وغير مبين، وهو يعلم أنَّه خاتم الرُّسل والأئمَّاء؟!

ويفتح الباب للشكَّ في نصوصه؛ من خلال قصة الجمع، كما رواها البخاري وغيره، والتي تكشف لنا أنَّه لا أبو بكر ولا عمر كان لهما دور في هذا الجمع، إنما وكلا المهمَّة لزيد بن ثابت، وليس لأحد من كتبة الوحي المعروفين، مثل أبي بن كعب، أو ابن مسعود.

ومن جهة أخرى، تكشف الروايات أنَّ زيداً لم يكن كفؤاً لهذه المهمَّة؛ إذ كان إذا اختلفت عليه الآية، يستشهد شاهدين ليشهدوا بصحتها، كي يثبتها في المصحف، ولم

يجد الآية الأخيرة من سورة التوبة إلا في حوزة أبي خزيمة الأنصاري، أي لم يشهد هذه الآية ولم يعرفها سوى واحد في المدينة بأكملها.

وهذا يعني اتهام الرسول ﷺ بالقصير في تبليغ القرآن^(١).

أما معتقد الشيعة، فهو أنَّ الرسول ﷺ ترك القرآن مجموعاً ومبيناً، سيراً مع خطَّ القرآن، وهو ما تشير إليه روایات أهل السنة الأخرى^(٢).

وما هو أخطر من ذلك، ما رُوي عن وجود سورتين، غير سور القرآن، لم يدونا فيه، وهما: (سورة الحقد) و(سورة الخلع)!

روى الطبراني: (أمِنَا أمِيَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسِيدٍ بِخَرَاسَانَ، فَقَرَأَ هَاتِينِ السُّورَتَيْنِ: إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَثُنُّي عَلَيْكَ وَلَا نَكْفُرُكَ).

وروى البيهقي وأبو داود: نزل جبريل بذلك على النبي ﷺ وهو في الصلاة، مع قوله تعالى: (لِيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ).

وهناك العديد من الروايات التي تشير إلى أنَّ هناك آيات سقطت من القرآن. والمصاحف التي كانت بحوزة الصحابة، قبل أن يحرقها عثمان، كانت تختلف عن بعضها^(٣).

ورغم ذلك، يدعى الوهابيون أنَّ لدى الشيعة سورة تحمل اسم الولاية، وأخرى تسمى ذو النورين، لا يظهرونها في مصاحفهم. كما يدعون أنَّ لهم مصحفاً سرياً يسمى (مصحف فاطمة).

(١) انظر: البخاري، كتاب فضل القرآن؛ وتفاصيل هذه القصة في: فتح الباري، ج. ٨.

(٢) وردت في كتب السنن عشرات الأحاديث التي تخصُّ على حفظ القرآن، والتي تدلُّ على أنَّ القرآن كان معروفاً بآياته وسوره في عهد الرسول، منها: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) و(تعاهدوا القرآن) و(من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال) و(ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسوه فيما بينهم، إلا حفتهم الملائكة) و(كان صحابة رسول الله يتغتلون بالقرآن).. هذا بالإضافة إلى الحديث المأثور، الذي أوصى فيه الرسول

بالكتاب، في حجة الوداع. وكيف يوصي بالكتاب وهو غير مجموع؟!

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطى؛ والمصحف للسجستانى؛ والناسخ والمنسوخ.

ومذا من أكاذيبهم وعدم أمانتهم في النقل، فلا وجود لسورة الولاية أو سورة النورين في مصاحفهم، كما لا وجود لشيء اسمه مصحف فاطمة.

والباحث المدقق في مصادر الشيعة لا يجد أثراً لهذه السور، أو هذا المصحف المزعوم، وكل ما في الأمر أنَّ خصوم الشيعة تلقفوا السورتين المزعومتين من كتاب فصل الخطاب، ثمَّ تلقفها منهم الوهابيون.

إلاَّ أنَّ هؤلاء تغافلوا مصدر هاتين السورتين، الذي ذكره النوري في كتابه، وهو كتاب (دبستان مذاهب)، المنشور في الهند أيام الاستعمار الإنجليزي^(١).

أما مصحف فاطمة، فهو مجموعة من الوصايا والنصوص التي جمعتها السيدة الزهراء عن أبيها عليه السلام، المتداولة في شتى الكتب والمصادر، والتي لا يجمعها كتاب واحد.

وقد استغلَّ هؤلاء كلمة (مصحف)، التي أطلقها بعض الشيعة على كتاب فاطمة، وغاب عنهم - بجهلهم - أنَّ كلمة مصحف تطلق على أيِّ كتاب، وهي كلمة ليست خاصة بالقرآن، وإنما هي من المسميات التي التصقت به بعد الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه.

ومن المعتقدات التي يدينُ بها أهل السنة والوهابيون حول القرآن، ما يسمونه بالموافقات. ويقصدُ بها الآيات التي تنزلت موافقة لرأي عمر لا للرسول، وهم يفتخرُون بهذه المواقف، على الرغم من كونها تضرُّب القرآن في مقتل، وتشكُّك في الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه^(٢). ومعنى ذلك أنَّ القرآن كان يتنزل على رأي عمر، وأنه يشارك الرسول في أمر الوحي، وأنَّ اختيار الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه لم يكن دقيقاً، بحيث أنَّ الوحي قد اختار عمر إلى جواره، ليذكره ويسانده بآرائه. والأخطر من ذلك أنه ينبع السماء أيضاً، فتنزل الآيات على رأيه.

ويحاول الوهابيون، من خلال منشوراتهم، التفرقة بين أهل البيت والشيعة؛ بدعوى أنَّهم لا يمثلونهم، بل يكذبون عليهم. وهذا يعني أنَّهم هم الممثلون لأهل البيت، الحاملين

(١) التقط عبَّ الدين الخطيب سورة الولاية المزعومة ونشرها في رسالته (الخطوط العربية)، ومنه نقلها الوهابيون.

(٢) انظر: منقب عمر في البخاري ومسلم وكتب السنن؛ وانظر: الإنقاذ في علوم القرآن؛ والدر المستطاب في مناقب عمر بن الخطاب للعماري؛ وانظر: دفاع عن الرسول. وهو أمر مشهور عند الفقهاء.

لخلقهم وعقالئهم. فهل هذا صحيح حقاً؟

وقضية سب الصحابة هي بدعة حنبلية، تبناها ابن تيمية، وتلقفها منه الوهابيون، مستغلين موقف الشيعة من معتقد عدالة الصحابة، الذي يتبنّاه أهل السنة، ويلينون به في تحريض المسلمين عليهم.

وأصل الخلاف في هذه المسألة يعود إلى الخلاف في تعريف الصحابي.

ومعتقد عدالة الصحابة يصطدم بنصوص القرآن، التي صنفت من حول الرسول ﷺ، وكشفت المنافقين والمتآمرين على الإسلام والرسول من بينهم^(١).

ومادام هذا حال صحابة الرسول، فهذا ينفي عدالتهم بتلك الصورة المطلقة التي يعتقدوها أهل السنة، والتي تساویهم ببعضهم وتضعهم في درجة واحدة.

وقد عدَ القدامى من أهل السنة توجيه النقد للصحاباة، والخوض في الخلافات والواقع التي جرت بينهم، خاصة الشيفيين (أبو بكر وعمر)؛ عنْه سبأ لهم، يقع صاحبه في دائرة الردة التي توجب الاستتابة أو القتل^(٢).

والشيعة لا يعتقدون بعدالة جميع الصحابة، ويوجهون النقد لهم، وهذا ما يشير أهل السنة عليهم. ليس فقط بسبب معتقد العدالة، وإنما لكون الصحابة يمثلون الركيزة الأساس في عقيدتهم، ومحاولة النيل منهم أو المساس بهم، قد يهدم معتقداتهم ويضيّع مذهبهم، الذي يقوم على الرجال أكثر مما يقوم على النصوص.

وإذا كان أهل السنة يؤمنون بعدالة الصحابة، فإنَّ الشيعة يعتقدون بعصمة أهل البيت الاثني عشر، بدايةً من الإمام علي، وحتى الإمام المهدي عليه السلام.

وفكرة تكفير الصحابة التي تُلخص بالشيعة، ليست سوى محاولة من الوهابيين لإثارة

(١) انظر: سورة التوبه، كمثال يفضح من حول الرسول.

(٢) انظر: كتب العقائد؛ وانظر: فتوى السبكي في جواز قتل سب الصحابة؛ وفي الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني، ص ١٢٨ وما بعدها؛ وانظر فتوى أخرى في: رسائل ابن عابدين. وقد تم قتل الكثير من الشيعة بتهمة سبَّ الشيفيين. انظر: حوادث علم ٧٥٥ في البداية والنهاية.

ال المسلمين ضد الشيعة، فالفرق كبير بين أن يكون لهم موقف من بعض العناصر التي كانت حول الرسول ﷺ، والتي يعتنّها أهل السنة من الصحابة، وبين الموقف من عموم الصحابة.

والازمة تكمن في أنَّ أهل السنة لا يفرقون بين مَنْ كان حول الرسول، والشيعة يفرقون بينهم.

وأساس الإشكال يكمن في معاوية ووالده وأمه، ومن كان على شاكلتهم. فالشيعة يعتقدون بعدم إسلام معاوية ووالده وأمه، وأنَّهم من الظلقاء. ويكمن أيضًا في أصحاب السقية، وأصحاب الجمل، وأصحاب صفين.

وبالجملة، يَتَّخِذُ الشيعة الإمام علي وأهل البيت مقاييساً في مواجهة الآخرين؛ فمَنْ كان مواليًّا لهم، كان مقبولاً عندهم، ومن خاصمهم وعداهم، كان مرفوضاً.

وأهل السنة يعتقدون بأنَّ خير الناس بعد رسول الله أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ثُمَّ علي في المرتبة الرابعة. وهو الاعتقاد الذي يرفضه الشيعة، مقلِّمين علياً على الجميع. قال الأشعري: (وشدَّ قوم منهم - أي من أهل السنة - فقال: إنَّ علياً أفضل من الشيختين) ^(١).

وقال ابن حزم: (ذهب بعض أهل السنة، وبعض المعتزلة، وبعض المرجئة، وبجميع الشيعة، إلى أنَّ أفضل الأمة بعد رسول الله علي) ^(٢).

والسؤال هنا: ما هو الضرر من الاعتقاد بأفضلية علي وأهل البيت عليهم السلام على الجميع؟ والجواب: أنه ليس هناك ضرر، لا على الإسلام، ولا على المسلمين، وإنما الضرر يقع على من جعل الصحابة رُكْنَ من أركان الدين.

أما مسألة التكفير، فتُوجَدُ في بعض مصادر الشيعة، وقال لها البعض من متطرفِهم.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين، ج ٢، ص ١٣١.

(٢) انظر: الفصل في الملل والنحل، ج ٤، ص ١١١.

إلا أنها لا تعبّر عن المعتقد العام للتشيع، تماماً كما لا تعبّر أفكار وموافق ابن تيمية وابن عبد الوهاب التكفيرية عن أهل السنة.

وفكرة العصمة من الأمور التي وضعت الشيعة في دائرة الاستهداف؛ لكونها فكرة غير مفهومة من قبل الخصوم، كما هو حال فكرة الغيبة.

إلا أن الشيعة يُرهنون على عصمة الأئمة بالعديد من النصوص القرآنية والنبوية، منها:

قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) ^(١).

وقوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا) ^(٢).

وأقوال الرسول ﷺ التي تحضّ على الكتاب والعترة.

والآية الأولى ربطها أهل السنة بالحكام، وجعلوها دليلاً على وجوب طاعتهم. بينما يرى الشيعة أن ربط طاعة أولي الأمر بطاعة الله والرسول يعني عصمتهم، وتقييدهم التام بهذه الطاعة؛ الأمر الذي ينطبق على أهل البيت لا على الحكام.

والآية الثانية خصّتها أهل السنة في نساء النبي. بينما اعتبرها الشيعة من الأدلة القاطعة على عصمة أهل البيت عليهم السلام.

وفيما يتعلق بأحاديث الكتاب والعترة، فهي متّفق عليها بين الشيعة والسنة، إلا أنّ السنة لا يعتبرونها ميزة لأهل البيت، في الوقت الذي يعتقد الشيعة أنّ ربط العترة بالكتاب يعني عصمتهم؛ لكون الرسول ﷺ لا يربط بالكتاب إلا من كان طاهراً أميناً عليه.

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

وكذلك فكرة غيبة الإمام المهدى لها شواهد من القرآن والسنة. القرآن ذكر أن نوحًا لبث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وذلك بالإضافة إلى سني عمره. وذكر كذلك قصة يأجوج ومأجوج، المنتظرين خلف السد النحاسي الذي بناه ذو القرنين من آلاف السنين. وذكر قصة عزير الذي أماته الله مائة عام ثم أحياه. وقصة أهل الكهف الذين أمّاقم الله ثلاثة أيام ثم بعثهم.

وأهل السنة يعتقدون في حياة الخضر، وأنه العبد الصالح الذي رافق موسى عليه السلام. وطول عمر الإنسان ليس قضية مستحبة، والاعتقاد فيها لا يمس ثوابت الدين في شيء، فقط إن هذا الاعتقاد يصطدم بمعتقدات بعض مذاهب أهل السنة، وعلى رأسهم الوهابيين.

وفيما يتعلق بنكاح المتعة، فهو قضية فقهية لا صلة لها بأصول الدين. الشيعة يبيحونه وأهل السنة يحرمونه. وهو نكاح ضرورة أمر به الرسول ﷺ لرفع الضرر عن صحابته في الغزو والترحال، والخلاف يدور حول تنسخه أو استمرار العمل به. أهل السنة يقولون إن الرسول نهى عنه قبل وفاته، وبذلك انتهى أمره. بينما الشيعة يقولون باستمراره من بعد الرسول ﷺ.

إلا أن روایات أهل السنة لا تقطع بنسخ هذا النكاح، بل تشير إلى استمراره والعمل به من قبل الصحابة بعد الرسول ﷺ. ومن هذه الروایات:

عن جابر: (كنا نستمتع على عهد رسول الله وعهد أبي بكر، وسنين من عهد عمر). وأخرى تقول: (نزلت آية المتعة في كتاب الله، ولم ينوه عنها - أي الرسول - حتى مات). والأية هي: **هَمَّا اسْتَمْتَقْشِمُ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَتُوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ..**^(١).

ورواية أخرى تقول: (خطب ابن الزبير بمكة فقال: إن أنساً يقولون بالمتعة، أعمى الله أبصارهم. فسمعه ابن عباس - وكان قد فقد بصره -، فأمر سائقه بالتوجّه نحوه، وقال

له: إنما المتعة كانت على عهد إمام المتقين. فقال ابن الزبير: لئن فعلتها لأرجئنك بالحجارة).

وابن عباس كان من القائلين بالمتعة، واستمرّ على قوله حتى مات^(١).

ويتحصل فقهاء أهل السنة بموقف عمر الناهي عن المتعة، بينما هو في الحقيقة يدلّ على استمرارها بعد رسول الله، وفي عهد الخليفة الأول.

والسؤال هنا: هل من حقّ عمر أن ينهى عن حكم شرعى أباحه رسول الله؟

وibrهن أهل السنة على حرمة نكاح المتعة بروايتين، هما:

□ رواية خيبر التي تقول: (فهى رسول الله عن المتعة والحرم الأهلية).

□ ورواية فتح مكة التي تقول: (إنّي قد أباحت لكم المتعة، لا إنّي أنهى عنها إلى يوم القيمة).

هذا، بينما يقومون بتأويل الروايات الأخرى التي تُشير إلى إياحته، واستمراره بعد وفاة الرسول ﷺ، ويستندون على نفي عمر.

ورواية خيبر شكّك فيها فقهاء الآخر، وقالوا: إنّ الثابت هو تحريم الحرم الأهلية لا المتعة.

ورواية الفتح شكّك فيها البخاري وغيره.

والأمر برمتّه محلّ جذب وشدّ بين الفقهاء، مما يشير إلى عدم القطع بحرمته^(٢).

تقبية

ويحلو للوهابيين - دائمًا - أن يتهموا الشيعة بتبنّيهم التقبية في مواجهة أهل السنة، وإظهار غير ما يبطنون من الكفر والزنادقة حسب دعواهم، وهو اتهام لاحق الشيعة من

(١) انظر: مسلم: كتاب النكاح، باب نكاح المتعة. وشرحه ج ٩، ص ١٨٨ التوسي؛ وانظر: كتب الفقه. وابن عباس نوفي عام ٦٨ هـ. وزمن هذه الرواية بعد استيلاء ابن الزبير على مكة.

(٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم، باب غزوة خيبر؛ وكتب الفقه؛ وانظر: زواج المتعة حلال في الكتاب والسنة.

القدم، ولازال الوهابيون يرددونه حتى اليوم.
والتقى مبدأ يلتزم به كل من يشعر بالخوف على نفسه من بطش الآخرين به، وهو
مبدأ الأقلية المستضعفة المضطهدة في مواجهة الأكثريّة المستكبرة.

وطوال التاريخ كان أهل السنة يمثلون التيار السائد والظاهر في باقى المسلمين،
ويبيطشون - بمساعدة الحكام - بالمخالفين لهم من شتى المذاهب والتيارات، وفي
مقدّمتهم الشيعة. فمن ثم لم يكونوا بحاجة إلى التقى، لشعورهم بالأمن والاستقرار.

من هنا اضطرَّ الشيعة وغيرهم لإخفاء عقيدتهم عن العامة، والتظاهر بالتسنن؛ من
أجل تجنب البطش لهم والحفاظ على حياتهم. وهو حق مشروع لهم. وهو المقصود من
الأحاديث الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام، مثل: (التقى ديني ودين أبيائي)، ومثل: (من
لا تقى له، لا دين له).

ومثل هذه الروايات كان المدفون منها هو حث الشيعة على عدم إبراز عقيدتهم؛ تجنبًا
للأذى واللاحقة والقتل.

وعلى الرغم من ذلك، كانت عقائد الشيعة وأحكامهم ظاهرة ومعلنة، من خلال
كتبهم المنتشرة في كل مكان، ومن قرون طويلة.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (إنَّ المرء مكلَّف بكتمان عقائده أمام المتعصب
العنيد، الذي لا يفهم المنطق، إذا كان في إظهارها خطر على حياته أو شيء من هذا
القبيل، دون أن يتحقق من وراء إظهارها أية فائدة ثُرْبَجَى. وينطلق على هذا السلوك اسم
التقى، التي أخذناها من القرآن والدليل العقلي) ^(١).

ويعتبر فقهاء الشيعة أن التقى قد تكون في بعض الأوقات من المحرمات.

يقول الإمام الخميني: (تحرم التقى في بعض المحرمات والواجبات، التي تمثل في نظر
الشرع مكانة بالغة، مثل هدم الكعبة، والردة على الإسلام والقرآن، وغيرها..) ^(٢).

(١) انظر: عقidiتنا.

(٢) انظر: الرسائل. وهدم الكعبة وقع على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، حين حاصر ابن الزبير في مكة. وعلى يد السعوديين والفرنسيين، الذين استعثرواهم لإخراج جامعة جهيمان العتيبي، الذين انتصروا بالحرم عام ١٤٠٠هـ.

والشيعة اليوم ظاهرون في الأرض بعقائدهم ومراجعهم، ولهم دول تساندهم وتتبني عقائدهم، فما الذي يدعوهم لتبني التقى في مواجهة الآخرين؟!
لقد انتهى دور التقى بالنسبة للشيعة اليوم، بعد أن تحقق لهم الأمن والاستقرار في الكثير من البقاء، وبعد أن أصبح صوتهم وكلماتهم تصل لكلّ مكان.

ويقي على الوهابيين، الذين لا زالوا يعيشون بعقل الماضي، أن يدركون أن فرقهم المختلفة، من تكفيريين وجهاديين وسلفيين متطرفين، هي التي تبني التقى اليوم. وأنهم يعيشون في عصر مفتوح لا يحتمل مثل هذه الأكاذيب الساذجة والدعوى المتخلفة.
ولا يستحي الوهابيون من نسبة التكfer إلى الشيعة، وهم الذين يكفرون المسلمين في كلّ مكان، سنة وشيعة، وقد ابتلاهم الله مؤخراً بالفرق المتطرفة التي خرجت من تحت عباءتهم، لتشهر سلاح التكfer في وجوههم، حتى ضاقوا بها، وعقدوا مؤتمراً لمواجهتها، وأصدروا البيانات فيها، وتصدّوا لها بالعديد من المنشورات^(١).

الشيعة والتتار

وتبني الوهابيون دعوى تامر الشيعة مع التتار ضدّ دولة الخلافة العباسية، وهي دعوى أثارها إمامهم ابن تيمية من قبل.

ومثل هذه الدعوى تكشف لنا مدى حقد them على الشيعة، الذي أغرقهم في النقل بلاوعي، والتقاط كل دعوى بطلة أو أكذوبة واهية، لينالوا بها منهم.

وقد أصدر الوهابيون مؤخراً منشوراً بعنوان: (خيانت الشيعة وأثرها في هزائم الأمة الإسلامية)، ويداً من خلال محتوياته أنّ صاحبه مجرد ناقل بلاوعي، ولا علم له بالتاريخ ولا بجوابه.

ومن نماذج الخيانات التي أبرزها في منشوره:

(١) من نماذج هذه المنشورات: التبصير بقواعد التكfer، والتحذير من الخازفة بالتكfer، والأسئلة الشامية واليمنية والقطريّة والنجدية في مسائل الإيمان والتكfer.

- خيانة الوزير علي بن يقطين هارون الرشيد.
- خيانة الخليفة الناصر العباسي.
- خيانة الفاطميين.
- خيانة القرامطة والبوهيميين.
- خيانة الوزير ابن العلقمي للخليفة المستعصم العباسي.
- خيانة نصير الدين الطوسي.

هذا بالإضافة إلى خيانات النصيريَّة والدروز، والشيعة في لبنان والعراق والبلاد العربية والهند.

أما ابن يقطين، فبغضِّ النظر عن نوع الاتهام الموجَّه إليه من قبل هذا الوهابي، فهو مجرَّد مسؤول، وليس فقيهاً من فقهاء الشيعة.

ومن جهة أخرى، فقد تمَّ تعيينه وزيراً عن طريق الخليفة (الستي) هارون، والتعيين من قبل الحكومات إنما يقوم على أساس الكفاءة، لا على أساس المذهب.

والسؤال هنا هو: إذا كان ابن يقطين شيعياً خائناً، فلماذا قبله هارون وزيراً له؟!
ولو تبيَّنا هذه النظرة القاصرة، التي ينظر بها الوهابيون لكلِّ شيعي باعتباره خائناً، دون النظر لوضعه ومكانته، لاعتبرنا السنة جميعهم خونة؛ لوجود الكثير من الوزراء والمحجَّب والأمراء والقادة والولاة، الذين خانوا خلفائهم وبالاً لهم، على مستوى الماضي والحاضر.

والعقل والمنطق، الذي لا يعرفه الوهابيون، يقول: إنَّ هؤلاء جميعاً، سواء كانوا من الشيعة أم من السنة، إنما تحكمهم المصالح، ولا شأن لهم بالدين والمعتقد.

وفيما يتعلق بالخليفة الناصر، فقد روى عنه ابن كثير ما يلي: (كان قبيح السيرة في رعيته، ظالماً لهم، فخرَّب في أيامه العراق، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم، وكان يفعل الشيء وضده، وإن كان ما ينسب إليه صحيحاً، من أنه هو الذي

أطمع التتار في البلاد وراسلهم؛ فهو الطامة الكبرى الذي يصغر عندها كلّ ذنب) ^(١).
والناصر هو خليفة سني متغصّب، كما ذكر ابن كثير في ترجمته، وهو جدّ المستغصّب، آخر خلفاء بني العباس، الذي سقط في قبضة التتار. وصاحب النشور غاب عنه ذلك بسبب جهله ونقله العشوائي، فنسب الناصر إلى الشيعة دون تبيّن. وكانت هذه سقطة من سقطاته وأكذوبة من أكذوباته.

أما خيانة الدولة الفاطمية، فيقصد بها عملها على نشر التشيع ومحو السنة.
وهذا الوهابي، كما حال الحنابلة القدامي وإمامه ابن تيمية، الذين يحتكرون الدين ويمثلون رب العالمين، لا يريد أن يسود مذهب في الأرض إلا مذهبهم، وسيادة المذاهب الأخرى، حتى ولو كانت مذاهب سنية، فهو يعدّ خيانة لللدين وللمسلمين!
والقراططة الذين ذكرهم لا شأن لهم بالشيعة، وإنما هي سنة ابن تيمية التي يتبعها، والتي أصقت كل الفرق بالشيعة، من باب تزييف الحقائق وتسهيل تشويه الشيعة.

والبوهبيون أو (آل بويه) هم من الفرس الذين استعان بهم خلفاء بني العباس، وقد برزوا في بغداد وأعلنوا التشيع وأحيوا الشعائر الشيعية من بعد غياب طويل، مما استفزّوا الحنابلة المتربيّين بهم، والذين غلظتهم هذا الأمر؛ فأعلنوا الحرب على الشيعة، واستكثروا عليهم هذا البروز، والأمن الذي حرموا منه طويلاً ^(٢).

ولما كان الحنابلة يعتبرون الخليفة العباسي هو ظلّ الله في الأرض، فقد اعتُبر الشيعة البوهبيون خونة؛ لاغتصابهم السلطة من هذا الخليفة. وكذلك اعتُبر حنابلة العصر، من الوهابيين، هذا الحدث خيانة عظمى.

ويأتي دور الحديث عن ابن العلقمي والطوسى.

ومرة أخرى نعيد السؤال: إذا كان ابن العلقمي شيعياً خائناً، فلماذا جعله

(١) نقل هذا الكلام عن ابن الأثير. انظر: الكلمل، ابن الأثير، ج ١٣، حوادث عام ٦٦٢هـ.

(٢) انظر ترجمة آل بويه في: بيتيمة الضر في عحسن أهل العصر للشاعري، ج ٢، ص ٢٥٥؛ ووفيات الأعيان لأبن خلكلان، ج ٥، ص ١٢٤؛ والفارحي في الأحكام السلطانية لأبن طبلطبا، وانظر أيضاً في كتب التاريخ: حوادث عام ٣٢٠هـ، وعام ٣٥٢هـ.

المستعصم وزيراً له؟!

والجواب سوف يتضح من خلال سرد الحوادث التي سبقت سقوط بغداد، والحوادث التي وآكبت السقوط.

تُشير المصادر التاريخية أنَّ المسلمين كانوا في حالة انقسام وتناحر في البلاد الخبيطة ببغداد، وقد فقد الخليفة نفوذه، وخرجت الأمور من تحت سيطرته. وكانت الشام في قبضة الأيوبيين، من أبناء صلاح الدين، الذين تحولوا إلى فرق متناحرة ودول متصارعة. كان الملك الصالح إسماعيل، صاحب بعلبك وبصري والشام، وملك دمشق بعد أخيه الملك الأشرف، ثمَّ انتزعها منه أخيه الملك الكامل، مما أدى به إلى الاستعانة بالإفرنج على حرب أخيه.

ونقول للوهابي صاحب المنشور: أليست هذه خيانة؟!
وكان وزير أبو الحسن السامری، ما كان مسلماً ولا سامرياً - حسب تعبير الذهبي
في تاريخه - ، يا، كان يشتتر بالاسلام، ويبالغ في هدمه.

ومرة أخرى نقول للوهابي الحاقد: ما رأيك في هذا الكلام، أليس هو خيانة أيضاً؟!
قال النهي: (واعتصد الصالح إسماعيل بالإفرنج وسلم إليهم القدس، وطبرية،
و عسقلان. و حناباته على المسلمين: ضخمة) (١)

و كانت (حُمَّة) في بد الملك المنصوري.

و(الكُوك) في يد المُغثث ابن العادل.

و(الموصى) في يد لؤلؤ.

وفي عام ٦٥١ هـ نزح الكثير من الجنود من بغداد إلى الشام؛ بسبب قطع أرزاقهم.

وفي عام ٦٥٤هـ، أي قبل دخول التتار بعامين، كان حال المسلمين كما يلى:

(١) انظر: ترجمة في حوادث عام ٦٤٨هـ في تاريخ الإسلام النعمي، ج ٤٧، ص ٣٨٢ وما بعدها، وقال النعمي عنه: وبدت منه هنات عديدة واستعلن بالافرنج على حرب أخيه... وقال أيضاً: فلما سلطان الصالح اسماعيل واعطي الفرنج الشيف وصفد نال منه الغرين عبد السلام على التبر فعزله الصالح وجسمه...، ج ٤٨، ص ٤١٧.

- كان التتار في خراسان وبلاد ما وراء النهر.
- وكان الخوارزم في بلاد المشرق، بالقرب من العراق.
- والشام مقسمة بين أبناء صلاح الدين.
- ودولة المماليك قد بدأت في الظهور بمصر.
- وبغداد وبعض مناطق العراق للمُستعصم.
- وكانت هناك صدامات بين الخوارزم والأيوبيين.
- وبين المماليك في مصر والأيوبيين في الشام.
- والتتار كانوا يراقبون كل ما يجري.
- وال الخليفة في بغداد لا حول له ولا قوّة..^(١).

وكان التتار يرسلون رسلهم وجواسيسهم إلى بغداد، من غير تحاشي ولا خيبة، وال الخليفة والناس في غفلة عما يُراد بهم، وذلك قبل دخولهم بغداد بعام كما ذكر النهي. ووصف الذهبي حال الشام في ذلك العام بقوله: (أن ارتفعت منها البركات، وأحيط بما الظلم والظلمات، والأسواق كاسدة، والرعايا فاسدة، وظهرت الخيانات، وعلت المنكرات)^(٢).

وهنا نتوجه للوهابي صاحب المنشور بالسؤال التالي: من المسئول عن هذا الانقسام والخراب والفساد والخيانات، السنة أم الشيعة؟!

والجواب حسب طريقة هو، أن السنة هم المسئولون. إلا أن الحقيقة هي أن كل ما كان يجري لا صلة له بالسنة، فضلاً عن كونه لا صلة له بالشيعة، إنما هو صراع نفوذ ومصالح، لا صلة له بالدين من الأصل.

وهذا ما كان يجب أن يفهمه الوهابيون.

(١) انظر: حوادث عام ٦٥٣ هـ و ٦٥٤ هـ ج ٤٧، ص ٣٢٨ وما بعدها، وج ٤٨، ص ١٧ وما بعدها، وانظر كتب التاريخ الأخرى.

(٢) انظر: حوادث عام ٦١٥ هـ و ٦١٦ هـ في المختصر في أحوال البشر، ج ٣، وغيره من كتب التاريخ.

وبالطبع، يمكن القول أنَّ العلقمي لا صلة له بما يجري، ولا دور له فيه.
وفي العام السابق لغزو التتار ببغداد، غزو بلاد خوارزم، واستولوا عليها، وهرب من
أمامهم شاه خوارزم، ثُمَّ أغروا بعد ذلك على الموصل.

قال ابن كثير عن المستعصم: (كان رحمه الله سنِيَاً على طريقة السلف واعتقاد
الجماعة، كما كان جدَّه وأبُوه، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، ومحبة للمال وجمعه. ومن
جملة ذلك أَنَّه استحلَّ الوديعة التي استودعها إِيَاه الناصر داود، وكانت قيمتها نحو مائة
ألف دينار، فاستُقبح هذا من مثل الخليفة، وهو مستقبح مَنْ هو دونه بكثير، بل من
أهل الكتاب مَنْ إِنْ تأمنه بقنطرة يؤدُّه إِلَيْك) ^(١).

وقال: (...ولم تكن أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد، كما كانت ببني أمية
قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمسار، فإِنَّه خرج عن بني العباس بلاد المغرب. وقارن
بني العباس دولة الفاطميين ببلاد مصر وبعض بلاد المغرب وما هنالك، وببلاد الشام في
بعض الأحيان، والحرمين في أزمان طويلة، وكذلك أخذت من أيديهم بلاد خراسان وما
وراء النهر، وتداولها الملوك دُولاً بعد دول، حتى لم يبقَ للخليفة منهم إِلَّا بغداد وبعض
بلاد العراق؛ وذلك لضعف خلافتهم، واستعانهم بالشهوات وجمع المال في أكثر
الأوقات) ^(٢).

وقال الذهبي: (لَمَّا تَوَفَّى الْمُسْتَنصِر - وَالدُّوَيْدَار وَالشَّرَابِي
وَالكَّبَار تَقْلِيدَ الْخَفَاجِي - شَقِيقُ الْمُسْتَعْصِمُ الَّذِي يُوصَفُ بِالشَّجَاعَةِ وَالشَّهَامَةِ - الْأَمْرُ،
وَخَافُوا مِنْهُ وَآثَرُوا الْمُسْتَعْصِمَ؛ لَمَا يَعْلَمُونَ مِنْ لِينِهِ وَانْقِيادِهِ وَضَعْفِ رَأْيِهِ؛ لِيَكُونَ الْأَمْرُ
إِلَيْهِمْ، فَأَقَامُوا الْمُسْتَعْصِمَ، ثُمَّ رَكِنُوا إِلَيْهِ وزِيرِهِ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ، فَأَهْلَكَ الْحَرْثُ
وَالنِّسْلُ، وَحَسَّنَ لَهُ جَمْعُ الْأَمْوَالِ وَالْأَقْتَصَارُ عَلَى بَعْضِ الْعَسَّاكِرِ، وَقَطَعَ الْأَكْثَرَ. فَوَافَقَهُ
عَلَى ذَلِكَ. وَكَانَ فِيهِ شَحَّ وَقْلَةً مَعْرِفَةً وَعَدَمْ تَدْبِيرٍ، وَحَبَّ لِلْمَالِ وَإِهْمَالَ لِلْأَمْرِ، وَكَانَ

(١) انظر: البداية والنهاية، ج ١٢، حوادث عام ٦٥٦هـ.

(٢) انظر البداية والنهاية، ج ١٢، حوادث عام ٦٥٦هـ.

يُتكلّل على غيره، ويَقدِّم على مالا يليق وعلى ما يُستَقْبَح، وكان يُلْعَب بالحمام ويهمل أمر الإسلام..^(١)

ومن خلال ما سبق، يتبيّن لنا ما يلي:

إنَّ المستعصم لم يكن مؤهلاً لتولّي الخلافة، ولم يكن على دين أو خُلق، وقد خان الأمانة. ورغم ذلك يعتبره ابن كثير سنّياً سلفياً على معتقد أهل السنة.

ويبدو من خلال رواية الذهبي أنَّ رجال البلاط أو الحاشية هم الذين اختاروه ونصبّوه، رغم ضعفه وعدم كفاءته، وأهملوا شقيقه الأجدر منه، والذي كان يقول - حسبما روى الذهبي - : إنَّ ملْكَنِي الله، لاعْبُرُنَ بِالجِيُوشِ فَرِ جِيُونَ، وانتزَعَ الْبَلَادَ مِنَ التَّارِ وَاسْتَأْصلَهُمْ.

وهذا يشير إلى أنَّ هذه الحاشية كانت تخدم مصالحها، لا مصالح الإسلام والمسلمين، ولم يكن يعنيها الخطر الشّيري الذي يقترب من دولتهم.

وإذا كان العلقمي هو الذي زَئَنَ للمستعصم جمع المال وتسرّع الجندي، فذلك لكون طبيعته تميل إلى ذلك. فهو كما وصفه ابن كثير والذهبي، كان فيه غفلة وحبّ للمال وميل للشهوات.

يروي الذهبي: (كان ناج الدين بن صلايا، نائب إربيل، يُحدِّر الخليفة ويحرُّك عزمه، والخليفة لا يتحرُّك ولا يستيقظ).

وهذا دليل على إهمال الخليفة وتقاعسه عن الاستعداد لمواجهة التتار.

ويروي: (وركب هولاكو إلى العراق.. وفي جيشه خلق من الكرخ... ومَدَّ من صاحب الموصل (الملك لؤلؤ)، مع ولده الملك الصالح ركن الدين إسماعيل... وحصلَ منه - هولاكو - على فرمان بتولّي القضاء، إلا أنَّ صدر الدين توفّي، فقام ابن الزكي بانتزاع المدارس لنفسه وأصحابه، وبقي على هذا الحال إلى أن زالت دونه

(١) تاريخ الإسلام للنّعوي، ج ٤، ص ٢٦٠.

الطاغية هولاكو من الشام... فبذل أموالاً للمماليك على أن يقرّ القضاء والمدارس في يده، فأقرّ على ذلك شهراً ثم عُزل) ^(١).

وهذه صورة أخرى من صور الخيانة لاثنين من فقهاء أهل السنة تغافل عنها الوهابيون، أو لم يعلموا بأمرهما من الأصل؛ لكونهم مجرّد ناقلين.

ويروي ابن كثير في حوادث عام ٦٥٦هـ : (استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نزلت ببغداد، وجاءت إليهم إمدادات صاحب الموصل يساعدونهم على البغاء، خوفاً من التتار ومصانعة لهم، قبّحهم الله، وأحلّت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب، حتى أصيّبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة ونضحكه، وكانت من جملة حظاياه. وكانت مولدة تسمى (عرفة) جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها، وهي ترقص بين يدي الخليفة).

ومثل هذه الروايات إنما تفضح أكاذيب الوهابيين، وتكشف غبائهم وجهلهم بحوادث التاريخ، وتضلّيلهم لل المسلمين.

وكيف يعقل أن هناك خليفة محاصر من قبل عدوه، بينما هو يلهو ويلعب مع جواريه؟!

وهل مثل هذا يستحق أن يُركى عليه، أو على دولته التي كانت مرشحة للسقوط منذ عقود؟!

وهل بعد هذا كله يمكن لنا أن نُلقي بتبعه سقوط بغداد على العلقمي؟!

وهل مثل هذه الدولة المنهارة في حاجة لمثل العلقمي ليُسقطها؟!

وهل لو كان العلقمي سنياً، كانوا وجّهوا له مثل هذا الاتهام، وركزوا عليه كل هذا التركيز؟!

وهل يمكن لقائد محنك، مثل هولاكو، أن تحرّكه رسالة من العلقمي، دون أن يكون

(١) انظر: النعي، حوادث عام ٦٥٧هـ.

قد أحاط بالأمر وتيقن من النصر؟!

إنَّ الذي أسقط بغداد هم الخوارزميون السنة، والأيوبيون السنة، وحاشية المستعصم السنة، وليس ابن العلقمي سوى الضحية التي قدَّموها كبش فداء؛ لِيُداروا هما فشلهم وخيانتهم.

قال ابن تيمية: (وكان من أسباب دخول هؤلاء - التتار - ديار المسلمين ظهور الإلحاد والنفاق والبدع)^(١). ونقل قول ابن دقيق العيد: (إنما استولت التتار على بلاد المشرق، لظهور الفلسفة فيهم، وضعف الشريعة)

أما الطوسي، فقد أثني عليه المؤرخون عدا ابن تيمية، الذي يعادي الفلاسفة والملطفة. ولم يُشيروا إلى شيءٍ يتعلَّق بخيانته، فكلَّ تركيز المؤرخين كان على ابن العلقمي^(٢).

ويحاول الوهابيون الربط بين سقوط بغداد في الماضي على يد التتار، وسقوطها في الحاضر على يدي الأميركيان، مؤكدين أنَّ المتسبب في الحالتين هم الشيعة.

وهذه حجَّة البليد، إذ أنَّ هذا يعني أنَّ صدام الذي أسقطه الأميركيان، مساوٍ للمُستعصم، وهو عند الوهابيين يجب أن يتساوى مادام سنِّياً، ومادام الأمر يتعلَّق بالشيعة.

والقوات الأمريكية التي غزت العراق، انطلقت من قواعدها في معقل الوهابية التي استوطنت فيها، بفتاويهم التي أجازت الاستعانة بالمرتكبين. أليس هذا يعدَّ خيانة للإسلام والمسلمين؟!

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ج ١٣، ص ١٨٠.

(٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٤١ وما بعدها.

(٣) انظر نزكية المؤرخين للطوسي، وفي مقلتمتهم ابن كثير والذعي، تلميذ ابن تيمية، في: البداية والنهاية: ج ١٣، ص ٣٧٦، حوادث ووفيات عام ٦٧٢هـ؛ وتذكرة الحفاظ، ج ٤، ترجمة رقم ١٤٩٤؛ والوافي بالوفيات، ج ١، ص ١٧٩. وكتب التاريخ الأخرى.

وبعد كل هذا، يتحدّث الوهابيّون عن خيانات الشيعة؟!
وفيما يتعلّق بالصلبيّين، فقد تبنّى الوهابيّون موقف ابن تيمية، وأخذوا في تصيّد بعض المواقف للفاطميين، وبعض الفرق المنسوبة للشيعة في بلاد الشام، من الصليبيّين.
وخرجوا منها بنتيجة تؤكّد عمالة الشيعة للصلبيّين.

والمسألة، كما تبلو من ظاهرها، عدم وعي بقراءة التاريخ، وعدم فهم لحوادثه، كما هو حا لهم فيما يتعلّق بربط الشيعة بالتتار.

والدول والحكومات لا يجوز اعتبار مواقفها ومارساتها دليلاً على المعتقد؛ فإنَّ الدول تحكمها المصالح لا العقائد. وهذا الأمر ينطبق على الدولة الفاطمية، المحسوبة على الشيعة، وغيرها من الدول المحسوبة على السنة.

وقد ذكرنا فيما سبق صور لخيانات بعض أبناء صلاح الدين في الشام، وتعاونهم مع الصليبيّين ضدَّ أشقائهم ضدَّ المسلمين، واعتبرنا أنَّ هذا الموقف لا صيّلة له بالسنة ولا بالمتسترين.

وكذلك مواقف الدولة الفاطمية، أو الصفوية، أو الجمهورية الإسلامية. إنْ صحتَ فهي لا صلة لها بالشيعة والتشيع.

الدول الشيعية ليست حجَّة على التشيع. والدول السنّية ليست حجَّة على التسْنَة. وكذلك النصيرية أو الدروز، أو غيرهم من الفرق بعيدة عن الشيعة الإمامية. لا يجوز لنا أن نربطها بهم.

إلا أنَّ الوهابيّين لا يُميّزون، سيراً مع سنة ابن تيمية، الذي خلط ما بين الشيعة الإمامية والنميرية والإسماعيلية، وسائر البلطيقيّين، وجعل الجميع حُزْمة واحدة.

وإذا كان الوهابيّون حريصون على الإسلام والمسلمين، ويلقون بتهمة الخيانة على الشيعة ما بين الحين والأخر، فلماذا يتغاضون عن خيانات السنة عبر التاريخ؟!
ولماذا يتغاضون عن خيانات آل سعود، وتعاونهم الفاضح والمعلن مع المشركين الصليبيّين؟!

وخيانت الأنظمة الحاكمة الأخرى، في مصر والخليج والمغرب والأردن، وغيرها من البلدان التي تعدّ سنية في منظورهم؟!
ولماذا يغفلون صور البطولة والجهاد التي قام بها سيف الدولة الحمداني (الشيعي) ضدَ الصليبيين، والتي تغنى بها الشعراء؟!
والجواب ببساطة: أنَّهم ينقولون لا يبحثون. ويُكفرون ولا يصرون.

الألاعيب

ولم يكتفو الوهابيون بإصدار المنشورات التي تنشر الأكاذيب حول الشيعة، بل قاموا، بالإضافة إلى ذلك، ببعض الألاعيب التي تثير الرأي العام ضلَّتهم.
ومن هذه الألاعيب.. قيامهم بإصدار منشورات بأسماء شخصيات وهيئة منسوبة للشيعة، تعلن خروجها من دائرة الشيعة، وكفرها بعقائدهم.
ومن بين هذه المنشورات، منشور صدر بعنوان: (الله ثمَّ للتاريخ). وهو منشور صغير، (١١٢) صفحة، نسبه الوهابيون لشخصية مزعومة، نسبوها لعلماء الشيعة في النجف، وهو حسين الموسوي.

كانت أمنيته أن يُصبح مرجعاً يتزعم الحوزة الدينية، عرض فيه تجربته مع الشيعة، بعد أن قرأ جميع مصادرهم المعتبرة وغير المعتبرة، وكل كتاب وقع في يده، وأخذ يكتب تعليقاته على ما يقرأ، ولما انتهى من قراءاته للمصادر المعتبرة؛ وجد عنده أكداساً من قصاصات الورق، فاحتفظ بها، عسى أن يأتي يوم يقضي الله فيه أمراً كان مفعولاً. وكانت له علاقات حسنة مع كلِّ المراجع والعلماء والساسة، وكان يخالطهم ليصل إلى نتيجة تُعينه على اتخاذ القرار الصعب، الذي اتَّخذه رغم انتقام الشيعة، فأصدر كتابه هذا، وهو على يقين أنه سيلقى القبول عند طلَّاب الحقِّ، لا أهل الضلالَة أصحاب المُتعة والخُمس، الذين لبسو العمامات وركبوا المرسيدس والسوبر، حسب تعبيره..

ويظهر لنا من خلال مقلمة كاتب المنشور، أن لغته ضعيفة وساذجة، ولا تتناسب مع لغة عالم كبير، قرأ وبحر في مصادر الشيعة، والتقي بالكبير والصغير، وناقش ونظر. إذ كيف لمن خاض هذه التجربة ودرس وقرأ، أن يخرج في النهاية بهذا المنشور الصغير والضعف، والذي يُعد صورة مكررة من منشورات الوهابيين الأخرى.

من هنا كشفت الحقيقة وتبيّن أنَّ كاتب هذا المنشور هو واحد من الوهابيين المترَّصِّين بالشيعة، وقد تَسْرَّ باسم شيعي لا وجود له.

ولو كانت هذه الشخصية حقيقة، وهي بهذا الوزن والتاريخ، حسبما ييلو من كلامها؛ لأحدث ظهورها ضجَّة كبيرة، ولبرزت أمام الرأي العام، واحتفل بها الوهابيون. والطريف أنَّ الشيعة في الكويت - مكان صدور المنشور - اكتشفوا هذه اللعبة، ورثوا على الوهابيين بمشور يحمل نفس الاسم، ولشخصية سنَّية مزعومة أيضاً.

والسؤال هنا هو: ما هي محتويات هذا المنشور؟

والجواب: هو أنَّ هذا المنشور صورة من منشورات الوهابية الأخرى، وهو ما يُثير الشبهة فيه؛ فقد ركَّز على ابن سبأ وإثبات أنه شخصية حقيقة، ثمَّ تناول نكاح المتعة، ومسألة الخمس، متَّهماً فقهاء الشيعة باستغلاله، وتحدَّث عن الصحيفة الجامعة، والجفر، ومصحف فاطمة؛ باعتبارها من الكتب السرية عند الشيعة، وحاول أن يؤكد على أنَّ الشيعة يعتبرون أهل السنة العلوَّ الوحيد لهم، ومؤكداً أيضاً دور العناصر الأجنبية في صناعة التشيع. وختم منشوره بقوله: (هل أبقى في مكاني ومنصبي وأجمع الأموال الضخمة من البسطاء والسدُّاج باسم الخمس، والتبرُّعات للمشاهد، وأركب السيارات الفاخرة وأمتع بالجميلات، أم أترك عرض الدنيا الزائل، وابتعد عن هذه المحرمات، وأصدع بالحق، إنَّ الساكت عن الحقٍّ شيطان آخرس؟!).

ومثل هذا الكلام لا يتلاءم مع شخصية علمية كبيرة، كالتي يحاول المنشور تصويرها، بل يدل دلالة قاطعة على أنَّ كاتبه هو واحد من سفهاء الوهابية المترَّصِّين بالشيعة.

وأصدر الوهابيون العديد من المنشورات التي تطعن في حزب الله، وتثير الشبهات من حوله، وعلى رأسها منشور عنوانه: (ويل للعرب من شر قد اقترب، نصر الله خيني العرب).

وهي منشورات ساذجة وغبية، ولا تنمّ عن وعي بما يجري ويدور من حولهم، وهذا يعدّ نتيجة طبيعية لقوم يعيشون ويتبعّدون بعقل الماضي.

والمجوم على حزب الله من الأعيب الوهابية، وهو يُظهر مدى الحرج الذي وقعوا فيه؛ نتيجة ما حقّقه من انتصارات على المستوى السياسي، ومكاسب على المستوى الإسلامي. وهو ما يظهر - أيضاً - مدى موالاة الوهابيين لأعداء الإسلام والمسلمين، وكوفهم أدلة طيّعة لهم، يستخدمونها لضرب الإسلام وتشويهه كلما استدعت الحاجة لذلك.

والسؤال الذي يردّ على خلطـر كلّ مسلم هو:

ماذا يفعل حزب الله؟

ولماذا يحاربه الوهابيون؟

في منظور الوهابيين.. حزب الله لا يفعل شيئاً، وهو لا يُجاهد في سبيل الله، وإنما يُجاهد في سبيل الشيطان.

وإذا كان هذا هو حال حزب الله عند الوهابيين، فلماذا لا يتقدّموا هم للجهاد في سبيل الله والدفاع عن المقدسات؟!

ولماذا لا يوفّرون رصاصاتهم التي يوجّهونها لصدور المسلمين، وقنابلهم التي يلقونها عليهم ما بين الحين والأخر، لأعداء الله؟!

ولماذا لا نرى لهم أثر، ولا نسمع لهم خبر، في المواجهة مع العدوّ الصهيوني؟!

والجواب ببساطة هو أنَّ الوهابية لم تُوجَّد لهذا، وإنما وُجدت لتفرق المسلمين، وتوجّه أسلحتها إلى صدورهم، فهي صناعة أعداء الإسلام والمسلمين.

ومن ألاعيب الوهابية محاولتهم استغلال بعض الآراء النقدية والموافق الخلافية، من قبل بعض الشيعة، لضرب الشيعة والطعن في عقائدهم.

ومثال ذلك استغلالهم لأراء موسى الموسوي، في كتابه (الشيعة والتصحيح)، وتصويره كمرتدٌ عن التشيع. بينما هو في الحقيقة ظلّ على تشيعه ولم يتحول لأهل السنة^(١).

ويعمل الوهابيون دائمًا على اللعب بفكرة فارسية التشيع، أي أنَّ التشيع صناعة فارسية لا عربية. وهي فكرة متولدة من كلام ابن تيمية وغيره، من خصوم الشيعة القدامي، الذين يحاولون تضخيم دور المجوس بعد سقوط ملكهم في بلاد فارس، وسعفهم للاتقام من المسلمين. فتظاهروا بالتشيع لأهل البيت من أجل ضرب الإسلام. إلا أنَّ الباحث المدقق يكتشف أنَّ التشيع أصوله عربية هاشمية، تحضر في أهل البيت، الممثلين في الإمام علي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، وبقية الأئمة الاثني عشر، وهم من أرقى بيوتات العرب وأعلاها.

والشيعة، وعلى رأسهم الإيرانيون، يدينون لهم، بينما أهل السنة، وعلى رأسهم العرب، يُدينون للفرس ويتلقّون منهم الفقه والروايات النبوية، وسائر العلوم الدينية. والحقيقة هي أنَّ التسنن هو الذي كان من صناعة الفرس، وهو ما يتضح من خلال أصحاب كتب السنن، ورموز فقهاء السنة، الذين تعود أصولهم إلى بلاد فارس. وعلى رأس هؤلاء البخاري، ومسلم، والترمذى، والنستى، وابن ماجه، والحاكم، والحسن البصري، وأبو حنيفة، وطاووس، وابن سيرين، وعكرمة، والغزالى، وغيرهم كثير..

حتى أنَّ الدولة العباسية، التي نشأ الحنابلة في ظلّها وباركوها، ويدعى الوهابيون أنَّ الشيعة أسقطوها، قامت على أكتاف الفرس.

(١) طبعت النواتر السعودية والعراقية، أثناء الحرب العراقية الإيرانية، عشرات الآلاف من النسخ من كتابه (الشيعة والتصحيح) وكتابه الآخر (الثورة البائسة)، وكانت توزع مجاناً.

أكاذيب أخرى

ابن تيمية

لم يجد الوهابيون من يحتمون به من بين فقهاء أهل السنة سوى ابن تيمية، الذي اعتبروه الأب الروحي لهم، ومنحوه لقب (شيخ الإسلام).

والسؤال هو: لماذا انحاز الوهابيون لابن تيمية، من دون بقية الفقهاء؟

والجواب عند إمامهم محمد بن عبد الوهاب، الذي أخذته له إماماً، وبعث بتراثه الذي طواه النسيان من جديد، بسيوف آل سعود.

وابن عبد الوهاب لم يكن يملك مقومات المجتهد أو الفقيه، ولا يصلح ليكون مالكيّاً أو حنفياً أو شافعياً، ولا حتى حنبلياً؛ وذلك لكون أتباع هذه المذاهب يحتاج إلى أدوات لا يملكتها، ومقومات لا تتوفر فيه، وهذا ما دفع به نحو ابن تيمية؛ لتوافق طباعه الحادة المترنة مع طباعه، وميوله المتطرفة مع ميوله. ولو قمنا بمقارنة بين الشخصيتين، فسوف يتبيّن لنا مدى التطابق بينهما في الطباع.

وفتاوى ابن تيمية وكتبه - عموماً - تكتظ بالعديد من النصوص الحادة والمتطرفة، والمتضادمة مع عقائد أهل السنة، التي وجد فيها ابن عبد الوهاب ضالته، فهو يستطيع

ها أن يتميّز على المذاهب السائدة، التي استراحت من ابن تيمية وضلالاته قروناً طويلاً. وتسلّم الوهابيون تراث ابن تيمية من إمامهم ابن عبد الوهاب، باعتباره من المسلمين. وزاد من يقينهم بصحّة ما فيه، تمسّح ابن تيمية الدائم بالسلف والإجماع، وإلصاق أقواله وفتاويه بأهل السنة؛ الأمر الذي أراهم من إتعاب عقولهم الضعيفة القاصرة من البحث والتنقيب، وتركيز جهودهم في نقل كلام ابن تيمية، وضرب الخصوم به.

وتاريخ ابن تيمية رصده لنا الكثير من معاصريه، وعلى رأسهم تلميذه الذهبي الذي انشقَّ عليه، وتلميذه الآخر ابن كثير، وابن حجر العسقلاني، والحسني، وغيرهم. بما يُفيد شذوذه وتمرّده على الفقهاء، وعدم تقيّده بعقيدة أهل السنة؛ مما ينفي بالتبعية صفة (شيخ الإسلام) التي ألقاها به الوهابيون، وينفي - من جهة أخرى - تزكيته والثناء عليه من قبل بعض الفقهاء^(١).

وكيف لابن تيمية الذي حاربه الفقهاء وكفره البعض، وطالب آخرون بقتله، غير الذين طالبوه بتعزيزه وحبسه، وقد مات في حبسه الأخير، كيف لمن هذا حاله، أن يُمنع لقب شيخ الإسلام؟!

ولا يوجد من بين المصادر المعتمدة ما يُفيد منحه هذا اللقب، سوى بعض المصادر الخنبالية المتأخرة، التي تُنسب للمتطرفين منهم، الذين تعصّبوا له.

وممّا يدلّ على كذب الوهابيين، إلصاقهم لقب شيخ الإسلام بابن القِيم، وابن كثير، وابن عبد الوهاب. فلو كان لقب شيخ الإسلام خاصاً بابن تيمية، ما منحوه لغيره.

ومن أكاذيب الوهابيين حول ابن تيمية اعتباره من المجاهدين، الذين جاهدوا التتار.

(١) انظر: ترجمة ابن تيمية في تاريخ الذمي، والبداية والنهاية لابن كثير، والثُرُر الكامنة لابن حجر، ودفع شبه من شبه وتمرد للحسني، وذيل طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٣٨؛ وانظر: كتاب (ثقافة الإرهاب في كتب الوهابية). وبحارل الوهابيون دائمًا تجميل ابن تيمية في أعين المسلمين، بنشر بعض الكتب التي يُثني فيها أصحابها عليه ويزكّونه، وهي كتب قليلة، نكاد نعدّ على الأصابع، ولا تخرج عن محيط بعض الحنابلة المتعصّبين له.

بينما ابن تيمية ولد في عام ٦٦١هـ. أي بعد غزو التتار لبلاد المسلمين، وهزيمتهم على يد المماليك في وقعة عين جالوت.

ومن المُضحك أنَّ محقق رسالة الرد على الأختاني، وهو يستعرض سيرة ابن تيمية، نقل عن ابن كثير قوله عنه: (تم الاستيلاء على دمشق - من قبل التتار - في جمادى الأولى سنة ٦٥٨هـ، وشارك ابن تيمية مشاركة فعالة، وكان يجول في العدو كأعظم الشجعان^(١)). ونسى أنه ذكر في السطور السابقة أنَّ ابن تيمية ولد عام ٦٦١هـ، وهو ما يعني أنه عند غزو التتار للمشرق، لم يكن قد ولد بعد.

والثابت أنَّ ابن تيمية جاهد المسلمين لا المشركين؛ حين حرض المماليك في الشام على غزو جبل كسروان بجنوب لبنان عام ٧٠٥هـ، وشارك جنود المماليك في قتال الشيعة الذين كانوا يقيمون في هذا الجبل^(٢).

وحرَّض المسلمين على قتال التتر، بعد أن أسلموا بفتواه المعروفة بفتوى (الياشق)، التي قال فيها بجواز مقاتلة معطلي الشرائع؛ باعتبارهم مرتدون عن الإسلام^(٣).

التقليد

ومن الدعاوى الكاذبة للوهابيين، ادعاؤهم اتباع الكتاب والسنة، ورفض التقليد والمذهبية. وهم يهدفون من وراء هذه الدعوة، إلى حجب أتباعهم وعزلهم عن المدارس والتيارات الأخرى؛ ليظللوا في دائرة مذهبهم، ولا يخرجوا عن عقائدهم. وهي حيلة من حيلهم التي يجذبون بها المسلمين نحوهم؛ إذ أنَّ فكرة التقليد تستفز

(١) ذكر ابن كثير هذا الكلام نقلًا عن تاريخ ابن الأثير، ج ٧، ص ١٣. كما ذكر المحقق.

(٢) قال ابن كثير: وفي هذا العام عاد شيخ الإسلام منصوراً، بعد قتال الرافضة في الجبال. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، حوادث عام ٧٠٥هـ.

(٣) انظر نص هذه الفتوى في: مجموع فتاوى ابن تيمية، ج ٢٨، ص ٩٥٠. و(الياشق) هو كتاب من وضع جنكيز خان. انظر: ثقافة الإرهاق في كتب الوهابية.

أصحاب العقول، وهي منبودة بنصوص القرآن التي يستدلّ بها الوهابيون على رفضها^(١).

إلا أنَّ الوهابيين لبسوا على المسلمين بالخلط بين التقليد في العقائد والتقليد في الشرائع. والتقليد في العقائد هو المنبود شرعاً، وهو ما نبهَ عليه القرآن. أمّا التقليد في الشرائع، فلا حرج فيه لمن لا يملك أدوات الاجتهاد، الأمر الذي ينطبق على عامة الناس. والوهابيون لا يملكون أدوات الاجتهاد بالطبع، لا هم ولا إمامهم ابن عبد الوهاب، فكيف لهم أن ينبذوا التقليد؟!

وتشبيُّثهم بهذه الفكرة يعود لقصورهم وضعف عقولهم، وعجزهم أن يكونوا من أهل العلم والاجتهاد. وهو ما يظهر لنا من خلال رصد عناصر الخنابلة القدامى والمعاصرين من الوهابيين، الذين يغلب عليهم العوام والسوقَة وضعف العقول، ومثل هؤلاء لا يجدون مكاناً في دائرة التيارات والمذاهب الأخرى، التي تبني قواعد فقهية وأدوات عقلية تلزم المقلّد وتضبط حركة تناوله لأحكام الدين، وهو ما لا يطيقه الخنابلة، المائلين بطبعهم إلى الفوضى والغلو، وهو ما يدفعهم أيضاً إلى التعصب لفكرة التحرر من التقليد، والتمسّك بها وعدم التخلّي عنها.

والملتَّبع للدُّعَاه نفي التقليد، إنما هو في الحقيقة مقلّد لهم، فهو قد انتقل من تقليد غيرهم إلى تقليدهم هم. ولذا فإنَّ الوهابيين هم مقلّدون لابن تيمية وابن عبد الوهاب، والذين أتبعوهم في دعواهم هم مقلّدون لهم.

وفتح الأبواب على مصارعها أمام الوهابيين، للخوض في الكتاب والسنة، قد أوقع الوهابيين في أزمة كبيرة؛ إذ أدى الأمر إلى تصدّع الوهابية، ويزداد العدد من الفرق التي تعدّ نسخة عصرية من فرق الخوارج، على رأس كلّ فرقه منها مجتهد يُشهر حرابه في وجه المخالفين.

(١) مثل قوله تعالى: **هُوَ إِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهَتَّلُونَ**، وقوله: **فَلَمْ تُشَيَّعْ مَا أَفْيَانَا عَلَيْهِ آبَانَا**..).

وقد أخذت هذه الفرق تكفر بعضها وتلعن بعضها بعضاً، وأتجه البعض الآخر منها إلى حل السلاح في مواجهة خصومه، من الوهابيين وغيرهم^(١). وهو ما ييلو لنا من خلال التساؤلات التي تدور في أذهان شباب الوهابيين، ولا يجدون لها إجابة عند أثمتهم.

منها سؤال يقول: في هذا الزمان عديد من الجماعات والتفرعات، وكل منها يدعي الانضواء تحت الفرقة الناجية، ولا ندرى أيهم على الحق فنتبعه، ونرجو من سعادتكم أن تدلّونا على أفضل هذه الجماعات وأخيّرها، فنتبع الحق فيها مع إبراز الأدلة.

وكان الجواب هو: كلُّ من هذه الجماعات تدخل في الفرقة الناجية، إلاَّ من أتى منهم بمكفر يخرج عن أصل الإيمان، لكنَّهم تتفاوت درجاتهم قوَّةً وضعفاً، بقدر إصابتهم للحق وعملهم به، وخطئهم في فهم الأدلة والعمل. فأهدواهم أسعدهم بالدليل فهماً وعملاً. فاعرف وجهات نظرهم، وكن من أتبعهم للحق وألزمهم له، ولا تخسِّ الآخرين أخوَّهم في الإسلام، فتردَّ عليهم ما أصابوا فيه من الحق، بل اتَّبع الحق حيثما كان، ولو ظهر على لسان مَن يخالفك في بعض المسائل. فالحق رائد المؤمنين، وقوَّة الدليل من الكتاب والسنة هي الفيصل بين الحق والبطل^(٢).

وسؤال آخر يقول: إنَّ كثيراً من الجماعات التي تدعوا إلى الإسلام، كلُّ منهم يقول: أنا على فهج السلف، ومعي الكتاب والسنة؟!

وجوابه هو: الواجب على المسلم أن يلتزم الحق الذي يدلُّ عليه الكتاب والسنة، وأن يوالي على ذلك ويعادي على ذلك، وكل حزب أو مذهب يخالف الحق يجب البراءة منه، وعدم الموافقة عليه^(٣).

والفرق الوهابية جميعها لا تختلف في تحريم شد الرحال والتولّ، وزيارة القبور

(١) انظر: ملحوظ الكتاب، وكتابنا: الحق والحقيقة وفرق أهل السنة.

(٢) فتوى اللجنة الدائمة، رقم ٧١٢٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز، ج ٥، ص ١٥.

والاحتفال بأصحابها. وتقليل ابن تيمية وابن عبد الوهاب، فكيف يمكنه التمييز بينها؟! والظاهر من هذه الأوجبة هو الحفاظ على الوضع القائم وتبريره، مع إتاحة الفرصة للسائل لمعرفة الدليل وحده، وتمييز الخطأ من الصواب، وسط هذه الفرق الوهابية المتناحرة، الأمر الذي قد يؤدي بالسائل إلى اتباع واحدة من هذه الفرق، أو صنع فرقة جديدة خاصة به.

ويظهر لنا من كتب الخانبلة القدامي والوهابيين المعاصرين، أنَّهم يقاومون بشدة علم الكلام والمنطق والفلسفة. ويعود ذلك إلى خوفهم الشديد من هذه العلوم، التي تنبه العقول وتوسّس للتفكير العلمي، مما يؤدي إلى نقلَّت الأتباع منهم، وبهدم دعوامات بالوصاية على الدين.

الفرقة الناجية

رُوي عن الرسول ﷺ قوله: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة، وتفرَّقت النصارى على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة. والذي نفسي بيده، لتفترق أمتي على ثلث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وأثننتان وسبعون في النار).

قيل: يا رسول الله، مَن هم؟

قال: الجماعة)

وفي رواية قال: ما أنا عليه وأصحابي.

وفي رواية قال: هي السواد الأعظم.^(١)

قال أبو سليمان الخطابي: (قوله: ستفترق أمتي على ثلث وسبعين فرقة، فيه دلالة على أنَّ هذه الفرق كلَّها غير خارجين على الدين؛ إذ أنَّ النبي جعل لهم كلَّهم من أمته.

(١) انظر: ابن ماجه، ج ٢، باب افتراق الأمة؛ وأبو داود: كتاب السنة؛ والترمذى: باب ما جاء في افتراق هذه الأمة؛ وكتب السنن الأخرى.

وفيه أنَّ التأوِّل لا يخرج من الملة، وإنْ أخطأ في تأويله^(١).

وعلى الرغم مما قيل في هذا الحديث، فإنَّ السؤال الذي يجب أن يوجَّه إلى الوهابيين

هو:

أيَّ فرقٍ من فرقهم هي الناجية من النار؟

هل هي الفرق الجهادية، أم التكفيرية، أم السلفية؟!

أم هي بجمعها ناجية من النار؟!

وهل من صفات الفرق الناجية من النار إراقة دماء المسلمين، وتكفيرهم، وترويع

الأمنين، ونشر الفساد في الأرض؟!

وائمة الوهابيين يعتبرون كل هذه الفرق ناجية من النار، إلاَّ مَنْ أتى منهم بِمُكْفَرٍ
يخرج عن أصل الإيمان، والمُكْفَرُ الذي يُخْرِجُ عن أصل الإيمان عندهم، هو التوسل
والاستغاثة والذور.

وما دامت هذه الفرق تلتزم بهذه الأصل، فهي ناجية من النار، ولتفعل ما تفعل
بِالإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فكُلَّ ذَلِكَ لَا يَهُمْ عِنْدَ الْوَهَابِيَّينَ.

نصرة آل سعود الموالين لليهود والشركين لا يهم.

إراقة دماء المسلمين وتكفيرهم واستباحتهم لا يهم.

السکوت عن الظلم والفساد، والمؤامرات التي تحيط بالإسلام والمسلمين، لا يهم.
المهم عندهم هو تحريم زيارة القبور والاحتفالات، ووجوب اللحية والجلباب
والنقاب، وتعظيم ولاقهم والتغاضي عن عظام الأمور.

وإذا كان بعض فقهاء أهل السنة يفسِّرون الفرقة الناجية بالسواد الأعظم، فهل
الوهابيين

يمثُّلون السواد الأعظم من المسلمين؟!

(١) انظر: سُنْنَ الْبَيْهَقِيِّ، ج. ١٠، ص. ٢٠٨.

ملحق الكتاب

مُلْحِقٌ ١:

موجز مسائل ابن تيمية التي خالف فيها السنة:

- التجسيم.
- التشبيه.
- تحريم التوسل.
- تحريم شد الرحال.
- تكفير المخالف.
- نبذ التأويل.
- إنكار المجاز.
- فناء النار.
- وقوعه في الصحابة.
- مجموعة مسائل فقهية مثل
- إباحة طواف الحائض.
- جواز صلاة التطوع جنباً.

- المائعات لا تنجس بعمرت حيوان فيها.
- مسألة الطلاق.

٢: ملحق

نماذج من ردود أهل السنة على ابن تيمية.

الاعتبار ببقاء الجنة والنار للسبكي
المقالة المرضية في الرد على منكر الزيارة الحمدية للأخنائي
الإشارة بطرق حديث الزيارة لابن حجر العسقلاني
شفاء السقام في زيارة خير الأنام للسبكي
الجوهر المنظم في زيارة قبر النبيّ المُعَظَّم ابن حجر الهيتمي
التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة للناج الفكهاني
ابن تيمية ليس سلفياً منصور عويس
إنحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنباء والأولياء الغماري

٣: ملحق

نماذج من كتب أهل السنة التي ترد على الوهابية

الوهابية ومقلدة الظاهريّة إبراهيم بن عثمان السمنودي
السيف الهندي في إثبات طريقة الشيخ النجدي عيسى بن محمد الصناعي
فصل الخطاب في الرد على ضلالات ابن عبد الوهاب أحد البصري الشهير بالقبّاني
صلح الإخوان في الرد على من قال على المسلمين بالشرك والكفران داود الرومي
المنحة الوهابية في الرد على الوهابية داود الرومي

- شرح الرسالة الردية على طائفه الوهابية.....محمد عطاء الله الرومي
- الرد على الوهابية.....إبراهيم الرياحي
- جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أصل العوام.....علوي بن أحمد الحداد
- تبين الحق والصواب بالرد على أتباع محمد بن عبد الوهاب.....توفيق سوقية الدمشقي
- النفحه الذكية في الرد على شبه الوهابية.....عبد القادر سليم الكيلاني
- النقول الشرعية في الرد على الوهابية.....مصطففي الشطبي
- فضائح الوهابية.....فتحي الأزهري
- بغية الطلاب في الرد على ابن عبد الوهاب.....عبد الحميد السباعي
- التحفة الوهابية في الرد على الوهابية.....داود النقشبendi
- * لم نذكر هنا الكتب المشهورة والتي ذكرت بين ثانيا الكتاب.

ملحق ٤:

جدول يبين أهم المسائل المخالفة لأهل السنة عند الوهابيين

الوهابيون	أهل السنة	المقالة
لا تؤوّل	تؤوّل	صفات الله
غير جائز	جاز	التوسل
غير جائز	جاز	شد الرحال
بدعة	جازة	المناسبات
وارد	غير وارد	التكفير
غير معصوم	معصوم	دم المسلم
غير معصوم	معصوم	مال المسلم
بدعة	جازة	القبور
غير واجب	واجب	التقليد

ملحق:٥

صور من خلافات الوهابيين ووقعهم في بعضهم

- وقوع الألباني في ابن تيمية.
- وقوع جهيمان في الوهابيين.
- وقوع ابن عثيمين في الألباني.
- وقوع زهير شاويش في الألباني.
- وقوع الوهابيين في الألباني.
- وقوع الإسلامبولي في الألباني.
- وقوع التوبيجي في الألباني.
- وقوع مقبل الوادعي في الوهابيين.
- وقوع المدخلني في الوهابيين.
- وقوع الوهابيين في ابن عثيمين.
- وقوعهم في البخاري.
- وقوع عبد الرحمن عبد الخالق في الوهابيين.
- وقوع التكفير بينهم.
- وقوع الوهابيين في آل سعود.

* انظر: وقوع الألباني في ابن تيمية من خلال كتاب السقاف: (البشرة والإتحاف فيما بين الألباني وابن تيمية من الخلاف). وال الحرب التي وقعت بين صاحب المكتب الإسلامي زهير جاويش والألباني، والتي تجاوزت حدود الأدب والخلق، وكذلك الحرب التي وقعت بين الألباني وخصومه، وما فصله السقاف في كتابه (قاموس شتائم الألباني).

وكذلك ظهر حركة (جهيمان العتيبي)، التي تمرّدت على فقهاء الوهابية والنظام السعودي، واستولت على الحرم المكي، وأعلنت ظهور المهدى عام ١٤٠٠ هـ. كذلك وقوع ابن عثيمين في الألباني بسبب مسألة المعية.

كذلك وقوع الوهابيين في الألباني، بسبب تصحيحه لبعض الروايات التي تتعلق بذلك بذم الصحابة، أو تحريم أكل لحم البقر، وتحريم لبس الذهب للمرأة. انظر كتاب: (رد على الجانبي على الشيخ الألباني).

ووقوع التويجري، صاحب كتاب (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن) في الألباني. الذي شكّك في رواية (خلق الله آدم على صورة الرحمن).

ووقوع مقبل الوادعي اليمني، الشديد التطرف، والذي يدعونه من المحدثين، في الألباني وغيره من الوهابيين، وفي آل سعود.

ووقوع المدخللي المتطرف، الذي أطلق مدافعاً نحو الوهابيين وكفر بعضهم، وزندق وبذاع البعض الآخر، واعتبرهم خارجين عن منهج السلف. وكوئن فرقة وهابية أطلق عليها خصوصه اسم (الخلوف) أو (المداخلة)، واعتبره الوهابيون من الفتنة العظيمة في هذا الزمان. انظر كتابه: (جماعة واحدة لا جماعات)، وكتبه الأخرى. وانظر كتاب: (نصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، الذي حذر فيه صاحبه من فتنة (المدخللي) وأتهمه بسوء الفهم وعدم الاتزان.

وقد وقع العديد من الوهابيين في ابن عثيمين، بسبب قوله بالمعية.

ووقع الوهابيون في البخاري، وقاموا بتهذيبه وحذف العديد من الروايات منه.

ووقعوا في عبد الرحمن عبد الخالق، أحد أعمدة التيار الوهابي في الخليج، ووقع فيهم. ووقع الوهابيون في بعضهم، فكفر بعضهم بعضاً، وهو ما يظهر من خلال منشوراتهم العديدة التكفيرية، والأخرى التي تردد عليها.

ووقع الوهابيون في آل سعود، وأعلنوا الحرب عليهم، من خلال العمليات المسلحة

التي تظهر ما بين الحين والآخر في جزيرة العرب.
وهذه الصور هي قليل من كثير مما يجري في واقع الوهابيين، الذين يحاولون شغل المسلمين بالحرب على المخالفين لهم، حتى لا يلتفتوا إلى واقعهم المُزري وضلالاتهم وأكاذيبهم.

مراجع الكتاب

١. الإبانة عن شريعة الفرق الناجية ومحاباة الفرق المذمومة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكاري الحنفي، تحقيق : عثمان عبد الله آدم ، دار النشر، دار الرأية للنشر، السعودية، ١٤١٨هـ ، الطبعة الثانية.
٢. ابن تيمية ليس سلفياً، منصور عويس، نشر دار النهضة، القاهرة، عام ١٩٦٠م.
٣. إثبات صفة العلو، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق : بدر عبد الله البدر ، دار النشر، الدار السلفية، الكويت، ١٤٠٦ ، الطبعة الأولى.
٤. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعبي الدمشقي، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ ، الطبعة الأولى.
٥. الأربعين في دلائل التوحيد، عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الهروي أبو إسماعيل، تحقيق : د. علي بن ناصر الفقيهي، دار النشر، المدينة المنورة، ١٤٠٤ ، الطبعة الأولى.

٦. اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل ذيل طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى أبوالحسين، دار النشر، دار المعرفة، بيروت، تحقيق : محمد حامد الفقي.
٧. إنباء الغمر بأنباء العمر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ ، الطبعة الثانية.
٨. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر، مكتبة المعارف، بيروت.
٩. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، دار النشر، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ١٣٩٢، الطبعة الأولى.
١٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت عام ١٤٠٧هـ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري.
١١. تاريخ الخلفاء لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محى الدين عبدالحميد، نشر مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧١هـ.
١٢. تاريخ الطبرى، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٣. تاريخ المذاهب الإسلامية، شيخ محمد أبو زهرة، نشر دار الفكر العربي، القاهرة.
١٤. تاريخ بغداد ، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥. التأمل في حقيقة التوسل، عيسى الحميري، طبع بيروت.
١٦. تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، تصنيف ناصر السنة حجة الحفاظ مؤرخ الشام أبي علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر اللمشقى، دار النشر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤ ، الطبعة الثالثة.

١٧. التحف في مذاهب السلف ، الشوكاني ، دار النشر ،
١٨. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازى الشافعى، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.
١٩. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعى، تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، دار النشر، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٠. تمذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى، دار النشر، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، الطبعة الأولى.
٢١. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق : زهير الشاويش، دار النشر، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ ، الطبعة الثالثة.
٢٢. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق : محمد لين الشبراوى، دار النشر، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٩م ، الطبعة الأولى.
٢٣. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق شرف الدين أحمد ، نشر دار الفكر ١٣٩٥هـ ، الطبعة الأولى.
٢٤. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبي، دار النشر، دار الشعب، القاهرة.
٢٥. الحجة في بيان المحجنة وشرح عقيلة أهل السنة، أبو القاسم اسماعيل ابن محمد بن الفضل التميمي الأصبغاني، تحقيق : محمد بن ربيع بن هادي عمر المدخلـي، دار النشر، دار الرأـيـة، السـعـودـيـة، الـرـيـاضـ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م ، الطبعة الثانية.
٢٦. خريـلة القـصر وجـريـلة الـعـصـرـ، أبي عبد الله عمـادـ الدينـ بنـ محمدـ بنـ صـفـيـ

٢٥. رسالة في إثبات الاستواء والفوقيّة ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد،
٢٤. الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر، دار المعرفة، بيروت.
٢٣. الرد على الزنادقة والجهمية، أحمد بن حنبل الشيباني أبو عبدالله، تحقيق: محمد حسن راشد، دار النشر، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٩٣.
٢٢. الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار النشر، المطبعة السلفية، القاهرة.
٢١. دفع شبه من شبه وتردد، تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي، دار النشر، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.
٢٠. دفع شبه التشبيه بأكف التزية، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الخنبلـي، تحقيق: حسن السقاف، دار النشر، دار الإمام النووي، الأردن، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، الطبعة الثالثة.
١٩. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، دار النشر، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرabad، ١٣٩٢ هـ . ق / ١٩٧٢ م ، الطبعة الثانية.
١٨. درء تعارض العقل والنقل، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمن، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
١٧. خلق أفعال العباد، محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق : عبدالرحمن عميرة، دار النشر، دار المعارف السعودية، الرياض، ١٣٩٨ - ١٩٧٨ .
١٦. أبو الفرج محمد بن نعيس الدين الأصفهاني، تحقيق محمد هجـة الأثيري، نشر المجمع العراقي، ١٣٧٥ هـ .

- أبي محمد عبد الله بن يوسف الجوهري، تحقيق: أحمد معاذ بن علوان حقي، دار النشر، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، الطبعة الأولى.
٣٦. رفع الأستار لإبطال أدلة القاتلين بفناء النار، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار النشر، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥، الطبعة الأولى.
٣٧. السنة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: د عطية الزهراني، دار النشر، دار الراية، الرياض، ١٤١٠هـ - ق. ١٩٨٩م، الطبعة الأولى.
٣٨. السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمد سعيد سالم القحطاني، دار النشر، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٦، الطبعة الأولى.
٣٩. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣، الطبعة التاسعة.
٤٠. السيف الصقيل في الرد على ابن زفیل، السبکی، مكتبة زهران، القاهرة ومعه تکملة الرد على نونیة ابن القیم بقلم: محمد زاهد بن الحسن الكوثری تقدیم: لجنة من علماء الأزهر.
٤١. شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن عبد الحليم بن تیمية الحرانی أبو العباس، تحقيق: إبراهيم سعیدی، دار النشر، مکتبة الرشد، الرياض، ١٤١٥، الطبعة الأولى.
٤٢. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق ناصر الدين الألباني، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.
٤٣. الصفات، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: عبد الله الغنیمان ، دار النشر، مکتبة الدار، المدينة المنورة، ١٤٠٢، الطبعة الأولى.
٤٤. العرش وما روی فيه، محمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي أبو جعفر، تحقيق:

٤٣. محمد بن حمد الحمود ، دار النشر، مكتبة المعلا، الكويت، ١٤٠٦ ، الطبعة الأولى.

٤٤. العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار النشر، دار قتبة، دمشق، ١٤٠٨ ، الطبعة الأولى.

٤٥. العواصم من القواسم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق : محب الدين الخطيب و محمود مهدي الاستانبولي، دار النشر، دار الجليل، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، الطبعة الثانية.

٤٦. العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبد الباقى الم Wahabi Al-Hanbali، تحقيق : عصام رواس قلعي، دار المأمون للتراث، لبنان، ١٤٠٧ هـ . ق- ١٩٨٧ م، الطبعة الأولى.

٤٧. الغنية في أصول الدين، أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري المتولى، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، دار النشر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ١٤٠٦ هـ . ق- ١٩٨٧ م، الطبعة الأولى.

٤٨. فتيا وجواها في ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف، أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار المحدثي، دار النشر، دار العاصمة، الرياض، السعودية، ١٤٠٩ هـ ، الطبعة الأولى.

٤٩. الفخرى في الآداب السلطانية، محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي، نشر مكتبة صبيح القاهرة.

٥٠. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: عاصم عبد الله القریونی، دار النشر، شركة الشرق الأوسط للطباعة - ماركا الشمالية - الأردن، ١٤٠٤ ، الطبعة الأولى.

٥١. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الخلص بن تيمية

- الحراني أبو العباس، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، دار النشر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.
٥٣. لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عبد الملك بن عبد الله الجوهري إمام الحرمين، تحقيق : فوقية حسين محمود، دار النشر، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة الثانية.
٥٤. مجموع كتب ورسائل وفتاوی ابن تيمية، أحمد عبد الخلیم بن تیمیة الحرانی أبوالعباس، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، دار النشر، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.
٥٥. معالم أصول الدين، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، لبنان، ٤١٤٠هـ - ١٩٨٤م.
٥٦. المنتظم في أخبار البشر، أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، بدون ناشر.
٥٧. منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الخلیم بن تیمیة الحرانی أبو العباس، دار النشر، مؤسسة قرطبة.
٥٨. نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد، أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق : رشید بن حسن الألunci، دار النشر، مكتبة الرشد، السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة الأولى.
٥٩. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ١٤٢٠هـ.

فهرس المحتوى

٥	تقديم
٧	مدخل تاريخي
٧	بين الخوارج والخنابلة
١٠	تاريخ الخنابلة
١٤	بداية الأقوال
١٦	الوهابيون والخنابلة
٢١	أكاذيبهم على أهل السنة
٢٣	أكاذيبهم حول التوحيد
٣٤	ابن تيمية والاستواء
٣٨	اعتقدات أهل السنة
٤٣	منشورات الوهابية
٦٢	آقوال ابن تيمية
٨٥	أكاذيبهم حول القبور والتوكيل
٨٦	موقف الفقهاء
٩٠	قضية التوكيل

٩٧	أكاذيبهم على التراث
٩٨	فتح الباري
١٠١	العقيدة الطحاوية
١٠٥	الأذكار
١٠٥	منهج السالك
١٠٦	مطارق النور
١٠٧	منظرة الرافضي
١٠٨	فتح البلاغة
١٠٩	العواصم من القواصم
١١٣	أكاذيبهم على الشيعة
١١٥	ابن سبأ
١٢٠	ادعاءات
١٣٦	نقية
١٣٨	الشيعة والتتار
١٤٨	اللائعيب
١٥٣	أكاذيب أخرى
١٥٣	ابن تيمية
١٥٥	التقليد
١٥٨	الفرقة الناجية
١٦١	ملحق الكتاب
١٦١	ملحق: ١ موجز مسائل ابن تيمية التي خالف فيها السنة:
١٦٢	ملحق: ٢ نماذج من ردود أهل السنة على ابن تيمية
١٦٢	ملحق: ٣ نماذج من كتب أهل السنة التي ترد على الوهابية
١٦٣	ملحق: ٤ جدول يبين أهم المسائل المخالفة لأهل السنة عند الوهابيين
١٦٤	ملحق: ٥ صور من خلافات الوهابيين ووقعهم في بعضهم
١٦٧	مراجعة أكاذيب الوهابية